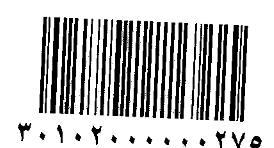
بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة الملك عبد العزيز
بمكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا - فرع التاريخ

عبد الرحمن الأوسط في الأندلس

بحث مقدم
لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي



بإشراف الأستاذ الدكتور
عبد الرحمن فهمي

بحث الطالبة
فاطمة محمد ابراهيم زاهر

للعام الدراسي ١٣٩٩ - ١٤٠٠هـ
١٩٧٩ - ١٩٨٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه

الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

لا شك أن تاريخ الاندلس يعتبر تراثا حضاريا رائعا باعتبارها أبرز المراكز الحضارية فى التاريخ الاسلامى وأكثرها أهمية واثارة فقد تحولت المملكة القوطية القديمة التى اجتاحها العرب الى ولاية أموية فى أواخر القرن الاول الهجرى أى مطلع القرن الثامن الميلادى ثم قدر لها أن تلعب دورا خاصا فى العصر العباسى حيث كان ارتباطها بالسلطة المركزية فى بغداد واهيا ، وما لبث هذا الجنوح الاستقلالى أن تبلور وظهر بشكل امارة اموية مستقلة تابعت مسيرتها فى الاندلس بعد غياب الخلافة الاموية فى دمشق مما هيأ للأندلس فرصة اقامة دولة مستقلة كتجربة وحيدة فى تاريخ هذا الاقليم استمرت اكثر من ثلاثة قرون من الزمن ، ومما لا شك فيه ان هذه الفترة تمثل أزهى فترات الاندلس السياسية التى نضجت فيها بذور الحضارة الاسلاميه الاندلسية ولم يحظ المغرب الاسلامى باهتمام الباحثين المعاصرين بنفس القدر الذى وجهوه الى المشرق • وقد بدأت بوادر الاهتمام بهذه الناحية ولله الحمد باستكمال دراسة جادة للجناح الغربى من جسم الدولة الاسلاميه مما سيكون له أثره فى توضيح دور الاندلس كأحد معابر الحضارة الاسلامية الى أوربا •

ويعنينى بالبحث هنا القيام بدراسة فترة الازدهار فى عصر الامارة الاموية (١٣٨ ــ ٣١٦ هـ) وعلى وجه التحديد عهد الامير عبد الرحمن الاوسط أمير الاندلس الذى تعكس دراسته مدى ما بلغته الامارة الاموية فى تقدم كثير من النواحى الحضارية •

وقد قسمت بحثى هذا الى ستة فصول تناولت فى الفصل الاول عبد الرحمن الاوسط وما لعبته الاندلس من دور حضارى فى عهده . وهذا الفصل يشتمل على دراسة شخصية الامير عبد الرحمن الأوسط وهو يواجه التأثيرات العباسية الحضارية من جهة ودور الاندلس خلال مرحلة الهدوء النسبى التى يمثلها عهده من جهة اخرى . هذا بالاضافة الى القاء الاضواء على بعض الشخصيات المهمة فى البلاط الاندلسى وأثرها فى تنظيم امارة قرطبة مثل يحيى بن يحيى الليثى ، وزرياب المغنى ، ثم عباس بن فرناس .

ولقد اقتصر الفصل الثانى على دراسة الفتن والثورات الداخلية التى قامت فى عهده ومنها يتضح مدى قدرته على مواجهة هذه الاحداث ، الامر الذى وفر للاندلس فى عهده هدوءا نسبيا فى الداخل مكنه من أن يقوم بهذا الدور الذى أراده له الامير عبد الرحمن الاوسط .

أما الفصل الثالث فقد تعرضت فيه لدراسة العلاقات الخارجية للامارة الاموية فى عهده حيث تناولت فيه غارات النورمانديين ومدى ارتباط هذه الغارات النورماندية بانشاء البحرية الاندلسية وغزو جليقية وجزر ميورقه ومنورقه ، بالاضافة الى العلاقات الدبلوماسية مع بيزنطه . وقد تعرضت ايضا فى هذا الفصل الى نشاط الاسطول البحرى الاندلسى فى غرب حوض البحر الابيض المتوسط .

واختص الفصل الرابع بدراسة الاحوال الاقتصادية للاندلس فى عهد الامير عبد الرحمن الاوسط حيث اشرت الى دراسة التوسع التجارى للاندلس مع المغرب وأثر ذلك على ازدهار الاقتصاد الاندلسى . كما تحدثت عن اثر قيام دار الضرب الأندلسية واصدار الدراهم والفلوس فى الحياة الاقتصادية خلال فترة الازدهار .

وقمت فى الفصل الخامس بدراسة الحياة العلمية فى قرطبة خلال عهد الامير عبد الرحمن الأوسط فتحدثت عن مدى اقبال المجتمع الأندلسى على العلوم والآداب العربية وعن طرق انتقال الحضارة من المشرق الى الاندلس اضافة الى متابعة التطور الحاصل فى الدراسات الشرعية والادبية والعلمية والتاريخ والعلوم البحته .

وقد أفردت الفصل الاخير لدراسة وتقويم أعمال عبد الرحمن الأوسط العمرانيه والتى تتضمن أمورا متعددة ، منها توسيع المسجد الكبير بقرطبة وعمارة بقية المساجد فيها وعمارة القصور والمناظر والقصور الريفية وقناطر المياه مع استكمال عمارة الأسوار بقرطبة .

واختتمت بحثى باستعراض أهم النتائج التى توصلت اليها ، وقد دعمت هذا البحث بعدد من اللوحات والخرائط التى تهم كثيرا فى القاء الاضواء للتوضيح ، والتى رأيت أن لها أهمية خاصة فى ابراز الهدف المرجو من هذه الدراسة .

وانى لآمل أن أكون قد أسهمت قدر طاقتى فى تركيز اهتمام الدارسين على تاريخ الاندلس ومدى اسهامها فى الحضارة العربية الاسلامية وعلى دورها فى نقل الحضارة الاسلامية الى أوروبا .

كلمة شكر وتقديــــر

ولا يفوتني أن أوجه شكرى الى كل من أسهم في مساعدتي في هـــذا البحث من جميع الاوجه ، وأخص بالذكر استاذى الفاضل المشرف الاستـــاذ الدكتور/ عبدالرحمن فهمى الذى كان الموجه والسند بعد الله لى فـــى اعداد هذا البحث ، جزاه الله عنى خير الجزاء ، وكذلك الدكتور عبدالهادى الفضلى والاعضاء المسئولين فى الجامعة الذين ساعدوا وأسهموا فى تشجيـــع هذه الدراسات التى أكون أنا بذرة من بذراتها الاولى ، جزى الله الجميـــع عنى خير الجزاء .

فاطمه محمد ابراهيم زاهـــر

فهرس الموضوعات

الصفحه

دراسة عن مصادر البحث :

حاولت أن أقسم مصادر بحثى التى رجعت اليها الى ثلاثة أقسام هى :

١ـ المصادر الأساسية .

٢ـ الموسوعات وكتب التراجم .

٣ـ المراجع العربية بمافيها المترجم عن المستشرقين .

ولن أتناول فى هذه المقدمة كل مارجعت اليه من مصادر أو مراجع عربية بل سأتناول أهم ماانتفعت به فى بحثى لاسيما واننى سأذكر باًمانة علمية كل مارجعت اليه سواء فى حواشى البحث أو بنهايته فى قائمة المصادر والمراجع . أما هنا فسأذكر فقط أهم ماأخذت عنه مع كتابة لمحة عن المؤلف حسبما تيسر لى وبيان مدى أهميته فى أى فصل من فصول بحثى .

أولا : المصادر الاساسية :

١ـ ابن حيان : المقتبس فى أخبار أهل المغرب والاندلس :

لعل من أهم المصادر التى بحثت فى تاريخ المسلمين فى الاندلس كتاب " المقتبس فى أخبار أهل المغرب والاندلس " لابن حيان (٣٧٧ ـ ٤٤٩هـ/ ٩٨٧ ـ ١٠٧٦م) .

حيث يعتبر ابو مروان بن حيان من بين مؤرخى الاندلس واصدقهم روايه وابلغهم أسلوبا وأبرعهم نقدا .

على أن الباحثين المتأخرين الذين حصلوا على عدة قطع مخطوطة من تاريخه الكبير وضعوا امامنا مادة غزيرة من تراث هذا المؤرخ نستطيع على

ضوئها أن نقدر أهميتها بالنسبة لتاريخ الاندلس بصفة عامه ولعصر عبد الرحمن الاوسط خاصة • وينتمى ابن حيان الى اسرة نابهه من الموالى وهو أبو مروان ابن حيان ابن خلف بن حسن بن حيان بن محمد بن حيان • كان جده الكبير حيان مولى الامير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام (عبد الرحمن الداخل) ولد ابن حيان فى قرطبة سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) ودرس بها وكان أبوه خلف بن حيان من وزراء المنصور بن ابى عامر • وكانت قرطبة قد اصبحت فى ذلك الوقت اعظم مركز للدراسات الممتازه بالاندلس وجامعتها الشهيره منذ اواخر عهد الحكم المستنصر واوائل عهد المنصور اعظم الجامعات الاندلسيه حيث درس ابن حيان الحديث والادب واللغه ، وقد برع فى الادب والروايه حتى اصبح من اعلامها وخاصة محققيها • كما كانت نشأته الارستقراطيه وعلاقته بالاوساط العليا تتيح له حسن الاطلاع والوقوف على شئون الدولة ودراسة مختلف التيارات السياسيه حيث شاهد ابن حيان شبابه احداثا كثيره وشيره من اضطراب وتعدد الحكومات فى الاندلس مما فرق وحدة الاندلس وهذه اذكت مخيلة ابن حيان وصقلت قلمه وأمدته بكثير من التعليقات الصائبه والملاحظات النقديه القويه • ذلك أن مجهود ابن حيان التاريخى يحظى بأعظم تقدير فى كتابه الجامع " المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس" وهو تاريخ الاندلس حتى عصره أى عصر ملوك الطوائف • وهذا الكتاب اقيم ماانتهى الينا من تواريخ الاندلس فى عصر الاماره والخلافه وقد اشتهر ابن حيان فى عصره بصدق الروايه وبلاغة الاسلوب ، فهو يقدم لنا أقيم الروايات وأنفسها ، واسلوبه التاريخى يتسم بروح علميه ونقديه بارزه • وهو بذلك يجمع فى أسلوبه القوى بلاغه العرض وروح التحقيق والنقد • ويرجع ابن حيان الى اسلافه من مؤرخى الاندلس خصوصا احمد ابن موسى الرازى المتوفى سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٥م) • فى كتابه " اخبار ملوك الاندلس" وغيره •[1] كما يرجع الى ابن القوطيه المتوفى سنة ٣٦٧ هـ •

---

(١) الكتاب هذا وغيره لم يصلنا منهما شئ •

ويعنى ابن حيان عناية خاصة بأيراد الوثائق الرسميه الهامه وهو يورد لنا منها عددا لانجده فى أى مصدر آخر من مصادر التاريخ الاندلسى مثل كتاب " الحكم بن هشام عن ثورة الربض " وكتاب آخر عن " الناصر فى الحمله على ابن مسره وتعاليمه الالحاديه " ووثائق كثيره اخرى لم نجدها الا فى تراث ابن حيان المخطوط وقد كتب ابن حيان غير المقتبس موءلفين آخرين هما " المتين " وهو تاريخ للاندلس تبالغ بعض الروايات فى ضخامته .
عاش ابن حيان اكثر من تسعين عاما وتوفى فى اليوم السابع والعشرين من ربيع الاول سنة ٤٦٩هـ (٣١ أكتوبر سنة ١٠٧٦) ودفن فى مقبرة الربض شرقى قرطبه وكانت مثوى العظماء .

ومقتبس ابن حيان فى عدة قطع مخطوطة :

أما القطعة الاولى : حصل عليها الاستاذ ليفى بروفنسال Levi Provincal فى خزانة القرويين بفاس قبل الحرب العالمية الثانيه : وهى تضم ستين لوحه كبيرة وتحتوى على حوادث الاندلس سنة ١٨٨ هـ الى سنة ٢٣٢هـ . وبها معلومات فريده عن يحيى الغزال الجيانى ، وابن فرناس وهاتان الشخصيتان من الشخصيات الهامه الخطيره التى تحدثت عنها فى عصر الاوسط فى هذا النص .(١)

القطعة الثانيه : تلى القطعة الاولى من حيث الترتيب الزمنى وهى تحفظ الى اليوم بخزانة جامع القرويين وهى قطعه كبيرة تحتوى على ٩٥ لوحه كبيرة أى ١٩٠ صفحه ولكنها باليه جدا وصعبه القراءه والتحقيق بحوادث عصر الحكم بن هشام وعبد الرحمن بن الحكم والاميرمحمد بن عبد الرحمن ، وتورد لنا تفاصيل ومعلومات هامه عن بلاط قرطبه واحواله فى هذا العصر ،

---

(١) محمد عبدالله عنان . تراجم اسلاميه شرقيه واندلسية ط ٢ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧

والصقالبه والوزراء والعمال وقد قام على نشرها الدكتور محمود مكى وكيل معهد الدراسات الاسلاميه السابق بمدريد .(١) وهذه القطعه هى التى رجعت اليها فى بحثى تقريبا اى كانت جزءًا من الكتاب المشار اليه وهو " المقتبس" وقد افادتنى فى الفصل الاول من فصول بحثى وفى تنظيم امارة قرطبة . وهناك قطعه ثالثه توجد بالمكتبه البودليه باكسفورد من (١٠٧) لوحه فيها حوادث عهد الامير عبدالله بن محمد واخبار ثوار الاندلس خلال الفتنيه الكبرى سنة ٢٧٦ هـ . الى نهاية عهد الامير عبدالله سنة ٣٠٠ هـ . اما القطعة الرابعه فهى صغيره وهى من ستين ورقه تحتوى على احداث اربعة اعوام بين حكم الخليفة المستنصر بالله وهى أعوام (٣٦٢ ـ ٣٦٥ هـ) (٢)

وقطعة خامسه وهى اكتشاف لكتاب " المقتبس " تقع فى ١٨٥ ورقه كبيره تضم ٣٧٠ صفحه فى كل صفحه منها ٣٢ سطرا وكل سطر ١٤ كلمة ولا يحمل المخطوط عنوانا وربما للنقص الموجود من اوله وقد نقله الينا المؤرخون المتأخرون مثل المقرى ، والمعاصرون مثل ابن بسام وغيره . ولاشك ان المقتبس لابن حيان يعتبر موسوعه ضخمه فى تاريخ الاندلس ورجالاتها حتى منتصف القرن الخامس الهجرى . (٣)

أما منهج ابن حيان التاريخى : فهو مزيج من طريقة الفصول وطريقة الحوليات ويتخلل ذلك فى احيان كثيره الحديث عن الشخصيات

---

(١) محمد عبدالله عنان . المرجع السابق ص ٢٧٧ ، ٢٧٨
(٢) محمد عبدالله عنان . المرجع السابق ص
(٣) محمد عبدالله عنان . المرجع السابق ص ٢٧٩ .

الهامه وطريقة الحوليات تتعلق على وجه الخصوص بالغزوات والحوادث العسكرية وابن حيان ابرع مؤرخ اندلسى فى تصوير الشخصيات وابراز فضائلها او نقائصها

٢ـ المقرى : نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب :

مصدر آخر افدت منه ورجعت اليه فى هذا البحث وهو كتاب " نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب " لمؤلفه المقرى وهو شهاب الدين ابو العباس محمد بن احمد الشهير بالمقرى نسبه الى مقره موطن اسرته القديم وهى بلدة من اعمال قسنطينه . ولد بمدينه تلمسان ونشأ بها ولم يذكر تاريخ مولده ، وعثر على هذا التاريخ فى نص ورد فى كتاب " مرآة المحاسن " لسيدى العربى الفاسى وهو فى سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨م) نشأ بتلمسان ثم رحل الى مدينة فاس سنة ١٠٠٩هـ . ودرس الادب والحديث والفقه المالكى ثم عاد الى تلمسان سنة ١٠١٠ حتى عام ١٠١٣هـ . ثم رجع الى فاس واتصل بمولاى زيدان وآله الاشراف السعديين امراء مراكش ثم ولى الامامه والخطابه فى جامع القرويين بفاس ثم ولى الافتاء واستمر فى منصبه حتى سنة ١٠٢٧ هـ ـ بعدها رحل الى المشرق ولكن لم تعرف ظروف رحيله والغالب انه ارغم على ذلك ولكنه لم يذكر ذلك عن نفسه . وصل الى مصر سنة ١٠٢٧ هـ واقام بها اشهرا ، ثم ذهب بعدها الى الحج سنة ١٠٢٨هـ وعاد الى القاهرة ولازم الدرس بعد ان تزوج امرأة مصريه ولكن هذا الزواج لم يدم طويلا وقد حج مرات عديدة ولكنه استقر بالقاهره وكما ذكرت لازم الدرس بالجامع الازهر ، وزار القدس ودمشق وعاد الى القاهره حيث عكف على ترجمة ابن الخطيب واثناء ذلك لم يكن مرتاح البال فى غربته فكان فى منفاه متعبا ويبدو أن متاعبه كانت مرتبطة بمعيشته فوق شجون الاغتراب لكنه مع ذلك استطاع ان يتم كتابه عن ابن الخطيب . وبعد ذلك خطرت له فكره هى أن يمهد لكتابة بذكر الاندلس

وتاريخها وذكرياتها وتطورت هذه الفكره حتى غدت هيكل الكتاب الاصلى فاستمر فى الكتابه عاما وبضعة اشهر واتم مؤلفه فى ذى الحجة سنة ١٠٣٩ هـ (١٦٢٩ م ـ ١٦٣٠ م) واختار له اسما جديدا هو نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب" وهو فى الحقيقة موسوعه عن الاندلس وتاريخها وجغرافيتها وآدابها . ويرجع المقرى الى الاقتباس اكثر مما يرجع الى التأليف ومع ذلك فان له فضلا لا يقدر . ونفح الطيب هو اقيم مصادرنا العربية عن تاريخ الاندلس وادابها وبعد ان انتهى من مؤلفه هذا بمدة قصيرة توفى فى جمادى الاولى سنة ١٠٤١ هـ يناير ١٦٣٢ م ودفن بالقاهره وقسم المقرى كتابه عن الاندلس الى قسمين كبيرين خصص اولهما للتعريف بتلاندلس وتاريخها وآدابها . والثانى للتعريف بابن الخطيب ويشتمل كل قسم على ثمانية أبواب . كما يشمل الاول منه على وصف الاندلس وجغرافيتها وفتحها على يد موسى وطارق ، وتاريخها فى عهد الولاه وبنى أميه وملوك الطوائف ، فوصف قرطبه ومعاهدها وضواحيها ومنتزهاتها ثم التعريف بالراحلين من الاندلس الى المشرق والوافدين من المشرق على الاندلس واستعراض آداب الاندلس ، ثم تاريخ الصراع الاخير بين الاندلس واسبانيا النصرانيه وسقوط الاندلس الاخير على يد النصارى .

أما القسم الثانى فيشمل نشأة الخطيب وتدرجه فى طريق المجد وما لقى من الاحداث والمحن حتى وفاته . ويشغل الكتاب كلمة أربعة اجزاء ضخمة كل قسم فى مجلدين فهو كما قلنا موسوعة سواء من ناحية حجمة او محتوياته ذلك ان المقرى يحشد فى كل باب من هذه الابواب العامه كثيرا من المعلومات والوثائق والرسائل والمختارات ويجرى المقرى على قاعدة الاستطراد وينتقل بقارئه من موقف الى موقف وقد ترد خلال حديثة اهم المعلومات والوثائق حيث لا ينتظر ورودها وفى كثير من الاحيان ينقل المقرى الينا رساله باسرها ولا يعنى بالتنظيم والتناسق وانما يعرض مادة كتابه مبعثره حسب التقسيم البسيط الشامل

الشامل الذى ذكرناه وذلك ان المقرى لم يكن مؤرخا بالمعنى الحقيقى وانما كان اديبا وهو لايزعم انه مؤرخ او محقق او ناقد وانما يقول لنا انه ناقل فقط . (١) على ان للمقرى فى كتابه شخصية قويه تنبعث حراره الاسلوب من حديثه لانه يكتب عن الاندلس بروح الاعجاب والاسى خصوصا وان ذكريات الاندلس ماتزال فى عصره حيه . على اننى قد افدت فى بحثى هذا من المجلد الاول من كتاب (نفح الطيب) وخاصة الفصول الاتيه : الفصل الاول : فى شخصيات البلاط الاندلسى " زرياب " . ثم فى الفصل الثانى : فى تعريف عن الاندلس وجغرافيتها ثم فى الفصل الثالث : من علاقات الاوسط الدبلوماسيه مع النورمان . كذلك فى الفصل الخامس فى اقبال المجتمع الاندلسى على العلوم العربية . ثم فى الفصل السادس فيما يخص عمارة القصور والمناظر لاسيما عمارة المساجد فى احياء قرطبه ومرسيه .

كل هذه المعلومات كانت جيده ومفيده ولكن المقرى لم يكتب كل شىء بالتفصيل فقد تحدث بصفه عامه وعابره وعلى الرغم من ذلك فان استفادتى منه كانت قيمه حيث افادنى بمعلومات لابأس بها .

٣ ــ ابن عذارى : البيان المغرب فى اخبار اهل الاندلس والمغرب جـ ٢ :ــ

يقع هذا الكتاب فى أربعة أجزاء . وهو لابن عذارى المراكشى الذى حققه وراجعه Kolan A.Lavey Provincal, G.S. وابن عذارى هو : عبدالله بن محمد المراكشى مؤرخ المغرب والاندلس ولانعرف عنه الا أنه

---

(١) المقرى : نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب جـ ١ ص ٣٦ .

نشأ حوالى نهاية القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) وبهذا القرن يختتم تاريخه الذى له اهمية خاصة لانه يتضمن اجزاء من مصنفات مفقوده . وكتاب " البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب " لم يصل الينا كاملا . وقد نشر دورى كتاب البيان المغرب بعنوان :

Histoire de l' Afrique et d'Espagne فى مجلدين فيما بين ١٨٤٨ ـ ١٨٥١م)(1) .

ومما لاشك فيه ان البيان المغرب يعتبر من المصادر الهامه التى رجعت اليها فى بحثى حيث استفدت منه فى بعض الفصول مثل الفصل الاول : عن شخصية عبد الرحمن الأوسط وانتقال الاندلس الى الدور الحضارى فى عهده ولكنه لم يفصل كثيرا فى هذه الناحيه . أما الفصل الثانى ففى اخماد فتنة المستعربين فى قرطبه وطليطله وسرقسطه قد افادنى فى هذا الفصل بالذات افادة جيده . أما الفصل الثالث من هذا البحث فقد استفدت عن البيان المغرب نقطة هامه هى بالنسبة للعلاقات الحربيه مع النورمان منذ سنة ٢٢٩ هـ . وغارتهم الاولى على اشبيليه اذ تحدث عنها ابن عذارى بشكل مفيد لا هو بالمفصل المطول ولا هو بالمختصر المبتور فقد كان حديثه رائعا بحق .

٤ ـ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر . المجلد الرابع القسم الاول :

ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م) ـ ٨٠٨ هـ مؤرخ وفيلسوف اجتماعى عربى مسلم مشهور ينتهى نسبه الى وائل بن حجر من عرب اليمن . اقامت اسرته فى تونس حيث ولد وتعلم ونشأ بها

---

(1) دائرة المعارف الاسلاميه : نقلها الى العربية محمد ثابت افندى وآخرون المجلد الاول .

تنقل فى بلاد المغرب والاندلس ثم اقام بتلمسان وشرع فى تأليف تاريخه ، عـاد الى تونس ومنها انتقل الى مصر ، واتصل بسلطانها برقوق فولاه قضاء المالكيـة حج الى مكة سنة ١٣٨٧م . ورافق جيش المماليك لصد زحف تيمور لنك . انقطع للتدريس والتأليف فأتم كتابه : " العبر وديوان المبتدأ والخبر " وله قيمـة كبرى بين كتب التاريخ الاسلامى كما ان [illegible] خطرا عظيما ، مما جعل مـن ابن خلدون موءسسا لفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع . وللمنهج التاريخـى قواعد للبحث فى تلك الوقائع ، حيث جعل ابن خلدون علم التاريخ فرعا مـن فروع الفلسفه . (١)

وقد استفدت من هذا الجزء وهو الرابع . فقد ورد فيه أخبار عديـده من امم ودول وملوك مثال ذلك . أخبار الدولة العلويه وغيرها كثير الـى أن وصل الى ذكر دولة بنى أمية بالاندلس وهذه النقطه بالذات لاتهم بحثـى بقدر مايهمنى حديثه المختصر الذى افادنى نوعا ما فى الفصل الاول حيـن تحدث عن شخصية الاوسط ، ثم شخصيات البلاط الاندلسى مثل " نصـر الخصى" ثم وفاة عبد الرحمن الاوسط . أما فى الفصل الثانى من بحثى فقـد أخذت عن ابن خلدون القضاء على الخصومات العربية واخماد فتنه المستعربين فى امارة مارده وسرقسطه وطليطله . وبالنسبة للفصل الثالث فقد استفـدت من حديث ابن خلدون فى العلاقات الحربيه مع النورمان ، كذلك العلاقـات الدبلوماسيه مع البيزنطيين . لكن ابن خلدون قد اختصر واوجز القول ولـم يفصل اخباره كامله فى كل هذه النواحى السابق الاشارة اليها . هذا مايتعلق بكتاب ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر . الجزء الرابع منه بوجه خاص .

---

(١) غربال شفيق . الموسوعة العربية الميسره ص ١٤ .

٥ـ أبو عبيد الله البكرى : المسالك والممالك ت ٤٨٧ هـ/١٠٩٤م :ـ

يلى ابن خلدون في الاهمية كتاب جغرافيه الاندلس واوربا من كتاب " المسالك والممالك " لابى عبيد البكرى وابو عبيد البكرى نسبة الى بكر بن وائل وشهرته " ابو عبيد البكرى " ولد حوالى سنة ٤٠٥ هـ ٠(١٠١٤م) ٠ فى مدينة شلطيش غربى اشبيليه وتوفى فى قرطبه واشبيليه فى سنة ٤٨٧ هـ ٠ (١٠٩٤م) بعد أن عمر مايقرب من الثمانين عاما ٠ وهو من بيت امارة وشرف حيث كانت (امارة البكريين) فى شلطيش وولبه Huelva وذلك بعد سقوط الخلافه الاموية فى الاندلس استمرت واحدا واربعون سنه ثم انتهت عندما استولى عليها المعتضد بن عباد ٠ فرحل عبد العزيز ابو مؤلفنا مع أهله الى قرطبه حيث كان يحكمها بنو جهور ٠

فكان البكرى شابا حيث تيسر له ان يلتقى باقطاب العلم والمعرفه امثال ابن حيان القرطبى الذى توسم فى البكرى النجابه والذكاء ٠

يعتبر البكرى ممن جمعوا المعارف المتنوعه من النوع الموسوعى الذين انجبهم القرن الخامس الهجرى ٠ عاش البكرى فى الاندلس فى الوقت الذى كانت فيه الاندلس فى عصر الفتن والمآسى والتفكك وبالرغم من ذلك الجو القاسى فانه زهد فى السياسه وانصرف الى العلم فكان يحب الكتب حبا جما ٠ ثم تحول فى مدن الاندلس الى ان استقر فى اشبيليه حتى توفى بها ٠ هناك مصادر قديمه وحديثه اشادت بانتاجه وتحريه للدقه وتقصيه الحقيقه فكان مبدعا فى تفكيره ونشاطه العلمى مؤلفاته عديده وفى موضوعات متنوعه ٠ فقد احصى له اثنتى عشر كتابا او اكثر فى الادب واللغه والنبات وموضوعات اخرى ٠ اما فى الجغرافيا فله مؤلفان هما كتاب " معجم مااستعجم "

وهو مطبوع ، وكتاب " المسالك والممالك " التى تتعلق بالمشرق لا بالاندلس وطريقة المعاجم الجغرافيه نراها اكثر لدى من جاء بعد البكرى امثال ياقوت الحموى فى معجم البلدان . اما فى المسالك والممالك فقد ابتدأ البكرى فى تأليفه ، ولكن الظاهر انه آخر كتاب له ولذلك جاء هذا الكتاب رائعا عظيما وان كان خاليا من الخرائط ، ويعتبر قمة اعمال البكرى وهو فى الوقت نفسه قمة الانتاج الجغرافى الاندلسى ان لم يكن الاسلامى كله . ويحتوى على كثير من المعلومات التاريخيه حيث يبدأ البكرى كتابه بالكلام من بدء الخليقه ويستمر حتى زمانه وهو يتحدث عن البلدان والشعوب المختلفة وحينما يتحدث عن البلدان يتحدث عن كثير منها على انفراد ويتحدث عن كل واهم مدن ذلك البلد والكتاب ليس وصفا جغرافيا خالصا بل يتحدث عن البلد واهله وحدود الاقطار ومم تشتهر هذه الاقطار وما جرى فيها من احداث . (١)

قد يروى بعض الحكايات . ولاشك ان هذا الكتاب لم يصلنا كلــه . (٢)

ان البكرى لم يكتسب خبرته ومعلوماته الجغرافيه نتيجة الرحلات والتجول كما فعل غيره من الجغرافيين المسلمين كابن حوقل وابن بطوطه وغيرهم بل اعتمد على المؤلفات وعلى شيوخه الذين تلقى عنهم ، والراجح ان يده استطاعت الوصول الى كتابات ووثائق جغرافيه ربما لم تصل اليها يد الاخرين ولذلك قدم الينا البكرى مايمكن ان يعتبر من اقدم وادق التقارير

---

(١) د . عبدالرحمن على الحجى . جغرافيه الاندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك ص ٢٩ الى ٤٣ .

(٢) الحجى . المرجع السابق ص ٤٣ .

الجغرافيه خاصة بالنسبة للمناطق النائيه والمعروف عنها قليلا ٠

أما مكانة البكرى الجغرافيه فهى ليست من الدقة والتقصى منهجا وأسلوبا فقط بل تبدو أهميته فى روعة تصوره لجغرافيه العالم يومها وطبيعة الارض وجغرافيتها ٠ ولقد سبق البكرى عصره فى بعض الاراء فيقرر فى (القرن الخامس الهجرى) ٠ الحادى عشر الميلادى ٠ كروية الارض بصراحة ٠ ويعتبر البكرى من اعظم الجغرافيين قاطبه ٠ واهمية هذا الكتاب بالنسبة لبحثى ومدى افادتى منه قيمة فقد اعطانى معلومات جغرافيه عن معظم بلاد الاندلس واسمائها وهذا شىء لابد منه فى عرض الموضوع لأعرف طبيعه هذا البلد وسكانه ومناخه والاسماء القديمه والحديثه لبلاد الاندلس ٠ لما للتاريخ ارتباط وثيق بالجغرافيا

٦ ــ الخشنى : كتاب " قضاة قرطبه " :

هو ابوعبيدالله محمد بن حارث بن اسد القيروانى المغربى المتوفى سنة ٣٦١ هـ ٠ عاش السنوات الاولى من حياته فى القيروان وسمع بها من احمد بن زياد واحمد بن نصر ٠ ثم رحل الى الاندلس صغيرا فى الثانيه عشرة من عمره ونزل قرطبه وهو من اهل العلم والفضل ، فقيه محدث ولى الشورى ،وكان شاعرا بليغا الا انه كان يلحن ٠ كان عصر الخشنى أزهى العصور سياسيا واقتصاديا ٠

أما مصادر مادة كتابه هذا فكانت مختلفة اعتمد فى الدرجة الاولى على ما كان تحت يده من خطابات تبودلت بين الحكام والقضاة ، كما رجع الى بعض الوثائق الخاصة التى كانت محفوظه عند بعض الاسر والعائلات ويقال انه اعتمد على بعض الكتب المجهوله الاسم والعنوان كذلك رجع الى الروايات التى كانت تتواتر بين الناس فى ذلك الحين ولم تكن المادة المسموعه التى سجلها

الكتاب تقل اهمية عما رجع اليه من مصادر . على أن الخشنى لم يكن مدققا في تقصى الاخبار او دراستها وانتقاء الروايات الصحيحه ويكفى للتدليل على ذلك أن نذكر شيئا قاله : " رأيت فى بعض الحكايات ، ذكر بعض اهل العلم ، اخبرنى من اثق به من أهل العلم ، رأيت فى بعض الكتب ، ومايحكيه الناس وما يدور على السنتهم من اخبار وهكذا " والواقع ان الخشنى لم يكن الا ناقلا للاخبار مسجلا لها دون ادقاء أو تغيير او اضافات وكان فى استطاعته ان يصوغها وان يعرض ماوصل اليه علمه دون تلوين او تدخل . وليس معنى ذلك ان الكتاب يدعو الى الملل والنفور فسوف يجد القارئ كثيرا من المواقف الشيقه والروايات والاخبار التى تمثل حقائق حدثت ومشاهدات مرويه فى معظم الاحيان وعادات شعبيه كانت سائده فى ذلك الحين لكنه لم يمل الى التحيز والتعصب السياسى او المداهنه بل احترم حكام قرطبه والذين اكرموه .

وأهم مافدته من هذا الكتاب فى بحثى فى الفصل الاول بالذات عن شخصيات البلاط الاندلسى " يحيى بن يحيى الليثى " حيث يتضح ذلك من عنوان الكتاب (قضاة قرطبة) فقد تحدث عنهم بشئ من التفصيل وذكر اهمية يحيى بن يحيى فى تولية القضاة وعزلهم . ولكنه لم يفصل عن يحيى بن يحيى نفسه شيئا كثيرا او مفيدا بالمعنى المطلوب من هذه الشخصية وانما بين دوره وبروزه (١) فى هذا العصر وسيطرته او بالاحرى سلطته الواسعة فقط .

---

(١) ترجمة عن يحيى بن يحيى الليثى وهى : يعتبر يحيى بن يحيى الليثى اول الشخصيات التى تبرز امامنا وهو الفقيه المشهور صاحب اليد الطولى فى نشر مذهب مالك بن انس فى الاندلس حيث انبسط سلطانه واصبح اقرب مايكون الى مايسمى اليوم " وزير العدل " وقد اتسع سلطان هذا الفقيه الى درجه انه يحاول الاستبداد بالامير عبدالرحمن الاوسط .

ثانيا : الموسوعات وكتب التراجم والمعاجـــم :ـ

١ـ د · عبدالرحمن فهمي محمد : موسوعة النقود العربية وعلم النميات :ـ

وموضوع هذا الكتاب يبحث في السكه الاسلا ميه منذ ان استطـــاع العرب في القرن الاول الهجرى ضرب سكه خاصه بهم ويتناول المؤلف بحث السكه الاسلا ميه في كل دار الاسلا م حتى (القرن الرابع الهجرى) فمنذ عهـــد العرب قبل الاسلام وبعده حتى عهد عبدالملك بن مروان وهم يتعاملون بمسكوكات الدولة البيزنطية في مصر وسوريه وشمال افريقيا ومسكوكات الدولة الساسانيـــه في فارس والعراق ، فأصبح في عهد الملك يعتمد اساسا على الدنانير والدراهـم الاسلاميه التى وصلت مع التجار العرب الى اقاصى آسيا وأوروبا في العصـــور الوسطى وراجت في الاسواق العالميه حتى لم يكن يقبل في التعامل غيرها مما أضطـــر الكثير من الملوك الى ضرب عملا تهم على طراز العمله الاسلاميه كى تقبلها شعوبهم والحق ان دراسة المسكوكات الاسلا ميه كفرع من فروع علم النميات من الدراســات الاثريه الشاقه التى تحتاج الى صبر وأناة لاحد لهما الى جانب الاطلاع الواســع والدراسه المثمره التى تتصل بكثير من الفروع الاثريه والتاريخيه وهو موضوع لاتخفى أهميته على المشتغلين بالاثار الاسلا ميه ·

ويصف مؤلفنا موسوعته بقوله : " موضوع هذا الكتاب " فجر السكـــه العربيه " دراسة متواضعه في السكه الاسلا ميه منذ فجر الاسلام حتى القـــرن الرابع الهجرى (العاشر الميلا دى) وقد دفعنى الى البحث في هذا الموضوع أهمية السكه في استكمال المؤرخين لدراسة تاريخ العالم الاسلامى ، وكـــان من عوامل التشجيع وجود مجموعة غنيه من المسكوكات بمتحف الفن الاسلا مـــى لم تر واحده منها النور من قبل وفي بحثى هذه المجموعة ونشرها ودراستهــا

دراسه علميه ومقارنتها بغيرها من المجموعات الاخرى مايضيف الى العلم وثائق هامه يمكن الاعتماد عليها فى استنباط الحقائق التاريخيه سواء مايتعلق منها بالاسماء أو العبارات الدينيه المنقوشه او مايتصل بتطور الحياة الاقتصاديـة فى العالم العربى • فالسكه سجل للالقاب والنعوت التى تلقى الضوء على كثير من الاحداث السياسيه والتى تثبت او تنفى تبعيه الولاه او السلاطين والبلاد للخلافه أو للحكومات المركزيه فى التاريخ الاسلامى وهى بذلك تعتبر وثائق صحيحه ورسميه ليس من السهل الطعن فى قيمتها وتغطى دراسة السكه فى هذا الكتاب مرحله طويله تبلغ اكثر من ثلاثة قرون ونصف القرن صدرت خلالها مسكوكات متنوعه خضع بعضها لمظاهر التبعيه السياسيه والاقتصاديـة واستقل بعضها بشخصية معينه من مسكوكات العالم الاسلامى وتبدأ السكـه الاسلاميه بوجه عام والمصريه بوجه خاص فى عصر الانتقال أى منذ الفتح الاسلامى حتى بداية العصر الطولونى ثم زاد ذلك بدراسات فى السكك فى العالـم الاسلامى بمختلف انواعها من دنانير ذهبيه ودراهم فضيه وفلوس نحاسيـه وكان لابد من الحديث عن دور السكه وتاريخها والقائمين عليها وطرائـق الصناعه فيها وعلاقتها بدار العيار" ولهذه الموسوعه بالنسبة لموضوع بحثـى اهمية بالغه فقد اخذت عنها فى الفصل الرابع فى موضوع قيام دار الضرب الاندلسية واصدار الدراهم والفلوس • وقد وجدت فى هذه الموسوعه قيـام دار الضرب الاندلسيه منذ بداية عهد الامارة الى عهد عبدالرحمن الاوسـط ومابعده ولكن الذى يهمنى هو عهد عبدالرحمن الاوسط وما أضاف من زيادات وماضربت من نقود فى عهده • وقد اخذت بعض اللوحات المنشوره بالموسوعـه وصورتها لاقدمها ضمن بحثى عسى أن تكون مفيده كوثائق نقديه لما صدر بالاندلس فى هذه الفترة •

٢ ـ د . احمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلاميه :ـ

خلاصة المنهج الذى اتبعه المؤلف فى هذه الموسوعه هى : الدراسة الزمنيه لان العالم الاسلامي كان وحده واحده ، فقد خصص الجزء الاول من هذه الموسوعه لدراسة صدر الاسلام ، والجزء الثانى للدولة الاموية والحركات الفكرية فى عهدها والجزء الثالث للخلافة العباسية ، ومن المعروف أن العالم الاسلامي تفكك بعد العصر العباسى الاول ومرت به حركات تجمع وتفكك لذلك أصبح المنهج فى الكتابه لهذه الموسوعه ابتداء من الجزء الرابع هو تتبع الخط الجغرافى وليس الخط الزمنى أى التكلم عن قطاع جغرافى من قطاعات العالم الاسلامي يبتدئ من المغرب كله كلا فا عاما ناحية التاريخ الاسلامي والحضاره وبعد ذلك يفصل القول فى تاريخ كل دولة من دوله مثل المغرب من الفتح الاسلامي حتى للعهد الحاضر ثم الجزائر وتونس وليبيا . ويخصص الجزء الخامس للقطاع المجاور وهكذا حتى يصل فى الجزء الثامن الى اندنيسيا فى اقصى الشرق وبهذا حقق هذا الجزء هدفا كان غير واضح فى اذهان كثير من الباحثين ذلك هو الاطار الزمنى لما يسمى التاريخ الاسلامي " فقد كانت اتجاهات خاطئه تقف بنا التاريخ الاسلامي عند عصر معين ولكن التاريخ الاسلامي يشمل تاريخ الدولة الاسلاميه منذ ان دخلها الاسلام حتى العهد الحاضر مادام الاسلام دينا لها .

وقد عنى المؤلف فى الجزء الرابع الذى رجعت اليه فى بحثى بالموضوعات الحضاريه المتصله بتاريخ هذه المنطقة وعقد لها دراسات مستقلة مثل حضارة المسلمين فى الاندلس ، ومشكلة الجنس واللغه فى الشمال الافريقى والسنوسيه وغيرها من الموضوعات . وقد استفدت من الجزء الرابع هذا فى بحثى

في الفصل الاول وخاصة فى مسألة التأثيرات العباسية فى الاندلس وشخصيات البلاط الاندلسى فى عهد الاوسط • وفى الفصل الثانى فى موضوع اخماد فتنه المستعربين فى قرطبه • ثم فى الفصل الثالث العلاقات الحربيه مع النورمان • كذلك فى الفصل الخامس فى اقبال المجتمع الاندلسى على العلوم العربية ونهضة العلوم الدينيه والعلميه البحته مثل الطب وغيره • اما فى الفصل السادس ففى الاعمال العمرانيه فى عهد الاوسط ومنها مسجد قرطبه •

٣ـ محمد عبدالله عنان : تراجم اسلاميه شرقيه واندلسيه الطبعه الثانيه ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م

ظهرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب منذ اكثر من عشرين عاما وبعدها راجع المؤلف هذه المجموعة من التراجم وزادها بطائفه من التراجم الجديدة وكانت هذه الزيادة قد تناولت عدة تراجم هى : صقر قريش ويحيى الغزال وعبدالرحمن الناصر ، والمعتمد بن عباد ، وابن تاشفين ثم محمد بن الاحمر الكبير والمقرى • وكتب تراجم جديدة منها اثنتان فى الكتاب الاول وهى ترجمة الملك ناصر الدين والثانيه ترجمه وزيره بهاء الدين قراقوش ، واحدى عشرة ترجمه كلها من اعلام التفكير فى الغرب الاسلامى وهم عباس بن فرناس وابن حيان " وهما ماكانا ضمن بحثى حيث استفدت من هذه الناحيه عن كلا هذه الشخصيتين " ثم ابن بسام والشريف الادريس وقد ادرجت كلها فى الكتاب الثالث وقد قسمت هذه المجموعة الى ثلاثة كتب • الاول يضم تراجم شخصيات الشرق الاسلامى والثانى يضم تراجم شخصيات المغرب الاسلامى والثالث يضم اعلام التفكير فى المغرب الاسلامى • والى جانب هذه التراجم الموجزه توجد ثلاث تراجم مستقله أولاها للحاكم

بأمر الله ، والثانيه لابن خلدون والثالثه لابن الخطيب •

أما مدى استفادتى من هذا الكتاب فكانت قيمة الى درجة كبيره جدا بالنسبة لبحثى وخاصة لمقدمة البحث وماتضمنته من ترجمه : (ابن حيان القرطبى) صاحب كتاب المقتبس فى اخبار أهل المغرب والاندلس " فجاء بتوضيح كامل بالمادة العلميه عن مؤلف المقتبس وعن المقتبس نفسه • ثم ترجمة عن " المقرى " صاحب كتاب " نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب "

٤ ـ محمد عبدالله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس من الفتح حتى بداية عهد الناصر الطبعه ٤ :ـ

هذه الطبعه الرابعه اكمل فيها المؤلف تاريخ الاندلس منذ بدايته الى نهايته وعصوره الاربعة على النحو التالى : العصر الاول الذى يشمل تاريخ فتوح افريقيا والاندلس وعصر الولاة ثم تاريخ الدولة الاموية الاندلسية منذ قيامها فى ظل الامارة ثم الخلافه الامويه وانحلالها على يد الدولة العامريه ثم انهيارها وسقوطها وبدء قيام دول الطوائف الاندلسيه • أما العصر الثانى : فهو دولة الطوائف الى القرن الخامس الهجرى على أن اهمية هذا الكتاب بالنسبة لبحثى كانت اهمية قيمه حيث اننى استفدت منه فى عدة فصول ونقاط مختلفة اذكر منها على سبيل المثال الفصل الاول فى شخصية الاوسط ثم شخصيات البلاط الاندلسى فى عهده • أما فى الفصل الثانى ففى حروب الاوسط فى الاندلس واخماد فتنة المستعربين فى طليطله وماردة وسرقسطه • وبالنسبة للفصل الثالث فقد اقتبست منه نقطتين مهمتين هما العلاقات الحربية مع النورمان ثم ارتباط الغارات النورمانديه بانشاء البحريه

الاندلسية وغزوة جليقــة ٠ كذلك استفدت فى الفصل الخامس استفادة لابـأس بها وهى نقطة اقبال المجتمع الاندلسى على العلوم العربيه ٠ أما فى الفصـل السادس والاخير ففى مسجد قرطبة ولكن بشىء من الاختصار ٠

٥ ـ زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمه في التاريخ الاسلامى :

هذا الكتاب عن الاسر الحاكمة فى التاريخ الاسلامى صنفه المستشـرق النمسوى الاستاذ ادوارد فون زامباور
صدرت منه طبعتان أحداهما باللغه الالمانيه والاخرى باللغه الفرنسيـــه لكننى انتفعت بالنسخة العربية المترجمة عن الفرنسيه وهىترجمة زكى حســن وآخرين فى مجلدين وكان فراغ زامباور من وضع هذا الكتاب فى بداية الربــع الثانى من القرن الحالى ٠ كان زامباور من رجال السلك السياسى فى بـلاده وظل وزيرا مفوضا للنمسا فى البلاط العثمانى سنة ١٩١٣ الى سنة ١٩١٨م ٠ وكان مولعا بجمع النميات ودراستها حتى اصبح من أئمة هذا الميدان فعهـد اليه المشرفون على دائرة المعارف الاسلامية بتحرير المواد المتصلة بالسكـــه الاسلاميه ٠ لم يكن هذا الكتاب الذى صنفه زامباور فى انساب الاسر الحاكمـة فى التاريخ الاسلامى اول كتاب شامل من نوعة فقد سبقه الى هذا الموضــوع المستشرق الايرلندى الاستاذ ستانلى لين بول الذى اصـدر سنة ١٩٨٤م ٠ كتابه المشهور عن الاسر الحاكمة الاسلاميه
٠ ولكن تقدم الدراسات التاريخيه الاسلاميـــة ونشر كثير من المصادر القديمة استوجبت مراجعة هذا الكتاب واصدار طبعـــة منقحه منه ٠ ومع ذلك لم يقدم احد على هذا العمل اللهم الا المستشــرق الروسى بارتولد من اصلاح أو زياده وقد نقل الاستاذ خليل ادهم الـــــن

التركيه كتاب الاسر الحاكمه تأليف لين بول فرجع زامباور الى هذه الترجمة قبل اصدار كتابه هذا الذى رجعت اليه فى بحثى . ولا شك أن هذا الكتاب جليل الفائده للمشتغلين بالتاريخ والحضارة الاسلاميه لانه تقدم فى ميدان هذه الدراسات خطا واسعة من كتاب لين بول فقد أعتمد زامباور على (الكامل لابن الاثير) .

ويمتاز زامباور بأنه لم يقف عند سرد الاسرات الرئيسيه بل امتد الى كثير من الاسرات الثانويه واسرات الوزراء والولاه وامراء القواد . كما امتاز باشتماله على فصل كبير من ولاة الامصار .

وقد عرفان لكتاب زامباور شأنا عظيما فى ميدان الدراسات التاريخية الاسلاميه . فنقل الى العربيه . والذى قام بنقله الى العربية ادارة الثقافه بجامعة الدول العربية وعهد بها الى الدكتور زكى حسن عميد كلية الاداب بجامعة فؤاد الاول . وقد افادنى هذا المعجم فى معرفة شجرة الانساب عن الدولة الاموية فى المشرق الاسلامى منذ عهد معاوية بن ابى سفيان الى نهاية الدولة . وكذلك فروع دولة الامويين فى الاندلس الى عهد هشام الثالث ٤١٨ / ٤٢٢ هـ وهذه الفروع اجد فيها مايهم بحثى واهمية هذه الشجرة تظهر فى توضيح الاصول والفروع للاسرات الاموية الحاكمة سواء فى المشرق فى زمنها الاول أو فى الاندلس فى عهد الاماره فى زمنها الثانى . فاذا درسنا شخصية من الشخصيات فمن الضرورى ان نعرف شجرة اصولها وفروعها وهذا مايهم بحثى للتوضيح عن شخصية الامير عبدالرحمن الاوسط فى الاندلس .

ثالثا : المراجع العامه وبعض كتب المستشرقين المترجمة :

١ـ احمد بدر : دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها :

نشطت حركة التأليف فى التاريخ الاندلسى على اسس علميه منذ القرن الماضى فى اللغتين الفرنسيه والاسبانيه واستمر هذا النشاط لكل من : رانيهارت ، ودوزى الهولندى ، وكوديرا الاسبانى واستمر هذا النشاط يظهر فى القرن الحاضر فى مؤلفات ليفى بروفنسال وفى مقدمتها كتابه العام عن (تاريخ الاندلس حتى نهاية عصر الخلافه) (١)

أما الدراسات العربية فى هذا المضمار وعلى تلك الاسس فما تزال قليله وقد قدم مؤلفنا الدكتور احمد بدر كتابه هذا باعتقاده ان هناك حاجة ملحه . ولاغناء للمكتبه العربيه عن دراسات علميه تغطى عصور التاريخ الاندلسى كلها فى المجالات السياسيه والحضارية . وقد رأى وهو ينشر الطبعه الثانيه من هذا الكتاب رأى ضرورة اغناء الطبعه الاولى فى مجالى العلاقات الخارجيه للاندلس والنشاط الفكرى فيها . وكذلك اضافة المناقشة لبعض أحداث الفتح مما يجعله اكثر انسجاما مع الطبعه الثانيه .

وقد رأيت فى هذا الكتاب فصول عده فالفصل الاول يشتمل على تاريخ الاندلس قبل الفتح لمقدمات الفتح الاسلامى نفسه ، ثم معركة وادى لكه وحمله موسى بن نصير .

---

(١) د . احمد بدر . دراسات فى تاريخ الاندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافه . ط الثانيه .

وفى الفصل الثانى تحدث عن عصر الولاة فى الفترة الاولى ٩٧ ـ ١١٤ هـ مع شرح الغزوات الاسلاميه فى اراضى غاليا وتعرض لموقعة بواتيه واوضح اهمية هذه المعركة فى فقدان آخر المعاقل الاسلاميه فى غاليا . أما فى الفصل الثالث : عبدالرحمن الداخل . فقد تكلم فيه المؤلف بكثير من التفصيل اى من قبل دخوله الى الاندلس حتى وصوله الى الحكم ، ثم سياسته نحو العصبيات ، كذلك علاقاته الخارجيه ونهايته واهمية اعماله .

وفى الفصل الخامس من الكتاب تعرض المؤلف لما هو مهم بالنسبة لبحثى اهمية بالغة كفترة الاستقرار والازدهار والتى شملت : امراء الثغور والامير عبدالرحمن الاوسط ثم ابنه الامير محمد وجهوده فى اخماد فتن الثغور كطليطله وغيرها من الفتن .

تلا ذلك النشاط الاقتصادى فى عهد الأوسط واثره على الادارة والمجتمع كالتوسع التجارى والبحرى ثم قوة الاسطول ومواد التجارة مع العرب مما كان له اثره فى رفاهية المجتمع الاندلسى وقصوره كالبناء والتغيير فى العادات الاندلسيه ثم الجهاز الادارى والعسكرى . وماتلاه من تغيير فى منحنى الحياة الفكرى مثل : " سيطرة آراء مالك ونتائجها " وتبع ذلك التغيير الاقبال على العلم كما اوضح الكتاب طرق انتقال الثقافة من المشرق وبين اهم العلوم فى هذه الفترة مثل علوم الدين واللغه العربيه والادب العربى والعلوم التطبيقية ، وتسرب افكار الاعتزال .

كذلك ورد فى هذا الفصل من الكتاب عن حركات المستعربين وانهيار الحضارة اللاتينيه المسيحيه ثم أهداف هذه الحركة كذلك شرح هذا الفصل العلاقات الخارجيه مع دول شمالى افريقيا بين الامويين ودول المغرب .

كذلك العلاقات الدبلوماسيه مع الدولة البيزنطيه وهى نقطة هامه بالنسبة لبحثى خاصه فى الفصل الثالث ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فقد استفدت من هذا الكتاب فى موضوع بحثى استفادة قيمة تشتمل على عدة نقاط فى فصول مختلفه حيث كانت مادة قيمة غذت معظم عناصر البحث واذكر على سبيل المثال : فى الفصل الاول فى شخصية الاوسط ثم التأثيرات العباسية فى حضارة الاندلس •

أما فى الفصل الثانى ففى حروب الاوسط فى الاندلس وفى فتن الثغور ثم اخماد فتنه المستعربين فى طليطلة كذلك اخذت عنه فى الفصل الثالث فى نقطة العلاقات بين الامارة فى الاندلس ودول شمالى افريقيا (التوسع التجارى) والاحوال الاقتصادية فى عهد الاوسط وتشمل نشاط الاسطول البحرى الاندلسى فى غرب المتوسط اما فى الفصل الخامس من البحث ففى نشاط الحياه الاندلسيه العلميه فى عهد الاوسط كذلك بالنسبة للفصل السادس والاخير فاستفدت فى نقطة اعمال الاوسط العمرانيه وتوسيع المسجد الكبير بقرطبه ثم عمائر القناطر ، وانتشار القصور الريفيه وخلاصة القول : ان هذا الكتاب قد استفدت منه بصوره اكثر شمولا فى بحثى وفى الفصول السته وان لم يكن فى جميع نقاطها فانه فى معظم نقاطها تقريبا • وبشكل جيد جدا ومفيد • كما كان اكثر المراجع اتساعا وتوضيحا بخصوص موضوع بحثى وشمولا لمادته • وقد كانت كتابته باسلوب سهل مسهب وشيق يحمل من المادة العلمية ماهو فنى ومفيد فقد اعتمدت عليه اعتمادا اكثر اتساعا وموضوعيه وان لم تكن كل نقاط البحث فهى اكثرها ومعظمها لان كل من كتب عن تاريخ الاندلس وعلى الاخص عهد الامير عبد الرحمن الاوسط فانه لم يكتب كأحمد بدر فى توسعة عن هذه الشخصية العظيمة بالذات فربما

كتب غيره عن نقطة معينه او بعض الشذور القليله من هنا وهناك ولم يــــوف عهد الاوسط حقه كما فعل الدكتور احمد بدر وعلى هذا فأنا مدينه لهــــذا الكتاب لتوفير المادة العلميه التى غذت موضوع بحثى بطريقه عميقه ومفيـــده وشبه شامله .

٢ ـ السيد عبدالعزيز سالم : كتاب تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس :

هذا الكتاب حقيقة قد ادى فيه المؤلف جهدا عظيما ليلقى الضــوء على حضارة المسلمين وآثارهم الباقيه فى الاندلس مما افاد به المكتبه العربيــة التى مازالت تحتاج الى الكثير من مثل هذه الكتب القيمة لاسيما وان تاريــخ الحضارة الاسلاميه فى الاندلس فى ذلك الجانب البعيد غير معروف كثــيرا . او بالاحرى لم تظهر حقائقه على الوجه الاكمل والتى نشطت فى الايام الاخيـره كثير من المصادر والمراجع سواء من المؤرخين المسلمين مثل المقرى فى (نفـح الطيب) وابن عذارى فى (البيان المغرب فى اخبار اهل الاندلس والمغرب) وغيرهم من المؤرخين المستشرقين مثل ليفى بروفنسال وجوميث مورينو وهـــم من اهم من كتب فى تاريخ وآثارهم فى الاندلس وقد قسم الدكتور السيـــد عبدالعزيز سالم كتابه هذا الى فصول ثمانية اذكر أهم ما ورد فى الفصل الرابــع عن دولة بنى أمية فى الاندلس منذ عهد الامير عبدالرحمن وتغلبه على كـــل الصعوبات التى واجهته من متاعب وحروب وثورات وغير ذلك الى ما وصلــت اليه الحضاره العربية الاندلسية فى عهده .

كذلك الفصل الخامس الذى هو بعنوان امراء بنى امية بعد عبدالرحمــن الداخل ويبدأ من عهد الامير هشام الرضا ثم الحكم الربضى والثورات فـــى عهده الى ان يأتى مايهم بحثى وهو مايعتبر بحق الذروه فى عصر الامـــاره

أيام الامير عبد الرحمن الأوسط من صفحه ٢٢٨ الى صفحه ٢٤٣ فى الكتاب ، وما هو جدير بالذكر ان استفادتى من هذا الكتاب كانت قيمه الى حد ما فقد اخذت عنه فى عدة فصول منها الفصل الاول فى بحثى . اخذت نبذة عن شخصية الاوسط ثم شخصيات البلاط الاندلسى فى عهده " يحيى بن يحيى الليثى " (زرياب) (وطروب) فقد كتب فيها بشئ من الاختصار وفى الفصل الثانى اخذت عنه فى اخماد الثورات فى عهده فقد اوجز فيها .
أما فى الفصل الثالث بالنسبة للبحث فقد استفدت فيه فى نقطة العلاقات العربية مع النورمان ثم غزو جليقيه وهذا لابأس به . كذلك اخذت منه فى الفصل السادس . وهذا اهم ماكتب فيه فقد تحدث عند المسجد الجامع الكبير بقرطبه من بداية عهد عبد الرحمن الداخل الى الزيادة التى اضافها عبد الرحمن الاوسط وآثار القصور والحصون والاسوار وقد تحدث عن مسجد قرطبه بشئ من الاسهاب والتفصيل وهذا احسن من كتب من المراجع العربية فى هذه النقطة بالذات . هذا مايهم بحثى وان كان الدكتور الفاضل السيد عبد العزيز سالم لم يكتب بالتفصيل فى جميع النقاط واما التى فى الفصول الاول والثانى والثالث من بحثى فكانت موجزه وغير كافيه لمادة بحثى . أما فى الفصل السادس فقد استفدت استفاده قيمه فله شكرى وتقديرى .

٣ ــ علي محمد حموده : تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي :ــ

كتاب تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي بدأ مؤلفه فيه عن مؤرخي الاندلس المحدثين والقدماء ، مثل شيخ العروبه احمد زكي ، ثم الامير شكيب ارسلان واتبع ذلك بالاشارة الى الشيخ احمد المقرى صاحب كتاب نفح الطيب وعن لسان الدين الخطيب وكتابه اعمال الاعلام وان المقرى اعتمد في تأليف كتابه العظيم " نفح الطيب " على كتابي " الاحاطة في اخبار غرناطه " لابن الخطيب و " المغرب في حلى المغرب " لابن سعيد . ثم اقتبس المؤلف لهذا الكتاب ماهو مناسب لموضوع الكلام عن الاندلس جنه الله في أرضه تكلم في فصل آخر عن البحر الابيض المتوسط جغرافيا وتاريخيا ثم جغرافيه المغرب والاندلس وعن الاجناس التي توالت على السكنى فيهما . وبعد ذلك اخبار الفتح الاسلامي وكشفه المجهودات العظيمة التي بذلها المجاهدون في اعداد المظريه لحمل راية الاسلام في المغرب والاندلس وحوض الابيض المتوسط الغربي .

كما بين احوال القوط في اسبانيا قبل الفتح وماكانت عليه الدولة القوطيه من انحلال قوتها وتفكك الطبقات التي كانت تستظل بظلها وان هذه الطبقات المتنافره لم يكن يهمها امر الدولة بقدر ماكان يهمها الخروج مما هي فيه من الظلمات فقابلوا المسلمين بمايشبه الغبطه ــ كذلك كتب في الفصل الذي يليه عن سير الاعمال الحربية في فتح الاندلس الذي ضرب طارق بن زياد الضربة الاولى الحاسمه في موقعه (شريش) الامر الذي جعل موسى بن نصير يدهش لامر طارق وقد خرج في جيش عظيم ، وقد اتم موسى وطارق فتح الاندلس خلال سنتين (٩٢ ــ ٩٤هـ) كما احتوى عصر ولاة الامويين في الاندلس فترتين : الفترة الاولى فترة استقرار وتنظيم وتبعها ولاة

الغزو فى فرنسا الفترة الثانيه انتشر فيها النزاع الداخلى فأخذ نفوذ المسلمين فى فرنسا يتقلص ، كما تعرضت الاندلس نفسها لاخطار كادت تكون قاسيه على مستقبلها لولا ان جاءها الله بالمنقذ العظيم سليل بنى اميه الامجاد (عبدالرحمن الداخل) وامراء بنى امية فى الاندلس من بعده الذين كان لهم الفضل فى انقاذ الاندلس وحفظها على المسلمين . كما كانوا اصحاب الفضل فى تطوير الحضاره الاندلسيه التى ذهبت مثلا رائعا فى الحضارات العالميه . وقد قسم الكلام على دولتهم الى عصور ثلاثه : عصر التأسيس وعصر الثورات ، وعصر الخلفاء ، وفى هذا العصر بلغت عظمة الامويين الى القمة كما بلغت الحضارة الى غاية ازدهارها وروعتها . واخيرا جاء الكلام عن نهاية حكمهم وماتم فيها على يد الحاجب المنصور ابن ابى عامر الذى كان هو وابنه عبدالملك آخر الغزاة العظام واستهل القرن الخامس وجاء معه بخطوب وشدائد وملمات حاقت بالاندلس كما جاء لها باشراقات كانت ملطفة نوعا ما لتلك الشدائد التى جاءت من أشأم مولود بالاندلس وانتهت

بانهيار الدولة الامويه من شامخ مجدها والمت بملوك الطوائف فى اختلافاتهم وتنافسهم فى العناية بالعلم والادب ، وماشهر هؤلاء الملوك وهم بنو جهور فى قرطبة ، وبنو عباد باشبيليه ، ثم ماكان لدولتى المرابطين والموحدين من الفضل فى استمرار السياده الاسلاميه على القسم الاكبر من الاندلس مدى قرنين . ودولة بنى الاحمر التى قامت فى غرناطه وانزوت فى الركن الجنوبى الشرقى من الاندلس واستمرت قرنين آخرين ختاما بتلك القصة المحزنه قصة خروج المسلمين من الاندلس وحرمانهم من ذلك الفردوس المفقود ولقد صار اسم الاندلس فى الغرب والشرق عنوانا على الحضارة الرفيعه وعلى هذا لم تكن فصول هذا الكتاب لتخلو من كلمات وجيزه او مبسطة فى موضوع الحضارة الشيق وقد كان الفصل الاخير وهو حضارة الاندلس فى اقوال ابنائها

شمل وصف احوالهم الادبيه والاقتصادية والحربيه والاجتماعية وكانت الاندلس تمثل خط الدفاع الامامى عن العالم الاسلامى بل العالم الشرقى لاسيما الهند وجنوب آسيا ، وقد صمد الاندلسيون قرونا امام ضغط اوربا منذ ان فشلت فى الحروب الصليبيه لاسيما الفرنسيه والطليان والانجليز الذين كانوا يشدون اوزار الاسبان فى حروبهم ضد المسلمين فى الاندلس ولم يتزحزح المسلمون شيرا عن ارضهم الا بعد ان رووها بالدماء ولما انهار هذا الخط العظيم اخذت اوربا وقراصنتها يسطون على الشرق ويستغلون بلاده ويستعبدون شعوبه . ومدى استفادتى من هذا الكتاب فى موضوع بحثى فكالاتى : استفدت فى اربعة فصول هى على النحو التالى : الفصل الاول شخصية الاوسط فقد تكلم بشئ مفيد عنها ثم انتقال الاندلس الى الدور الحضارى فى عهده . ثم شخصيات البلاط الاندلسى فى عهده ايضا . اما فى الفصل الثانى : القضاء على الخصومات العربية فى مرسيه واخماد فتنه المستعربين فى طليطله وفى الفصل الثالث غزو جليقيه والعلاقات الحربيه مع النورمان ثم العلاقات الدبلوماسيه مع الدولة البيزنطيه ، وهنا تحدث بشكل مفيد ايضا . اما فى الفصل الرابع : ففى الاحوال الاقتصادية للاندلس فى عهد الاوسط ثم قيام دار الضرب الاندلسيه واصدار الدراهم والفلوس بشئ من الايجاز .

استفادتى من هذا الكتاب كانت لاشك مفيده فى هذه الفصول ولكن ليس بالشكل الكافى لهذه الفصول فقد كان يوجز احيانا واحيانا اخرى كان يفى نوعا ما بالشكل المطلوب .

٤ ــ حسين مؤنس : رحلة الى الاندلس حديث الفردوس الموعود ط ١ سنة ١٩٦٣م

تحدث المؤلف فى كتابه هذا الذى قدمه لنا ووزعه على عناوين عديده منها : موعود لامفقود وتحت هذا العنوان تحدث عن الاندلس حينما زارها فى صيف سنة ١٩٤٠م فى غمار الحرب مما حال دون اكمال مهمته وقد تكررت زياراته للاندلس بعد ذلك وقد وصف حبه لهذا البلد وروعته . ثم فى العنوان الاخر وهو الطريق الى الاندلس فقد وصف طول الطريق فى حكم الزمان للفرق الموجود مايزيد على خمسة قرون بيننا وبين عصره الاخير اما بيننا وبين عصوره الزاهره فهى عشرة قرون . وقد وصف ارض الاندلس بانها عنيفه قاسيه تتحدى الصبر وقوة الاحتمال ، حيث اقام اجدادنا مجدا خالدا ، كذلك وصفها من ناحية طبيعية المناخ وغيره باسلوب جميل رائع وقد جاء بمقارنة بين الاندلس الحديث والاندلس القديم ايام عصور العرب الزاهره المحزنه فى ظل البيت الاموى وفى عصر الاماره والخلافه وغيره وهو خلال مروره بالبلاد وطوافه بها يقول : " سلاما ياقرطبه الاندلس" الى أن وصل مسجد قرطبة العزيز فى المنفى البعيد وقد تحدث باسهاب وتوضيح عن هذا المسجد من بداية دخول الامير عبد الرحمن ابن معاويه (الداخل) وبنائه لهذا المسجد العظيم الذى يعد من أعظم المساجد الاسلاميه فى البلاد البعيده فى انحاء العالم سواء فى جمال عمارته او فى فخامتها وقد كان مهندسه المعمارى العظيم رجل دقيق له ذوق رفيع قد احدث فيه طراز جديده وغريبه فى فن بناء المساجد حيث جلب له بلاطات رومانيه ويونانيه وغيرها ذات الوان متعدده . وقد انفق عليها المبالغ الطائلة بمحبه واعتزاز وقد زاد من بعده الامير عبد الرحمن الاوسط حفيده زياده بارزه وظاهره كان لها أثر جميل فى بناء هذا المسجد الى ان جاء بعده الامراء والخلفاء فكل زاد فيه الا واحد فقط . على أن هذه

الزيادة هى التى قد افادتنى فى مادة بحثى فى الفصل السادس منه افادة قيمه اكثر مما افادنى فصل آخر فى الكتاب نفسه .

وقد كان اسلوب الدكتور حسين مؤنس اسلوبا جميلا مصورا يجعل القارئ يشعر اثناء قراءته انه مسترسل يهيم بخياله الواسع عبر القرون وعبر المسافات البعيده حيث كان قلمه كأنه ريشه رسام يصور تاريخ الاندلس فى صفحات فيرى القارئ حضاره ومجد العرب فى تلك البقعه من الارض البعيده وهى الاندلس باسلوب كاتب مسلم حساس يحزن ويرثى مجده القديم وتاريخه العظيم ويتمنى من الله ان يعيده من جديد . ولا ننسى ان الدكتور هذا قد سافر بنفسه وعمل باسبانيا فتره طويله وهو يكتب عن مشاهدة على الطبيعة والواقع .

٥ ـ حسين مؤنس : شيوخ العصر :ـ

على طول تاريخ الاندلس كان الجانب الدينى من بناء الدولة والمجتمع من المميزات الظاهره لذلك البلد الاسلامى . حقيقة ان العصر الدينى جزء لايتجزأ من حياة الناس فى ظل بلد اسلامى فالحكام والمحكومون كانوا حريصين جهد طاقتهم فى ان تكون تصرفاتهم مطابقة لتعاليم الدين او متشابهة معه على الاقل وخاصة فى بلاد الخلافه العباسيه خلال العصر الاول من تاريخها . والملاحظ هو الالتزام الدينى الذى لم يترك لضمير الحكام وانما اخذ شكلا واقعيا فى صورة علماء وفقهاء بجانب الحكام يشاركونهم فى الحكم بصورة فعليه على الجانب الدينى من اعمال الدوله حيث يشرف عليها رجال دين عارفون بشئون العقيده . وقد كان لرأى رجال العلم المحققين مثل عبد الملك بن حبيب وعيسى بن دينار ، ويحيى بن يحيى الليثى الذين

قاموا بوظيفتهم فى بنيان الدوله الامويه الاندلسيه واضفوا على تصرفاتها فى نظر الرعيه تأييدا حقيقيا كان له ابعد الاثر فى تثبيت دعائم اركانها وتمكينها من السيطرة الفعليه على بلادها فتمتع البيت الاموى بثقة الشعب وهى ثقة لم يظفر بمثلها الامويون فى المشرق ولا العباسيون خلال عصرهم الذهبى .

درس المؤلف فى هذا الكتاب مشيخه العصر فى الاندلس منذ الفتح الى نهاية عصر الموحديين اى قرابة منتصف القرن الثالث عشر الميلادى وقد كانت مشيخة العصر تقليدا جميلا جرى عليه اهل العلم فى الاندلس فأختار اهل كل جيل من بينهم شيخا من اهل الصلاح والتعاون والخير والصدق فى طلب العلم والصبر ، واتخذوه اماما لهم وشدوا اليه الرحال للاخذ عنه والسماع عليه . ولم يدفعهم الى ذلك سلطان وجائر او مطلب من مطالب الدنيا ، انما هو الاخلاص للعلم حبا فى الله تعالى ورسوله . وقد اجتهد الشيوخ فى الاندلس للمحافظة على ذلك التقليد والاجتهاد على المثل الاعلى للمعلم والمتعلم هذا اهم ماجاء فى كتاب شيوخ العصر . علما بأن استفادتى كانت تنحصر فى الفصل الاول من بحثى وفى نقطتين الاولى منها فى شخصية الاوسط وقد تحدثت عنها باختصار . اما فى الثانيه فهى فى مدرسة الحديث فى الاندلس وقد استفدت منها فى المادة العلميه المفيده .

أما المراجع المترجمة الى العربية عن مؤرخين مستشرقين فلعل اهمها :ـ

٦ـ ليفى بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس : ترجمة د ٠ السيد عبدالعزيز سالم وآخرين :

ان بداية تأليف ليفى بروفنسال من حضارة المغرب ترجع الى سنة ١٩١٧م ٠ حين ظهرت حينئذ أول أبحاثه ثم لم يلبث ان الحق ذلك بزمرة المستشرقين الفرنسيين حيث اصدروا مجلة هسبرس Hesperis. فى سنة ١٩٢١ وفيهم يومئذ الاثرى هنرى تراس H. Terrasse. واللغوى جورج كولان ، واختص ليفى بالتاريخ ومتعلقاته واخرج فى تلك الحقبه المجلد الاول من المخطوطات العربية فى الرباط :

Les Manuscrits Arabes de Tabat.

وبحثا عن نسخة ملوكيه من المصحف الشريف ترجع الى القرن الرابع عشر الميلادى ٠ ولما مات هنرى باسيه سنة ١٩٢٦م ٠ خلفه ليفى بروفنسال فى ادارة المجله وادارة معهد الدراسات العليا المراكشيه اما اتصاله بالاندلس فيؤرخه صديقه غرسيه جوميث بالسنه التى قدم فيها ليضع فهرسا عن المخطوطات العربيه فى الاسكوريال يكمل به فهرس درينورج ٠ وكان من ثمر هذا العمل الجزء الثالث قد ظهر فى باريس سنة ١٩٢٨م ٠(١)

واكثر ماكتبه ليفى عن الاندلس ابحاث اعتمد فيها على حقائق تضمنت مخطوطات غير منشوره مما اضفى عليها جده واصاله يخرج من النص الذى يقف عليه بالحقيقه الجديدة والتى تزيل ابهاما وتكشف غامضا فى الموضوع الذى ينصب عليه وكان الرجل موفقا فى المخطوطات التى يعثر عليها فيحصل

---

(١) ليفى بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس ترجمة السيد عبدالعزيز سالم وآخرين ٠ انظر مقدمة الكتاب ٠

على الثمين منها وهذا مما عرف عنه واشتهر . (١)

وقد ذكر لنا الناشر له هذا الكتاب " الاسلام فى المغرب والاندلس " ان الاستاذ منسدث بيد آل شيخ الباحثين الاسبان فى دراسات العصور الوسطى ومن اجل ما وقف عليه فى هذا الباب اخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين لابى بكر الصنهاجى بالمكنى بالبيدق نشرها فى كتابه " وثائق لم تنشر فى تاريخ الموحدين " سنة ١٩٢٨ ووصفه جزيره الاندلس منتخبه من كتاب " الروض المعطار فى خبر الاقطار " لابى عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم الحميرى . والجزء الثالث من " البيان المغرب " لابن عذارى سنة ١٩٣٠ . ويطول بنا القول لو عددنا الاثار التى خلفها ليفى بروفنسال ولكن لابد من ذكر بعضها واهمها كتابه فى تاريخ اسبانيا الاسلاميه ! فى ثلاثة اجزاء كبيره :

انتهى فيه الى عصر الخلافه وكان فى نيته ان يمضى فى تاريخ اسبانيا الاسلاميه بعد تلك الحقبه لولا ان عاجلته منيته فى ٢٧ مارس سنة ١٩٥٦ . فقد بلغ فى هذا الكتاب الغايه من حيث احكام المنهج العلمى والترتيب المنطقى للبحث والدقه فيه والتماس الحقائق من اصولها . بحيث صار المرجع الاول للباحثين فى تاريخ الاندلس الى الوقت الذى انتهى اليه .

تلك آثار مؤلف هذه الفصول الذى كان استاذا للحضارة العربية الاسلاميه بجامعة باريس ومدير المعهد الدراسات العربية التابع لها واستاذا زائرا بالجامعات المصريه . فكان لوفاته رنه أسى فى قلوب عارفيه من ابناء الاقطار

(١) المرجع السابق .

العربيه ٠

أما الفصول المترجمة فى هذا الكتاب فقد تباعدت بينها المسافه ـ الزمانيه والمكانيه وان كانت على تنوعها تتصل بتراث الاسلام فى المغرب والاندلس مما حاز معه جمعها بين دفتي كتاب واحد ، تأسيس مدينه فاس وملاحظات عن اسماء المدن والمواضع فى المغرب والاندلس وتأملات فى امبراطوريه المرابطين فى مطلع القرن الثانى عشر الميلادى ، ثم مولد امبراطوريه ابن تومرت وعبد المؤمن فقيه سوس ، سراج الموحدين ٠ وأما الخمسه التى عن اسبانيا الاسلاميه : فهى تبادل السفارات بين قرطبه وبيزنطه فى القرن الحادى عشر ، والفونسو السادس واستيلاؤه على طليطله " وزايده المسلمه " زوجة الفونسو السادس وابنها الامير سانشو ، والسيد فى التاريخ واستيلاء السيد على بلنسيه فى المصادر الاسلاميه ٠ والاصل العربى فى اسبانيا والشعر الاوروبى فى العصور الوسطى ٠(١)

وقد وجدت نقطه هامه تخص بحثى فى الفصل الثالث هى : تحليل عن العلاقات الدبلوماسيه مع بيزنطه فى عهد الاوسط فقد اعطى هذه النقطه حقها من الماده العلميه ولذلك كانت استفادتى منه قيمة ٠

٧ـ ليفى بروفنسال : حضارة العرب فى الاندلس : ترجمة دوقان قرقوط :ـ

فى هذا الكتاب عرض موجز لحضارة العرب فى الاندلس وابراز نزيه للروابط التى كانت تربط تلك الحضارة بالشرق العربى كما فيه اعتراف صريح لاثر الحضارة العربية عامه على الحضارة الغربية المعاصره ، يتقصى المؤلف

---

(١) ليفى بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس : انظر مقدمة الكتاب

فى بحثه هذا شخصية الحضاره العربية الاسبانيه ويبرز حولها خواص بنيانها الاجتماعى ومثلها الاخلاقيه الثقافيه ، وارتباطها الوثيق بالروح العربية الاصيلة ، رغم بعد المسافه واختلاف التربيه والمناخ بين صحراء العرب وبلاد الاندلس دامت الاندلس بعد العرب زعيمه للفكر والمدنيه واحتفظت بكامل اشعاعها ففتنت سادتها الجدد واضحت للعرب كما كانت اثينا لروما عندما غدت مقاطعة فى امبراطوريتها ، فرغم كونها مغلوبه نستطيع أن نقول بأنها استولت هى نفسها على قاهريها . لم تقف الاندلس عند الاقتباس عن حضارة بغداد بل اخذت تعمل على ان يشع نفوذها كأمة عظيمة متمدنه الى خارج حدودها . هذا مايبينه المؤلف فى هذا الكتاب وهو اعمق من تعرض للحضارة الاندلسيه وانزه من ذكر فضائلها وغايتها .

مدى : استفادتى من هذا الكتاب فى موضوع بحثى :

فى الفصل الاول : التأثيرات العباسيه فى حضارة الاندلس قد شرح ووضح عن هذه النقطه بشكل واف ومفيد . وكذلك فى شخصيات البلاط الاندلسى فى عهد الاوسط واثرهم فى تنظيم امارة قرطبه " زرياب " كذلك تحدث عنه بشكل وافى ومفيد .

أما فى الفصل الثالث : ففى العلاقات الدبلوماسيه فى عهد الاوسط مع البزنطيين فقد اوردها بشكل جيد ومفيد .

أما فى الفصل الخامس : انتقال الثقافه من المشرق الى الاندلس وهنا أيضا افاد افادة جيده . وعن اقبال المجتمع الاندلسى على العلوم العربية لابأسبها ايضا تحدث بشكل مفيد عن نهضه العلوم مثل الفلك والعلوم الدينيه واللغه والادب اذا فقد حصلت من هذا الكتاب على عدة نقاط فى فصول ثلاثة لبحثى وعلى هذا افادتى كانت جيده ونافعه . ويعتبر ليفى بروفنسال

فى كتابيه المذكورين اللذين رجعت اليهما فى بحثى من احسن من كتب من المؤرخين المستشرقين ومن انزههم واحسنهم توضيحا وانصافا للعرب وحضارتهم فى الاندلس .

٨ ـ مانويل جوميث مورينو : الفن الاسلامى فى اسبانيا ترجمة لطفى عبدالبديع وآخـرون :

لقد قدم لنا هذا الكاتب كتابه هذا بمقدمه تحت عنوان ديباجه الفن الاسلامى منذ الفتح الى عصر الموحدين ثم المستعربين : عرض خلالها تاريخ اسبانيا فى لمحات سريعه خلال فتوحات تاريخيه ثلاثه مرت عليه هى : فتوح الرومان ، والمغربيين ، ثم المسلمين . كما اوضح خصائص كل منها وعقد مقارنات بينها ، فتحدث عن الفتح الاسلامى حيث قال فى صفحة ٤ : "وأما الفتح الاسلامى فقد تجاوز كل تقدير فى الحسبان وكان مصدر قوته معنويا وادبيا قبل كل شىء وبلغت نتائجه اقصاها فى دوام تأثيرها مالم تعرفه الحضارات الاخرى ، لقد كان هذا الفتح فى اول امره ملحمه خرجت الى حيز الوجود دون ان تخضع لضرورة ودون منهاج او سبيل محدود المسالك "

وأنا ارد عليه واقول : ان المؤلف هنا قد عبر بوحى خياله واحساسه وطريقته ، وقد فاته ان الهدف الاساسى هو الجهاد فى سبيل الله ونشر دعوته اما النصر والعز فى الدنيا واما الشهاده التى هى غاية المنى لكل مسلم فهو " حين قال هذا الفتح فى اول امره ملحمه خرجت الى جيز الوجود دون ان تخضع لضرورة ودون منهاج او سبيل محدود المسالك " قد نسى او تناسى هدف المسلم ومنهاجه فى حروبه وفتوحاته . أما قوله السابق " اما الفتح الاسلامى فقد تجاوز كل تقدير فى الحسبان وكان مصدر قوته معنويا وادبيا مثل كل شىء

وبلغت نتائجه ، اقصاها فى دوام تأثيرها مما لم تعرفه الحضارات الاخـــرى " هنا يعترف بمدى قوة الاسلام ادبيا او معنويا ولكنه لم يذكر روحانيه الجنــدى المسلم فى فتوحه وقد ذكر النتائج التى دام تأثيرها اكثر مما دام لاى حضـــارة اخرى سابقه او لاحقه ٠

ثم ينتقل المؤلف الى فقرة اخرى ويقول : " ومضت العاصمة وتخلـف عنها امر واحد هو زوال طبقه النبلاء والملك على رأسها وكان الظن أن يـــروح ذلك دون النفوس ولكن الشعب المسيحى احتفظ برؤسائه واساقفته وقوانينـــــه الخاصه به وما يرهقه ايضا من تلك الضرائب التى لاتنقطع وكل ماطرأ فى شأنهـا من تغيير انما تناول الاسماء والالقاب التى يحملها جابى الضرائب " وهذا ليس صحيحا فقد تغير نظام الضرائب فى العهد الاسلامى حيث قام على انظمـــه الشريعة الاسلاميه العادله وهى الزكاة التى تؤخذ من الاغنياء المسلميـــن لترد الى فقرائهم ٠ أما غير المسلمين فتؤخذ منهم الجزية وهى مثل الزكـــاة ولكنها تسمى بالنسبة لغير المسلم جزية وهى بمعنى فديه عن ماله ودينـــه الذى اخذ الحريه فى عبادته كما يريد ٠

فى صفحه (٥) نجد جملة تقول : " واتضح كيف ان العنصـــر العربى على قلته فاق الاسبان بقانونه ودينه ومع ذلك كان هؤلاء المولدون المسالمه يترخصون فى شرب الخمر وكان منهم المتشككون والمتهاونون فى امر الديــن والمقبلون على الفلسفة وعلى ماحرم القرآن من علوم دون ان يخرجهم ذلـــك عن حظيرة الاسلام " ٠

ان القرآن لم يحرم العلم بل شجع عليه والايات كثيره ٠ بل فيـــه كل العلوم التى تصلح للانسان ولكل زمان ومكان ٠

وفى صفحه (٨) من هذا الكتاب جاء قول المؤلف فى الفقره الاخيره :

" جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بدين وشريعه تتفقان وروح الشعب العربى الذى كان سادرا فى جاهليته مع ماكان عليه من صلف وازدراء لكل ماليس له شغفا بالشعر الغنائى والقصص . وقد تفرق هذا الشعب فى قبائل لا سلطة تجمعها الا رابطه الاسره دون ان يربطها شىء بالارض التى تعيش عليها حياته حياة رعاة ، لم يكن قط أداة الطاغيه ولم يقتعد مكانا فى ميدان الثقافة حتى يمارس العلوم والفنون التى كانت غريبه عليه .. الخ " . أما قوله جاء الرسول (ص) بدين وشريعة تتفقان وروح الشعب العربى . فهذا خطأ لان الدين الذى جاء به الرسول (ص) يتفق مع البشرية كافة وليس يخص فرد او شعبا معينا او زمانا محددا بل هو دين البشر الصالح لكل زمان وكل مكان للانسانيه جمعاء لم يختص بالعرب وحدهم لان النبى كان منهم بل هو للعرب والعجم وكل من خلقه الله من النفس البشريه على هذه الارض لقوله تعالى " وما أرسلناك الا كافة الناس بشيرا ونذيرا " الايه (١) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " لافضل لعربى على عجمى ولا أبيض على أسود الا التقوى " فالاسلام ساوى بين الناس جميعا فى كل مكان وزمان وجنس ولون لهذا فهو دين البشر بمختلف الاجناس والالوان اما وصفه للعرب انهم جهلاء وانهم لايعرفون الا الشعر الغنائى والقصص فهذا ليس صحيحا وان كان قبل الاسلام فكانت للعرب أمجاد حضاريه راقيه خصوصا فى اليمن وان لهم علوما ومعارف كثيره مثل الفلك والطب وغيرها اما مايسميه بجاهليته فهو يصفها بأنها جهل بالعلوم والمعارف والحقيقة ربما هو يستند الى القول المعروف دائما ايام الجاهلية والاسلام . ونحن حين نصدر هذا القول نعنى به أن العرب كانوا يجهلون الدين الاسلامى وانهم كانوا يعبدون الاوثان على أن عقيدة الوثنيه . ولا نقصد بجاهليه انهم جهلاء بالعلوم والحضارة وقد فسرها المؤلف على حسب فهمه

(١) سورة سبأ الآية ٢٨

اوقوله دون رابطه تربطهم ولا سلطة تجمعهم لكى يكونوا على قدر الممارسة الفعليه للعلوم والفنون التى كانت غريبه عليهم وهذا تعصب جائر ضد العرب فهو يصفهم باكثر من الجهل لانهم رعاة صحراء ولان لا طاغية يحكمهم لذلك لم تكن لهم الفرصه لكى يتفرغوا للثقافه والعلم اذا لابد من وجود طاغيه لكى تكون هناك علوم وثقافه وفنون •

هذا وان كان للعرب مجدهم العظيم فى الفنون والثقافة والحضارة فهى فى اليمن وفى الخليج وفى قريش وجاءها الرسول واصبغها بصبغه انسانيه روحيه وحضاريه عظيمه لايرى لها مثيل حيث امتدت عبر الزمن الى البلاد البعيده وطبعتها بطابع لايزال موجودا لايمحى مع الايام والدهور •

على كل حال هذا ليس بغريب على موءلف مستشرق أراد ان يظهر حقائق او كلمات رآها حقائق فى نظره على حسب ما ارتئاه وماشعر به ومايريد ان يفسره حسبما يريد او هو عدم فهم للعرب ومجدهم وحضارتهم القديمه فهو يناقض نفسه فى كثير من الاحيان فى كتابه هذا •

وهذا مااتسع له المجال فى بحثى للتعليق على مقدمه كتاب (جوميث مورينو) وماجاء فيه من بعض الاقاويل والمغالطات الظاهره ضد الاسلام والمسلمين

وهذا ان دل على شىء فانما يدل على ذهنيه الكاتب غير المسلم الذى لم يفهم طبيعة الدين الاسلامى والذى لم يفهم شيئا لايفهم معناه ولا اهدافه ولامبادئه الساميه ولا طريقه ، والجاهل بالشىء كالذى يسبح فى البحر دون سابق معرفه بالسباحه وهذا من اكبر الاخطاء لانه قد يهوى الى الغطس الذى لايفيق منه وعلى الرغم من ذلك فاننا لانستطيع ان نعطيه العذر على انه مستشرق غير عارف بطبيعه الاسلام والمسلمين لانه يجب

على المؤرخ ان يكون نزيها متفهما لما هو باحث فيه والا حقا اصبح عمله مشوبا بعيب كبير .

ويحتوى الكتاب على موضوعات كثيره يهمنى منها ماتعرض فيه للمناطق العمرانيه فقد تحدث عن " العماره فى عهد الامارة بقرطبه فى القرن الثامن الميلادى " مثل : المسجد الجامع بقرطبه مع مجموعة من الصور التوضيحيه ثم العماره فى عصر الامارة فى القرن التاسع الميلادى فى عهد الامير عبدالرحمن الاوسط وهذا مايهم بحثى بالذات ولكنه كان اثناء كتابته عن شخصية عبدالرحمن الاوسط يناقض نفسه فى وصف الامير فهو احيانا يصفه بالقاسى الذى لايعرف الثقافه واحيانا بأنه الشجاع الرقيق المثقف وهكذا .(١)

كذلك تحدث المؤلف فى هذا الفصل عن قصبة ماردة ثم عن الزيادة فى المسجد وهذا مايهم بحثى اهمية قصوى فقد تكلم فى هذه الناحيه بشكل جيد ودقيق وهذه النقطه تهمنى فى الفصل السادس فى بحثى حيث استفدت من هذا الكتاب استفاده كبيره جدا . وقد اتبع المؤلف منهج الدراسة المقارنه حيث قارن بين مئذنه جامع قرطبه وبين مئذنه جامع ابن طولون بالقاهره .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان مادة الكتاب دسمه وقيمه الى حد كبير فقد احتوى على عدة موضوعات كثيره خاصه بالعماره والفن

---

(١) انظر نفس الكتاب ص ٤٩ .

والحضارة العربية فى الاندلس خلال قرون عديده وخلال دول اسلاميـــــــة متعدده لايمهنى منها فى بحثى شىء وانما هى حقيقه تبرز مدى عظمة الحكومـات العربية المسلمه فى تلك البقعه الجديدة عنا والتى يفخر كل مسلم بأن لـــــه هناك آثارا وحضارات قديمة مازالت معالمها باقيه حتى اليوم ٠

الفصل الاول

الامير عبد الرحمن الاوسط وانتقال الاندلس الى الدور الحضارى فى عهده :ـ

* شخصية الامير عبد الرحمن الاوسط .
* فترة السلام النسبى بالاندلس فى عهده .
* التأثيرات العباسيه فى حضارة الاندلس فى عهده .
* شخصيات البلاط الاندلسى واثرها فى تنظيم امارة قرطبة .
  (يحيى بن يحيى الليثى ـ الحسن بن نافع (زرياب) ـ عباس بن فرناس) .

عبد الرحمن الاوسط وانتقال الاندلس الى الدور الحضاري في عهده :ـ

تمهيــد :

يمثل عهد عبد الرحمن الاوسط فى الاندلس مرحلة انتقال فى التاريـــخ حيث كانت فترة حكمه فترة ازدهار حضارى تميزت عما سبقها وخاصه فى مـــدى فترة حكم الامارة الاموية •

عاشت الامارة خلالها فترة سلام تخللتها بعض الحروب الداخليـــه والخارجيه غير ان الامير عبد الرحمن الاوسط قد تمكن فى النهاية من تحقيـــق الاستقرار فقد تغلب على كل ماصادفه من متاعب كما استطاع ان يبنى معالـــم حضاريه شامخه عبر الاجيال فقد بنى بالاندلس جوامع كثيره ورتب رسوم امارتـــه كما أنه انشأ مدينه مرسيه •(١) كما نظم الاداره وتشير المصادر الى ان الوزراء(٢) قد اتخذ وا مقرا ضمن اسوار قصره مما يتيح له الاجتماع بهم متى اراد ذلك ويمكن القـــول

---

(١) انظر ابن عبد المنعم الحميرى : صفة جزيرة الاندلس منتخبه من كتـــاب " الروض المعطار فى خبر الاقطار نشره الاستاذ ليفى بروفنســـال القاهره ١٩٣٧م ص١٨١ • عن مرسيه وقد بناها الامير عبد الرحمـــن الاوسط واتخذت دارا للعمال وقرارا للقواد وكان الذى تولى بنيانهـــا ومنح العهد اليه فى اتخاذها جابر بن لبيد •

(٢) انظر ابن القوطيه القرطبى (ابوبكر محمد) تاريخ افتتاح الاندلـــس نشرة دون خوليان ريبيرا مدريد ١٩٣٦م • ذكر : وعبد الرحمـــن الاوسط اول من رتب اختلاف الوزراء الى القصر والتكلم فى الـــرأى على ماهو جار اليوم وكان له من الوزراء مالم يكن للخلفاء قبلـــه ولا بعده مثلهم ص ٦٢ •

بأن اول اقرانه فى ترتيب الخدمه على نمط ما سار عليه الخلفاء قبله . اضـــف الى ذلك انه كان رائدا فى استحداث دار الضرب فى قرطبه اذ تشير المصادر الى انه ابتنى دارا للسكه وانه ضرب النقود باسمه مما لم يكن له مثيل فى الاندلس قبله . وقد سميت ايامه "بأيام العروس" وهذا مايعكس تطورا مهما فـــى الحياه الاقتصاديه للاندلس حيث أن الاستقرار والتنظيم الدقيق قد اسهمـــا كثيرا فى الحضاره فأصبحـــت الاندلس من المراكز الحضاريه المهمه فـــى العالم الاسلامى ولعلها لعبت فى اوربا دورا بارزا . كذلك لعله يفوق مكانتها فى العالم الاسلامى فقد كان المجتمع الاندلسى الذى يقوم اساسا على اخلاط بشريه غير منظمه قد تحول الى مجتمع منظم فى مظهره تأثر هذا المجتمع فـــى عصره بالتقاليد العراقيه التى اخذت تدخل الى الاندلس ممتزجه بالتقاليـــد الشاميه لتؤلف طابعا اندلسيا اصيلا مميزا . والى جانب ذلك فقد جلـــب عبدالرحمن الاوسط الى الاندلس روائع التحف التى كانت فى قصور بغـــداد بعد مقتل الامين . (١)

والملاحظ ان عصر عبدالرحمن الاوسط قد تميز بوجود عدد مـــن الشخصيات الجديره بالدراسه ، وهذه الشخصيات تمثل جوانب مختلفـــه فى ذلك الوسط المتحضر حيث كانت عاملا اساسيا فى نقل الاندلس مـــن البداوه الى مراقى الحضاره . وقد اشار احد الباحثين المعاصرين بأنه : " وعندما تقرأ حوليات الاندلس على عهد عبدالرحمن الاوسط فلاحظ كيـــف انتقل هذا البلد شيئا فشيئا من حال الى حال والسبب الاكبر فى هـــذا

---

(١) د . السيد عبدالعزيز سالم . تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلـــس من الفتح حتى سقوط الخلافه ص ٢٢٩ .

الانتقال هو وفود اعداد كبيره من المشارقه ذوى العلم والمعرفه والحضارة على الاندلس " [1] وعند تشخيصه للسبب فى ذلك فانه اشار الى شخصية الامير عبدالرحمن الاوسط وأن " ترحيب هذا الامير المثقف بأولئك الرجال ومعرفته بمواضيع التفوق منهم وخبرته بطريقه الانتفاع بمواهبهم وتهيئة الجو الصالح لكفاياتهم ". [2] حتى غدت الاندلس بالنسبة لهؤلاء المهاجرين موئلا يوفر لهم الفرص النادرة من اجل تحقيق الانتاج العلمى والادبى والفنى والحقيقة ان معظم من وفد على الاندلس من المشرق كانوا من جلة العلماء واهل الادب والفن فاصبحت بلاد الاندلس ملجأ اولئك الذين ضاقت بلاد المشرق بهم حيث وقف الاستبداد والحسد امام عبقرياتهم وحرمهم شيوع العلم فيه من الشهرة مما هيأ للاندلس فرصة اظهار كفايات الاكفاء منهم فى مختلف المجالات . لقد اتصف الاندلسيون بملكة النقد الواعى فلا يكاد يفد اليهم غريب الا تسابقوا فى امتحانه .

اضف الى ذلك ان طبيعة التطور فى الاندلس قد شجعت على تداول تحف الشرق وجميلات الجوارى من ذوات الصيت الحسن وبهذا عمرت قصور الاندلس ببعض كنوز المشرق اضافة الى العديد من نوابغ العلماء حيث اصبحت هذه المؤثرات من اقوى عوامل تحول المجتمع الاندلسى الى ذلك المستوى الرفيع . وكان الامير عبدالرحمن الاوسط نموذجا لهذا المظهر الراقى واكثر مايميز هذا الانتقال هو بروز العديد من الشخصيات الفذه أيام الامير عبدالرحمن الاوسط لكل منها ميزته ودوره فى بناء المجتمع الاندلسى خلال هذه المرحلة على ان ظهور هذه الشخصيات يمكن أن يدلل على

---

(١) عبدالحميد العبادى . المجمل فى تاريخ الاندلس ص ٨٤ .
(٢) العبادى . المرجع السابق ص ٨٤ .

أن الامور قد استقرت وهذا مايحدث عادة عندما تتطور المجتمعات وتتاح لاهلها السبل لاظهار مواهبهم ٠ (١)

وعلى الرغم من اهتمام عبد الرحمن الاوسط بأمور دولته وقضائه على الفتن الداخليه التى نشبت فى البلاد وقيامه ببعض الحروب والفتوحات منذ ان تولى منصبه فان ذلك لم يشغله عن شغفه الشديد بالعلم والعلماء والادب والادباء والفن والفنانين ٠ ولقد كان محبا للفلك والتنجيم ، ولم تمنعه مسئولياته من دراسة بعض هذه العلوم على يد اساتذه ذلك الفن مثل العلامة الرياضى عباس بن فرناس٠ (٢) وهو من مشاهير عصره فى هذه العلوم ٠ وكان عبد الرحمن يقربه ويشجعه ويجزى له العطاء ٠ اضف الى ذلك فقد اهتم عبد الرحمن الاوسط بجمع الكتب القيمة واستنساخها حتى تجمع لديه عدد لابأس به من الكتب فى اغلب العلوم والمعارف السائدة فى عصره ٠ مما يسر له انشاء مكتبه قرطبه العظيمه كما انه كان يرسل الرسل الى خارج الاندلس ليجلبوا له كل جديد فى هذا المجال ٠ وكان على رأس هوءلاء الرسل الشاعر المعروف عباس ابن ناصح الذى كان يذهب من حين لآخر الى المشرق من اجل جلب المزيد من الكتب العلميه والادبيه ٠ (٣)

---

(١) العبادى ٠ المرجع السابق ص ٤ ٨ ٠

(٢) عباس بن فرناس كان يلقب بحكيم الاندلس ٠ وشخصية عباس هذا شخصية عجيبه لايعرف اصله بالضبط فيقال انه من اصل بربرى و هذا الرجل كان خبيرا بالعلوم الرياضيه والطبيعيه والكيمائيه والفلكيه ٠ وقد تحدثت عنه باسهاب فى نهاية الفصل الاول فى شخصيات البلاط الاندلسى

(٣) الشمراوى ٠ الامويون امراء الاندلس الاول ص٠ ٢٨ ٠

والواقع أن تربية عبد الرحمن الأوسط وثقافته ونشأته الاولى قد اثرت في تكوين شخصيته فقد كان رجلا على مستوى عال من الثقافة والعلم له دراساته في علوم الشريعة والفلسفة كما كان اديبا ذا همة عالية وفنانا يفهم ويقدر الفن واصحابه مما حدى به الى ان يحتضن العلماء ورجال الفن والادب ، فنافست الاندلس المشرق الاسلامي في رعايتهم والاستئثار بمواهبهم وغزير علومهم . ولعل الفقية عيسى ابن دينار [1] خير مثل على هؤلاء وقد برز في عصره العديد من العلماء الافاضل منهم الفقيه المحدث يحيى بن يحيى الليثي [2] تلميذ مالك بن انس والمشهور " بعاقل الاندلس" .

وكان الامير عبد الرحمن عاشقا للغناء والموسيقى حيث كان يجمع حوله عددا كبيرا من الفنانين الذين أصبح لهم تأثير كبير في بلورة شخصية العرب الاسبان المتميزة بحبها لفن الموسيقى والغناء ومن أهم هؤلاء ابو الحسن على بن نافع الملقب " بزرياب " نابغة الغناء والموسيقى الذى كان تلميذا للفنان الشهير اسحاق الموصلي [3] مغنى الرشيد . وقد بهر زرياب أهل الاندلس ببراعته في الغناء والموسيقى وذاع صيته في كل مكان فاخذ عنه اهل الاندلس فنونه واقتبسوا مظاهر زيه وأناقته وطريقه معيشته . والحق انه كان لزرياب أثرا بارزا في مسار الفن الاندلسى في ظل الدولة الاموية في الاندلس [4]

---

(١) وكانت الفتيا في ايام الامير الحكم وايام ولده عبد الرحمن تدور على عيسى بن دينار (ابن حيان القرطبى) ص ١٨٠ .

(٢) يحيى بن يحيى : ذكر عنه ابن حيان في كتابه المقتبس " به تفقه واليه الرياسه في العلم بالاندلس على عهد الامير عبد الرحمن بن الحكم هـ ٢٢٢ ، وكان الامير لا يحيد عن مشورته فقد اثره على جميع الفقهاء (انظر الفصل الاول)

(٣) اسحق الموصلي مغنى الرشيد وصاحب مدرسة الموسيقى في بغداد واستاذها وعندما شعر بنبوغ زرياب خاف على منصبه فنصحه بالرحيل .

(٤) الشعراوى ، الامويين امراء الاندلس الاول ص ٢٨٠ / ٢٨١ ص ٨٤ ٢ / ٢٨٥ .

شخصية عبد الرحمن الأوسط :

هو الامير ابو المطرف عبد الرحمن الابن الاكبر للحكم بن هشام ابن عبد الرحمن الداخل واسم امه حلاوة وهى ام ولد . ولد بطليطله فى شعبان سنة ١٧٦هـ/ ٧٩٢م ولد وهو ابن سبعة اشهر . اما بالنسبة لتسميته فيرى الدكتور السيد عبد العزيز سالم بأنه سمى بالاوسط لانه ثانى ثلاثة سموا بهذا الاسم وحكموا الاندلس[1] وهكذا يرى البستانى فى دائرة معارفه انه سمى بالاوسط لتوسطه بين جده عبد الرحمن الداخل وحفيده عبد الرحمن الناصر .[2]

وقد كان الامير عبد الرحمن الأوسط اسمر طويل القامه وسيم المحيا ، اشم ، اقنى الانف ، ذا اعين سوداء ، بهى الطلعة ، بهيج الزى ، كبير اللحية التى كان يخضبها بالحناء ،[3] وكانت شخصيته مزيجا من ابيه الحكم وجده عبد الرحمن الداخل فلم يكن بالضعيف المستسلم ولا بالقوى المتحكم على الرغم من انه اكتسب كثيرا من صفاتهما الا أنه كان اكثر منهما لينا ورقه فكان وسطا بين العنف واللين ، كما كان مثل ابيه الحكم اميرا وافر البأس والعزم يسمو بمكانته ويحتجب من العامه . كما كان عبد الرحمن الاوسط أحب ابناء الحكم اليه [4] حيث عنى ابوه به عنايه خاصة سواء فى تعليمه وتثقيفه بجانب شغف هذا الامير منذ طفولته بالادب والحكمه ودرس الحديث والفقه والفلسفة وغيرها ليصبح واحدا من اعظم حكام الاندلس اذ توفرت له اثناء

---

(١) السيد عبد العزيز سالم . تاريخ المسلمين وآثارهم بالاندلس ص ٢٢٨ ، اما مصادره فهى :
ــ ابن خلدون : كتاب العبر ج ٤ ص ١٣٠ ــ المقرى ، نفح الطيب ج ١ ص ٣٢٥
ــ ابن عذارى ج ٢ ص ١٢٥ .

(٢) البستانى . دائرة المعارف قاموس عام ــ مجلد ١١ ص ٥٦٥

(٣) ابن حيان القرطبى . المقتبس من ابناء اهل الاندلس ص ٢٢ .

(٤) احمد ابراهيم الشعراوى . الامويون امراء الاندلس ص ٢٢٧ .

حياه أبيه تربيه وثقافه عاليه فأصبح شاعرا عالما بالشريعة والفلسفة ، وكان من أهل التلاوة للقرآن والحديث فأثرت تربيته المترفة ونشأته الاولى فى تكوين شخصيته حيث اصبح رجلا على مستوى عال من الثقافه والعلم ، مهذبا واسع الثقافه ، محبا للحياة المترفة ، والمستوى العالى فى الحياة للفرد والمجتمع راغبا فى الاصلاح بمعناه الصحيح ، ذا همة عالية ، كما كان فنانا يقدر الفن ويرفع منزلة اصحابه فاحتضن العلماء ورجال الفن والادباء ممن ضاق الشرق بمواهبهم ، فكان يرحب بهم فى بلاطه ويحسن اليهم ويكرمهم . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فقد كان يحظى باهتمام ابيه ورعايته فقد دربه على اعمال الحكم المختلفة اثناء مرضه واحتجابه عن الناس حيث ترك السلطة فى يد ابنه عبدالرحمن الذى اثبت جدارته فى تسيير امور الدولة ، كما كان يرسله الحكم لاخماد بعض الثورات فكان عبدالرحمن رجل حرب وسلم وسياسة حكيمة مما أهلة فيما بعد لتولى امور دولته بعد ابيه الحكم حيث استحوز على حب الناس وتقديرهم بعد أن اظهر امارات التسامح والاعتدال فى معاملة الرعية بعد شدة أبيه وقسوته .(١) وهذا مايفسر حب الناس بولايته عند اعتلائه عرش الامارة فى سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م حين عهد له والده الحكم بالامارة عندما اشتد عليه المرض على ان يكون اخوه المغيره ولى العهد بعده .(٢) ولقد اخذت البيعة لعبد الرحمن ثم للمغيره وتمت المبايعة فى يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة

---

(١) احمد بدر - دراسات فى تاريخ الاندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافه - ص ١٤٢ .

(٢) السيد عبدالعزيز سالم . تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس حتى سقوط الخلافه - ص ٢٢٨ .

من ذى الحجة من السنة ٢٠٦ هـ [1] ، وكان على رأس المبايعين له أخوه المغيرة وتوفى الحكم بن هشام يوم الخميس لاربع بقين من ذى الحجة سنة ٢٠٦هـ وصلى عليه ابنه عبد الرحمن ودفنه بالقصر . وبعد أن صلى الامير عبد الرحمن الاوسط على أبيه ووراه جلس بالارض مطأطأ ليس تحته وطاء وجلس من كان معه ثم افتتح القول : " الحمد لله الذى جعل الموت حتما من قضائه ، وعزما من امره ، واجرى الامور على مشيئته فاستأثر بالمكوث والبقاء ، وأذل خلقه بالفناء ، تبارك اسمه وتعالى جده [.] وصلى الله على محمد نبيه ورسوله وسلم تسليما [.] وكان مصابنا بالامام — ما جلت به المصيبه وعظمت به الرزيه فعند الله نحتسبه ، واياه نسأل الهام الصبر ، واليه نرغب فى كمال الاجر والذخر [.] وعهد الينا فيكم بما فيه صلاح أحوالكم ولسنا ممن يخالف عهده ، بل لكم لدينا المزيد ان شاء الله " ثم قام عنهم وخرجت لهم الاموال والكسى على قدر اقدارهم . [2]

---

(١) على محمد حموده ، تاريخ الاندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى ص ١٤٩ هذا ما ذكره حموده ولكن اذا قارناه بما ذكره محمد عبد الله عنان فى كتابه دوله الاندلس انه بويع بالامارة فى اليوم التالى لوفاة ابيه فى السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ٢٠٦ هـ نجد فى ذلك اختلافا فى يوم مبايعته بالامارة بينما نجد ابن عذارى يذكر انه بويع بعد موت ابيه بيوم واحد وهو يوم الخميس لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ٢٠٦ هـ وهذا يتفق مع ما ذكره عنان بالاضافة الى أن ابن عذارى يعتبر مصدرا اساسيا موثوقا .

(٢) ابن عذارى المراكشى — البيان — المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب الجزء الثانى ص ٩٠/٩١ .

هذا واذا أضفنا الى صفات الامير عبد الرحمن الاوسط أنه كان كثير الشفقه والتأنق والخبرة بشئون الحرب والادارة وكان ذهنا مستنيرا حيث كان يحسن اختيار الرجل المناسب فى المنصب المناسب ماجعل رجاله من الوزراء والقادة والولاة والقضاة من خيرة الرجال . كما أنه رفع من شأن الوظائف العامه فى التى حافظت على هيبتها ومسئوليتها كما جعل (ولاية السوق)منصبا مستقلا عن ولايه (المدينه) (١) . هذا بالاضافة الى أنه استقرت له رسوم فى البلاط للزينه وتراتيب الخدمة كما نظمت الدواوين فى عهده ، بعد أن نظمت خطة الوزارة .

وخلاصة القول انه رفع من شأن امارته فعلى عهده جلبت الى اسبانيا البسط الفنيه وكل مظاهر الفخامة من بغداد وغيرها من امصار الاسلام ، ولما نهبت خزائن هارون الرشيد بعد مقتل ابنه الامين جلبت الى اسبانيا تلك الخزائن النادره كالاحجار الكريمة ومنها العقد بزبانة العقرب الخاص بزبيدة زوجة الرشيد . (٢)

ورث عبد الرحمن هذا الامارة التى وجدها ممهدة ثابته وامورها هادئه وخزائنها عامرة فكانت ايامه ايام هدوء وسكون وعهده عهد رخاء . فالاستقرار السياسى الذى ارسى قواعده عبد الرحمن الداخل فى الاندلس بدأ يؤتى ثماره على الحياة الاقتصادية بشكل واضح فى عهد عبد الرحمن الثانى مما ساعد على زيادة مدخولات بيت المال وهيأ له فرصة القيام باعمال عمرانية خلدت ذكراه وساعدته على التمتع باقصى حد من اطايب الحياة ، فعاش فى قصره وكأنه جنة للناظرين . هذا بالاضافة الى القصور الجميلة والجوامع

---

(١) المقصود بولاية السوق فى الاندلس الحسبه .

(٢) السيد عبد العزيز سالم . تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص ٢٢٩

حيث زاد فى مسجد قرطبة الكبير رواقين . كما مهد الطرق وبنى المدارس والمستشفيات اذ أنه لم تكن فى زمانه دار ملك كدار ملكه أبهة ومجدا [1] كما انشأ دار الطراز ونظم اعمالها وأسس دار السكة بقرطبه . ونقش خاتمه : (عبدالرحمن بقضاء الله راضى) [2] ورتب الدواوين وجمل القصور واوصل المياه العذبه من الجبال الى قرطبة سواء الى القصور أو الى الاحواض التى بناها والارصفه .

وكان الامير عبدالرحمن الاوسط يعشق مظاهر البذخ والفخامة والجمال لذلك وصل البلاط الاموى فى عهده الى درجه لم يسبق لها مثيل مما جعل الاندلس فى عداد الدول العظمى تخطب ودها الدول الكبرى امثال بيزنطة حيث بدت الاستقراطيه العربيه فى ابدع صورها فسطعت الفروسيه الاندلسيه التى اصبحت فيما بعد مثلا يحتذى به فى مجتمعات العصور الوسطى وصفة خاصة فى اوربا بالاضافة الى ذلك فقد كرس عبدالرحمن الاوسط كثيرا من وقته لخدمة تقدم الفنون والاداب والعلوم .

وهكذا اتاحت يقظة " عبدالرحمن الاوسط وتخطيطه فرصة الحياة لشعبه المقاومه وسط العواصف المدمره فازدهرت بلاده حتى غدت الاندلس فى عهده مضرب الامثال فى الرقى والتقدم حيث ساد الامن فى الولايات فى عهده وتحسنت حال الرعية وكثر الخراج " [3] وكان الامير عبدالرحمن الاوسط يتحدث بعظيم نعمه بنى مروان . كما انه لم يتورع عن المباده ره بعزل

---

(١) البستانى ــ دائرة المعارف . ص ٥٥٦/٥٥٧

(٢) جوميث مورينو : الفن الاسلامى فى اسبانيا . ص ٤٩ .

(٣) على محمد جوده . تاريخ الاندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى ص ١٦٤

قاضى الجماعه فى الاندلس لانه لم ينفذ حد القتل فى اقرب القربين الـــى الامير والتى الحت عليه عمته عجب حظيه الامير الحكم ان يطلق سراحه ، لمـــا كانت لهذه السيده من مكانه كبيره لدى الامير عبد الرحمن ولكن الامير قال لهـا : مهلا يااماه فلا بد والله ان تكشف اهل العلم عما يجب عليه فى لفظه ذلـــك الذى شهد به عليه ثم يكون الفصل بعد فى امره فإنا معشر بنى مروان لاتأخذ نـا فى الله لومة لائم "[1] كما اخبرنا بانه لم يرتفع ذكر بنى اميه ومجدهم فى هـذه الارض واصبحو اقويا امام اعدائهم الا باقامة حدود الله واعزاز دينه وجهــــاد عدوه مع مجانبه الاهواء المضله .

---

(١) د . على محمد حموده " تاريخ الاندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى ص ١٦٤ ــ ١٦٥ .

وفاة الامير عبد الرحمن الاوسط :

على الرغم من أن عهد الامير عبد الرحمن الاوسط كان كله خيرا على الاندلس وأهله فقد كانت نهايته مؤلمة حقا اذ كانت مليئة بالدسائس والمؤامرات التى دبرت فى قصره ودبرها حريمه واتباعه فقد حرصت كل واحده من نسائه على ان تنصب ابنها وليا للعهد غير ان جاريته طروب التى كان لها تأثير كبير عليه قامت بمحاولة لقتله لتولية ابنها عبد الله العهد ولكنها فشلت فكررت المحاولات خصوصا بعد اتفاقها مع الفتى نصر الخصى لدس السم للامير فاتفق هذا الفتى مع الطبيب الحرانى طبيب الامير عبد الرحمن على وضع السم فى دواء الامير الذى اقترحه هذا الفتى على الامير ، فوافق الطبيب ولكنه حاول تحذير الامير عن طريق احدى جواريه ، فبعد أن علم الامير بذلك ابقى الدواء لحين حضور الفتى نصر ، فسأله نصر عن الدواء قال له الامير اشرب هذا لانك تعتقد بأنه نافع نصر الخصى على شرب الدواء واسرع الى الطبيب الحرانى يطلب مساعدته فحاول الطبيب مساعدته ولكن بدون فائدة فمات .(١) اما طروب فلم يمسها الامير بسوء ويبدو انه كان يحبها حبا عظيما وبعد ذلك بقليل مات الامير عبد الرحمن فجأه وفى بيت طروب نفسها والحقيقة انه لايعرف ما اذا كان مات نتيجة لمؤامره جديده من طروب أو مات خلاف ذلك لان المصادر المختلفه لاتذكر شيئا عن ذلك وخلاصة القول أن : الامير عبد الرحمن كان عمره عند وفاته اثنتى وستين سنه وكانت وفاته ليلة الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٢٣٨هـ .

---

(١) ابن حيان : المقتبس ص١٤ / ١٥ .

فترة السلام النسبى فى الاندلس فى عهد الاوسط :

تعتبر أيام عبد الرحمن الاوسط أيام هدوء وسكينه وامن ورخاء مما جعل الحياه الاقتصاديه تنمو وتزدهر ، اذ وصل الى الاندلس الكثير من الامتعه والسلع التجاريه الفاخره فزخرت الاسواق بالبضائع المختلفة النادره مما زاد فى دخل الدولة زيادة عظيمه كما زادت مدخولات الجبايه حيث استطاع الامير ان ينفق بسخاء على تسيير الحملات الحربيه للدفاع عن الدولة ، واقامة المنشآت المختلفة سواء الحربيه او المعماريه داخل البلاد • مما عاد بالنفع على اهل الاندلس جميعا بالخير والرفاهية •

أما النواحى العمرانيه فقد كانت فى تطور دائم مستمر وقد برز ذلك فى عمارة المساجد والقصور والمنتزهات العامه والقناطر وغيرها • والجدير بالذكر انه حينما قدم زرياب الى الاندلس رحب به الامير عبد الرحمن الاوسط وبالغ فى اكرامه ومنحه راتبا شهريا له ولاولاده بالغت الروايات عنه فقد جعلته بعض الروايات مايزيد عن ثلاثة آلاف دينار كل عام ، باستثناء المنح السنوية وما يجرى منحه لهم فى كل عيد من الاعياد الشرعيه فاصبح زرياب هو المفضل لدى الامير عبد الرحمن الاوسط عن بقية المغنيين • (1)

---

(1) د • احمد بدر دراسات فى تاريخ الاندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافه ص ١٦٢ •

الجهاز الادارى والعسكرى :

بجانب التأثيرات الاجتماعية للمشرق فى الاندلس فقد خضعت التنظيمات الادارية والعسكرية ، تلك المؤثرات كانت بدرجات متفاوته فقد كانت النقود المضروبه فى الاندلس قبل عهد الامير عبد الرحمن الثانى قليلة ، الامر الذى كان يشكل مشكلة تواجه التجارة الخارجيه والداخليه على حد سواء لانه يقصر التعامل على المقايضه فى المعاملات التجارية الى درجة كبيرة وفى عهد عبد الرحمن الاوسط حلت العديد من المشكلات التجارية فقد اسس الامير عبد الرحمن دارا للسكه ونتيجه لذلك تضاعف عدد النقود المتداولة .

ومن مظاهر الاتصال بالمشارقه انعزال الامير عبد الرحمن الاوسط عن الناس وما احاط منصبه من أبهه كالخليفة العباسى ووضع نظام دقيق لتصنيف الناس وبقية أهل الخدمه الى مراتب وطبقات حيث انقسم هؤلاء الى قسمين رئيسين : اولهما اصحاب الكتاب والرسائل وفيهم الكتاب والوزراء بحيث شكلت مجموعة الوزراء مجلسا يقام فى بناء خاص بناه لهم عبد الرحمن الثانى بجانب بوابه قصره لكى يسهل عليه استدعاؤهم يوميا بصورة جماعية او فرديه لكى يقدموا له الحساب او ليخبروه برسائل الامصار الوارده او الصادره .

أما بالنسبة لمجلسهم فكان لكل واحد منهم مكان (مجلس) أشبه بالمكتب مفروش بالكتان يجلس فيه ويؤخذ منه اذا عزل . ولكن قد زاد مجلس او مكان واحد منهم فقط عن هؤلاء وقد سمى بالحاجب الذى كان يعتبر الرئيس عليهم كما يعتبر صلة الوصل بينهم وبين الامير . اما رتبه الوزارة فهى رتبه عاليه من الناحية الماديه حيث وصل راتب الواحد منهم الى ثلاثمائه وخمسين دينارا شهريا . أما من الناحية المعنويه فهى ايضا عاليه ودليل ذلك يظهر

فى تحديد قواعد التشريفات لتصرفاتهم فمثلا الوزير لا يقف الا لوزير مثلـــه ، فعند زيارة وزير لوزير يستقبله ويجلسه معه على مقعده ولا يبتعد عنه ولا لحظـــه

أما خطة الكتابة فكان صاحبها يكتب للامير ووزرائه فقسمها عبد الرحمـــن الثانى الى خطتين : الاولى الكتابه الى الامير • والثانيه الى الوزراء •

أما قسم الاداره الماليه ففيه المديرون • وأما القسم الثانى من مراتـــب أهل الخدمه فهم الذين يسمى الواحد منهم قهرمان • اما الامناء فهم جمـــع أمين وهم المشرفون على الجبايات ، ويتولى التفتيش الدائم عليهم امنـــاء ذو صلاحيات واسعه • ولم يقتصر نظام التشريفات على تنظيم المهام بـــل تعداها الى ترتيب المقامات حتى ضمن المرتبه الواحده • ومن جملة ما قـــره هذا النظام مرتبه موالى الامويين وضمن هذه المرتبه كان مقام موالى الامويـــين الشاميين اعلى من امثالهم البلديين حسبما رتبه الامير محمد •

وكان من نتائج ذلك التطور الاقتصادى توسع قرطبه التى ضاقـــت بسكانها فأندفعوا الى خارجها للبنيان حتى وصلوا الى حدود المقابـــر بل تجاوزوها مما اضطر قاضى قرطبه فى عهد الاوسط الى اصدار حكم يثبـــت فيه حدود مقبره الربـــض •

فواجه الامير عبد الرحمن الاوسط من جراء ذلك مشاكل عديدة نتيجـــة لذلك التضخم السكانى مما جعله يوقن بعدم ابقاء ادارة الامور المتعلقـــة بالاشغال العامه والامن والاشراف على المبيعات فى يد جهه واحده مـــن الجهات الحكوميه بل افرد لكل مهمه من المهمات الاخرى موظفا خاصا يلقـــب بلقب خاص • فالخدمات العامه مثلا تركت فى يد صاحب المدينه ، أما مشكلات الامن فعهد بها الى صاحب الشرطة العليا والسفلى • أما بالنسبه للجيـــش

فزيادة واردات الامراء مكنتهم من شراء العبيد بكثرة لذلك احتفظ عبد الرحمن الثاني لنفسه بجميع ماليك أبيه من الحرس بعد شرائه من اخوته حصصهم ، كما اشترى ايضا اعدادا اخرى من انحاء مختلفه مثل غاليا وشمال اسبانيا حتى وصل عدد حرسه الى خمسة آلاف شخص منهم ثلاثة الاف من الفرسان والفان من المشاه . كما ان عدد افراد الجيش النظامي زاد لاستخدام الامير لعنصر جديد هو عنصر المرتزقه الذين يخدمون مقابل معاش معين ويحترفون العسكريه حيث اضيف هذا العنصر الى العنصرين السابقين في الجيش وهما الحشد وهؤلاء ينضمون للجيش عند النفير ، والجند وهم أقدم العناصر العسكرية الذين تقدمهم الكور المجنده . ولكن الملاحظ أن الامر قد تغير في عهد الامير عبد الرحمن بفضل النشاط الاقتصادي عندهم اذ اصبح من مصلحتهم ان يضاعفوا من جهدهم في كل الاوقات للحرص على اعمالهم حيث اصبح في استطاعتهم ان يدفعوا مقابل تخليهم عن الحشد الاموال بدلا من خوضهم الحروب وكان الامير عبد الرحمن الثاني يعفيهم مقابل ذلك من واجب الحشد مقابل تجهيزهم مجموعة من المتطوعين عند كل صائفه .(1)

ونختتم القول بالنسبة لفترة السلام النسبي بالاندلس في عهد الاوسط ان هناك كانت اعمال كثيره حدثت في الاندلس في هذه الفترة منها الانشائية الكثيره والامنيه والاداريه والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية كان سببها الهدوء النسبي والامن والرخاء التي نعمت به البلاد في عهد الاوسط مما ساعده على اعداد الحملات الغازيه المختلفه واقامة المنشآت أولها بناء مدينة مرسيه

---

(1) احمد بدر - دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافه ص ١٦٣ - ١٦٦

فى عام ٨٣١ م وكانت هذه المدينه قبل ذلك بلدة صغيره خاملة الذكر فـــــى ولاية تدمير ٠ كما احاط مدينه أشبيليه بسور عظيم وذلك بعد وقوع غــــارات النورمان وقد بناه بالحجاره وكان ذلك سنة ٢٢٦ هـ ٠ ومهندســـه الذى اشرف على بنائه هو عبدالله بن سنان احد الموالى الشاميين المقربيـــن لعبد الرحمن مما يدل على تقدم الموالى الشاميين فى البناء وعلى حسن العلاقه بينهم وبين الاوسط ٠

التأثيرات العباسيه في حضارة الاندلس في عهد الاوسط :

سبق وأن ذكرت بأن عهد الاوسط اتصف بالهدوء والسكينه بعد عهد الفتن والثورات الكبرى التي اتصف بها عهد عبدالرحمن الداخل جد الاوسط والحكم الربضي والده لذلك نجد عبدالرحمن الاوسط قد أهتم اهتماما بالغا بالنواحي الحضاريه التي برزت وتألقت في عهده حيث اصبحت الاندلس في عداد الدول العظمى في العالم في ذلك الوقت وقد تحول المجتمع الاندلسي الذي كان يقوم على اخلاط بشريه متعدده وغير منظمه الى مجتمع منظم . ومما لا شك فيه ان هذا المجتمع الاندلسي قد تأثر في عهد عبدالرحمن الثاني بالتقاليد العراقيه التي اخذت تتغلغل في الاندلس وتمتزج بالتقاليد الشاميه وتظهر في قالب اندلسي اصيل ظهر بوضوح في عهد عبدالرحمن الثالث وبقي حتى نهاية عهد العرب في الاندلس اي حتى سقوط غرناطه .

انتشرت حضارات اخرى في الاندلس مثل الحضاره الحجازيه الى جانب الحضاره العراقيه حيث لا ننسى حياة الاندلس الاولى على ايام الدولة الاموية الحاكمة في الحجاز والشام والعراق قبل الدوله العباسيه فكانت لها ولاة تابعون للدولة الامويه في الاندلس وغيرها من الامصار الاسلاميه المفتوحه حيث كانت المظاهر في تلك الولايات سواء في الاندلس وغيرها شاميه في طابعها ومظاهرها الحضاريه وحينما جاء عبدالرحمن الداخل اراد أن يجعل من قرطبة دمشق اخرى حيث بنى قصر الرصافه على ضفاف نهر الوادي الكبير مقلدا جده هشام بن عبدالملك في دمشق . وقد اخذ الكثير من الرؤساء في الاندلس وكثير من الناس يقلدون اميرهم عبدالرحمن في اقامة القصور وفي تسميتها ايضا فنجد عبدالله البلنسي ابن عبدالرحمن الداخل يبني قصرا اسماه الرصافه بمدينة

بلنسيه . ونجد قصر دمشق فى مدينة قرطبة تشبيها لقصر دمشق الذى بناه الامويون فى دمشق نفسها . وقد عرفت هذه القصور فى المراجع العربية باسم المنيات جمع منيه وهى القصر الصيفى الذى يحيط به حدائق كبيره . هذا من جهه ومن جهه اخرى فكان عبد الرحمن الداخل يستورد اشجار الفاكهه من الشام والمشرق عامه حيث كان يرسل عملاء متخصصين لهذا الغرض ومن ضمن عملائه يزيد وسفر والى سفر هذا ينسب الرمان السفرى والتين السفرى .(١)

أما التطور السريع فقد حصلت عليه الاندلس فى ميدان الحضارة خلال القرن الثانى الهجرى لما عرفت به من رخاء وهدوء ثم المنافسه القويه التى ظهرت من الامويين فى الاندلس للعباسيين فى بغداد الامر الذى دفع الكثير من المفكرين الى الهجره من المشرق الى الاندلس حيث رحب بهم الامير عبد الرحمن الاوسط ايما ترحيب فاصبح عهده مطلع التقدم الحضارى الخصب الذى عرفت به الاندلس خاصه وان الاوسط كان معروفا بثقافته الواسعه وحبه للمعرفه .(٢) وكان اهم مايهتم به الاندلسيون وعلى رأسهم الاوسط خصوصا بعد قطع علاقاتهم بالعباسيين ان لاتكون الاندلس اقل عظمه ومهابه عن العراق وفارس والشام ومصر لذلك اخذ الامراء الامويون يبعثون بعملاء لهم فى عواصم الشرق لينسخوا لهم الكتب التى تؤلف حديثا وليكونوا على معرفة سريعه بسير العلوم فى العهد العباسى الاول ثم الثانى وليشتروا كل مايستطيعون شراءه من الاسفار والطرائف لكى لايفوتهم شىء من علم علماء

---

(١) احمد ابراهيم الشعراوى . الامويون امراء الاندلس ص٢٩ .

(٢) احمد شلبى . موسوعه فى التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلاميه ج٤ ص٤٩

المشرق وبذلك استمرت الرحلات بين الاندلس والمشرق فى التبادل مما نتج عنه الكثير من الفائده لكلا الطرفين [١] على ان تأثير المشرق على الفن العربى الاسبانى كان واضحا وفعالا على الدوام حيث يظهر فى التعبير الشعرى والمعمارى لدى مسلمى الاندلس بالاضافة الى التطور الفكرى وتاريخ الفكر الفلسفى فى اسبانيا المسلمه هو اقتباس امين من الثقافة الاسلاميه المشرقيه [٢]. كذلك فان بعض مؤلفات الفكر اليونانى الشهيره من العصور الكلاسيكيه والهلينيسيه قد امكن استنساخها على حساب مراكز الثقافه الاسلاميه فى اسبانيا العربيه عن طريق المشرق الاسلامى كالمعتاد وقد ذكرنا سابقا بأن الامير عبد الرحمن الاوسط قد قام بتحريات فى العراق للحصول على نسخ لمترجمات الاثار العلميه لبلاد فارس القديمه وبلاد اليونان ومع ذلك فان هذا الجهد التأملى فى العالم الاسبانى الاسلامى خلال العصور الوسطى يبقى على الرغم من محاوله كبح جماحه اكثر النواحى اصالة وابرز النتائج فى الثقافه الاندلسيه النابعه من ثقافة المشرق والتى استطاع العرب فى اسبانيا ان يجعلوها تسير وفق البيئه الطبيعيه والاخلاقيه والاجتماعيه لتصبح حضارة اخذت تنمى شخصيتها شيئا فشيئا مع الاهتمام بصيانة اللغة العربية فى مقامها الادبى الرفيع . [٣] فحتى عهد عبد الرحمن الاوسط نجد شعرا كلاسيكيا يضاهى شعر الفرزدق والاخطل وجرير ومن اهم شعراء الاندلس فى ذلك العصر ، الولاة انفسهم مثل ابى الخطار بن ضرار والصميل بن حاتم

---

(١) محمد كرد على . الاسلام والحضاره العربيه . الجزء الاول ـ الطبعة الثالثه ١٩٦٨م ص ٢٥٩/ ٢٦٠.

(٢) ليفى بروفنسال . حضارة العرب فى الاندلس . ترجمة د وقان قرقوط . ص ٦١/ ٦٢.

(٣) ليفى بروفنسال . حضارة العرب فى الاندلس . ترجمة د وقان قرقوط . ص ٦٣/ ٦٦.

وقد هجا كل منهما الآخر فى شعر تتجلى فيه الروح العصبيه القبليه لان الاول يمنى والآخر قيسى كذلك فقد كان عبد الرحمن الداخل شاعرا ايضا وكذلك ابنه سليمان وهشام والامير الحكم الربضى كان له شعر سياسى يصف معاملته للثوار ضده ، ونظرا لدقة عواطف الاندلسيين فقد تعمقوا فى شعر الغزل واستعانوا عليه بالموسيقى والغناء والرقص فقد كان يسمع فى كثير من البيوت صوت الموسيقى والغناء اثناء الليل هذا بالاضافة الى مجالس الادب التى كانت تحضرها النساء ، فالاندلسيون كانوا كالمشرقيين فى انتاجهم الادبى الغزير سواء النثر او الشعر ووصف الحياة الاجتماعية خاصة مجالس اللهو والغناء ووصف المناظر الطبيعيه والملاحم الخ . وهذا يعود الى ما اشتهر به العرب من طواعية اللسان وفصاحته حيث انتجوا فى الادب اكثر مما انتجوا فى العلوم الرياضيه والطبيعيه وغيرها ، وقد انفرد الاندلسيون بابتكار الموشحات والازجال وذلك لكثرة وصفهم للاشياء والظواهر الطبيعية المحيطه بهم ومن اهم الشعراء فى الاندلس فى عهد عبد الرحمن الاوسط يحيى الغزال الذى لقب بشاعر الاندلس ومعنى شاعر الاندلس انه شاعر اندلسى كبير ، وكان الغزال الى جانب ذلك حكيما يحسن التصرف فى المآزق ولذلك فقد اختاره الامير عبد الرحمن الاوسط سفيرا له لدى حكومة بيزنطه وقد اختاره اربعة خلفاء من حكام الاندلس سفيرا لهم لدى الدول الاجنبيه حيث كان آخرهم محمد بن عبد الرحمن بن الحكم .

أما بالنسبة للحياه الدينيه بالاندلس فقد كانت متأثرة ايضا بالشام وقد سبق ان ذكرنا ذلك حيث فى عهد هشام الرضا اتجه الاندلسيون الى آفاق حضاريه جديده فقد لجأوا الى حضاره الحجاز خصوصا النواحى الدينيه والاجتماعيه حيث انتشر المذهب المالكى بسرعة فى اسبانيا فى أيام هشام

ومابعده واصبح اكثر شمولا فى عهد عبد الرحمن الاوسط . واذا انتقلنا الى القضاء فى الاندلس فاننا نجده مشابها للنظام المتبع فى المشرق أيام الامويين حيث كان الخليفة الاموى فى المشرق هو الذى يعين ويعزل القضاة والعباسيون بعدهم استعملوا قاضى القضاه حيث منحوه هذه السلطة مما ظهر فى عهد الاوسط حين ولى يحيى بن يحيى الليثى سلطة تشبه قاضى القضاة فقد كان يولى القضاة ويعزلهم كيفما يشاء وقد رفض هو هذا المنصب . ولكنه كان يولى من يمرتضيه ومن يريده .

اما الناحية الاجتماعية فاننا نجد الاندلسيين اخذوا عن اهل المدينة حياة الترف واللهو وسماع الموسيقى والاغانى وفى مكه والمدينه حيث ظهرت المدارس الموسيقيه الاولى فى الاسلام وهى عبارة عن الموسيقى العربية الاصيله المختلطه بموءثرات بيزنطيه وفارسيه نتيجة للتوسع العربى فى تلك الجهات واحتكاك الفاتحين العرب بالاهالى فى فارس وبيزنطه وظهر تنافس بين مكه والمدينه فى اتقان الموسيقى والغناء مما ساعد على ازدهار هذا الفن فقد روى المقرى من ان مغنيه عراقيه اسمها فضل ذهبت الى المدينه لاجادة الغناء حيث انتقل هذا الفن من الحجاز الى الاندلس عن طريق المغنيين والمغنيات والجوارى وقد خصص عبد الرحمن الاوسط فى اوائل عهده قصرا لمغنياته وجواريه المدينيات وسماه دار المدينيات .

بلا ريب أن هوءلاء المغنيين والجوارى قد نقلوا معهم الى الاندلس الكثير من مظاهر الحضارة والحياة الاجتماعيه والثقافيه المزدهره فى الحجاز الى جانب فنهم ومعظم المراجع تجمع على ان/ معظم هوءلاء الجوارى كن اديبات متعلمات يحفظن الكثير من الشعر والادب والموسيقى هذا من جهة بالنسبة لامويين الاندلس اما بالنسبة للعباسيين ببغداد الذين بنوا مدينة بغداد —

سنة ١٤٥ هـ ، ١٤٩ هـ العراقيه بين الطبقة الارستقراطيه فى الاندلس، وقد ذكر الدكتور احمد ابراهيم الشعراوى ان هذه الملابس انتشرت ايضا بين المستعربين من المسيحيين .

واذا ما اخذنا الناحية الفنيه فى الاندلس فى عهد عبد الرحمن الاوسط نجد ان للفنون مركز الصداره فى الاهتمام بها عند الاوسط بصفة خاصة وعند الاندلسيين بصفة عامه فقد كانوا يجلبون الصور والتماثيل من البلاد الاخرى مثل القسطنطينيه وقلدوا بعض النقوش التى رأوها فى كنائس اسبانيا وصقليه وعلى هذا فقد عمل الاندلسيون الآنيه والاثاث ورسموا الاشكال الهندسيه العجيبه على الابواب والسقوف مما لاتزال آثارها باقيه حتى اليوم .

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان الاندلسيين قد تفننوا فى الموسيقى والغناء لذلك نجد ان الموسيقى العراقيه اخذت تتسرب الى الاندلس وما لبثت ان حلت محل الموسيقى المدنيه وظهر ذلك فى اوائل عهد الامير عبد الرحمن الاوسط عندما جاء الى الاندلس المغنى العراقى فى ايام أبى جعفر المنصور فاصبحت مقرا لخلافتهم حيث استقرت فى هذه المدينه عناصر عربيه وغير عربيه كالفارسيه والصينيه والهنديه والروميه فقد سكنت هناك هذه العناصر ومعها ثقافاتها وعلماؤها وتجارها فامتزجت هذه الحضارات القديمه المختلفة بالحضارة العربية الاصيلة وظهر من هذا المزيج حضارة اسلاميه راقيه اضفت على بغداد صفه دوليه جعلتها عاصمه العالم الاسلامى كله لتتجه اى دوله اسلاميه نحو بغداد لتأخذ عنها وتقتبس من الحضارة والعلم ومنهم الاندلس وغيرها من البلاد الاسلاميه وقد تم ذلك فى عهد عبد الرحمن الاوسط حيث وجد حضاره العباسيين بلغت ذروة مجدها ورقيها فى العالم اجمع كما رأى ببعد نظره انه من الخير لامته ان يبتعد عن سياسة

الانعزال عن العراق التى سار عليها اباؤه من قبل ، اذ عليه ان يستفيد من نزعه التجديد الحديثه التى تقوم عليها الحضارة العراقيه ليجعل من قرطبه بغداد اخرى وبالفعل فتح ابواب الاندلس لجميع المنتجات والواردات العراقيه ، كما قلد الخلفاء العباسيين فى مظهرهم وفى عدم الظهور امام الناس الا فى مناسبات قليله جدا ليضفى على ملكه هيبة وعظمه . هذا بالاضافة الى انتشار الملابس .

أبو الحسن على بن نافع وهو الملقب "بزرياب" وقد ذكرت شيئا عنه فيما قبل . اما سبب رحيله من العراق الى الاندلس فمختلف فيه لكن الشائع هو ماذكره ابن حيان فى كتابه المقتبس ؛ ماملخصه : ان زرياب تلميذ لاسحق الموصلى اعظم الموسيقيين العرب فى عهد هارون الرشيد فغنى زرياب أمام الخليفة هارون الرشيد فاعجب الرشيد ببراعة زرياب ، فى فنه وغنائه وموسيقاه مما اثار حسد اسحق الموصلى استاذه فطلب من زرياب الرحيل من بغداد وهدده ان لم يفعل ذلك ، فرحل زرياب الى الاندلس عند وفاة الحكم الربضى وتولية عبد الرحمن الاوسط سنة ٨٢٢ م فرحب بقدوم زرياب الامير عبد الرحمن الاوسط حيث نظم له راتبا ولاولاده كما اعد له حرسا خاصا من الفرسان يصاحبونه اثناء سيره وبرحيل زرياب الى الاندلس نقل معه مظاهر الحياة العراقية الاجتماعية والفنيه وقد لقيت مدرسته نجاحا ورواجا كبيرين فى الاندلس وكانت هذه المدرسة تمثله هو شخصيا وبناته وجواريه ونتيجة لذلك ضعفت المدرسة المدينيه الموسيقيه القديمه واخذت فى الزوال تدريجيا وان ظلت لها آثار باقية بصورة ضعيفه الى مابعد القرن العاشر الميلادى والى جانب فن زرياب فى غنائه وموسيقاه كان له ذوق عظيم فى آداب اللياقه فى المأكل والملبس وعوائد كثيره جديده احدثها لدى الاندلسيين الذين

قلدوها وحفظوها واعجبوا بها كانت النواة الاولى لفخامة واناقة بيوت امراء واغنياء الاندلس هذا بالاضافة الى ان زرياب ادخل تعديلات فنيه وتجديدات اجتماعية كثيره جعلته قدوة المجتمع القرطبى ومثال ذلك انه زاد فى اوتار العود وترا خامسا اذ من المعروف ان العرب اتخذوا للعود اوتارا اربعة ، كما ذكر الدكتور احمد ابراهيم الشعراوى : أن تلك الاوتار الاربعه هى تقابل الطبائع البشرية الاربعه " الدم والصفراء والبلغم والسوداء " فحين جاء زرياب واضاف الوتر الخامس فى الوسط وهو يمثل النفس . فيقول الدكتور احمد ابراهيم الشعراوى ان زرياب كان عليما بقيمة النفس البشرية وتأثير الموسيقى فيها . كما استخدم زرياب ريش النسر كمضرب للعود بدلا من الخشب مما ساعد على نقاء الصوت وعلى سلامة الوتر ليبقى مدة اطول دون ان ينقطع ، وان خفة الريشه على الاصابع ساعدت على سهوله العزف على العود . هذا بالاضافة الى انشائه معهدا لتعليم الموسيقى والغناء للاندلسيين بالطرق التى ابتكرها زرياب هذا من الناحية الفنيه اما الناحية الاجتماعية فقد كانت لزرياب اساليب ابتكرها فى النواحى الاجتماعيه ظلت متبعه حتى اواخر العصر الاسلامى فى الاندلس وقد اطلق المؤرخون على هذه التقاليد اسم " مراسيم زرياب وتتضمن هذه التقاليد ان زرياب علم القرطبيين الطهى العراقى مع مراعاة ابتاع النظام والنظافه والترتيب فى الاكل فبدلا من وضع الطعام على المائدة بكل الوانه المختلفة دفعة واحدة ، لابد من تدرج ذلك اى يوضع الحساء مثلا اولا ثم بعد ذلك اللحم والخضروات يلى ذلك الحلوى . كما ابتكر للاندلسيين بعض انواع جديده من المأكولات لم يعرفها الاندلسيون من قبل فحين تعلمها الاندلسيون ابقوا عليها واستمرت حتى الآن موجوده فى اسبانيا وهذه المأكولات هى مثل الاسفراج (وهو نوع من النبات يطهى على اشكال مختلفة وله اسم ايضا اسفراغ ، وجنجل وهليون والاسم الشائع هو كشك الماز)

كذلك ينسب اليه نوع من الحلوى فى الشرق يسمى " زلابيا " هذا بالاضافة الى أن زرياب علم الاندلسيين طريقة تصفيف الشعر وتصنيف الملابس من حيث الوانها واصنافها لاوقات مختلفه فى الفصول المختلفة على مدار السنه ففى الصيف تستعمل الالوان البيضاء وفى الربيع الالوان الزاهيه وفى الشتاء الالوان القاتمه والمعاطف الجلديه • كما اضاف زرياب بعض الاداب الاجتماعية مثل حضور الحفلات والمقابلات والزيارات ولاسيما النواحى الرسميه وفى اصول وترتيب الخدمه لدى الامراء وكبار الدولة وما يسمى فى وقتنا الحاضر باسم " اتيكيت " وبعد هذا العرض الذى قدمته من اصلاحات عامه فى نواحى مختلفة اسسها زرياب فى الاندلس ونقل بعضها من المشرق الاسلامى وابتكر بعضها الآخر فان زرياب يعتبر بحق مصلحا اجتماعيا الى جانب اصلاحاته الفنيه الاخرى ومن ذلك كله نستنتج ان الاندلس الاسلامى قد تأثر تأثرا كبيرا بالمشرق سواء فى النواحى الاجتماعيه او الثقافيه او الفنيه أى فى معظم النواحى الحضاريه المختلفه حيث تفاعلت حضارته مع الحضارات القادمه اليه وامتزجت وكونت وحده حضاريه مميزه اشتهرت بها الاندلس مما جعل الاوربيين يأتون اليها لقربها منهم واحتكاكها بهم ويأخذون عنها الكثير من الثقافه يتعلمون ويشاهدون ويقلدون ليحملوا ماتعلموا الى بلادهم •

هذه حضارتنا الشرقية التى تسربت الى الاندلس واثرت فيه ووصلت الى اوربا لتصبح اوربا المتحضره الآن وفى وقتنا الحاضر •

" شخصيات البلاط الاندلسي وأثرها في تنظيم امارة قرطبة "

لقد تألفت في عصر الامير عبد الرحمن الاوسط عدة شخصيات كان لها اثر كبير في التقدم الحضاري الذي وصلت اليه الاندلس على يديه وقبل أن اذكر اهم الشخصيات وابرزها لابد ان امر مرورا سريعا على مكونات بلاط الامير عبد الرحمن الاوسط لنتعرف على الشخصيات الهامه التي كان لكل منها دوره في الخدمه الاميريه وفي التطور الحضاري الذي اصبح من خصائص ذلك العصر بالاندلس ولعل اهم ماكان يتألف منه بلاط الامارة الاندلسية والقصر بصفة خاصه ، الحجاب ثم الوزراء ثم الكتاب ثم القواد واصحاب الشرطة وخدم القصر ثم الجواري على ان اهم هؤلاء جميعا هم الفقهاء الذين يتكون منهم القضاة ثم العلماء . وسأوضح فيما بعد ان الاماره لم تكن مقصوره فقط على الفقهاء والعلماء والفنانيين فلو كان الامر كذلك لاصبحت الاماره خاويه على عروشها اذ لابد من وجود شخصيات اخرى كثيره ومتعدده لكل منها دور وأبدأ بالقول عن :

حجاب الامير عبد الرحمن الاوسط :

يذكر ابن حيان عنهم ان الامير عبد الرحمن الاوسط سار على منوال والده الامير الحكم حيث ابقى على حجابه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث لانه يتصف بالكمال وبكل الخصال الحميده فبقى في منصبه الى ان توفى فولى الامير عبد الرحمن الاوسط بعده الحجابه لسفيان بن عبد ربه ثم لعيسى بن شهيد ثم عزله ووضع مكانه عبد الرحمن بن رستم ثم عزل ابن رستم واعاد عيسى الى الحجابه فبقى فيها ابن شهيد الى وفاة الاوسط . اما سفيان بن عبد ربه

فكان من اكابر الرجال الذين يستطيعون حمل اعباء الدولة وتتوفر فيهم الامانه والعفه فقد تولى خدمة الخزانه الكبرى ايام الامير الحكم ولم يزل ينتقل فى مراتب الخدمه الى ان نال الحجابه ٠ اما عيسى بن شهيد فذكر عنه ابن حيان ايضا انه كان منقطعا الى الامير عبد الرحمن الاوسط فى عهد والده الحكم فلما تولى الامير عبد الرحمن الاماره جعله فى مقدمه القوم من خاصته وجعله فى اعلى المراتب فولاه خطة الخيل ثم استوزره وولاه النظر فى المظالم وتنفيذ الاحكام على طبقات اهل المملكة ثم استحجبه مكان سفيان بن عبد ربه بعد وفاته واستخصه دون اصحابه وكان اهلا لايثاره فقد كان من اعيان رجال الموالى فى الدوله وهم كثيرون فكان اشهرهم حلما ووقارا وعلما ومعرفة وحزما وقد قاد بالصوائف فكانت سياسته محموده وآراءه صائبه والحقيقه التى لابد من ذكرها انه عندما توفى الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث فى عهد الامير الاوسط تنافس الوزراء كلهم فى خطة الحجابه بعده وحاولوا بشتى الوسائل الوصول الى مركز الحجابه لدى الامير حتى ضجر منهم الامير فاقسم الا يوليها واحدا منهم حيث عطلها لمدة من الزمن ثم ولاها الى رجل له معرفه قديمه وثيقة به قبل توليه الامارة وهو سفيان بن عبد ربه اصله من برابره بيانه ، اتصف بيقظته ومعرفته فتولى حجابه الامير اعواما الى ان مات فتولى الحجابه بعده عبد الرحمن بن غانم الى ان مات ابن غانم فتولاها عيسى بن شهيد ثم عبد الرحمن بن رستم ثم عزل ابن رستم وتولاها عيسى بن شهيد مرة اخرى فبقى فيها الى وفاة الاوسط حيث ابقاه الامير محمد ابن الاوسط فى حجابته وبقى فيها لخمسة اعوام ثم توفى ابن شهيد بعد ذلك فى سنة ٢٤٣ هـ ٠

أما وزراء الامير عبد الرحمن الاوسط : فكانوا كثيرين اذكر بعض اسمائهم وهم " العباس بن عبد الله القرشي ، ثم الوليد بن عبد الله بن يحيى بن خالد وعبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث الحاجب القائد الكاتب . وعبد الرؤوف بن عبد السلام ، وعيسى بن شهيد الحاجب ، وعبد الرحيم بن رستم الحاجب ايضا ، ومحمد بن السليم وكانت له مع الوزارة خطط يرتزق عليها فى كل شهر ثلاثمائة دينار وقد اجتمع للامير عبد الرحمن الاوسط جملة من الوزراء ذوى العلم والحلم والنهى والمعرفه والذكاء لم يجتمع مثلها عند احد من الخلفاء والامراء قبلهم ولا بعدهم . حيث اتخذ الامير عبد الرحمن لهؤلاء الوزراء داخل قصره بيت الوزاره وهو بيت رفيع المقام مخصوص بهم يذهبون اليه ويجلسون فيه على الارائك ورتب مقابلاتهم له فى كل يوم يستدعيهم معه او من يختص منهم بالمسائل الهامه او مسألة الساعة يستدعيهم اليه متى شاء اما بالجملة واما افرادا يناقشهم فى امور الدولة او يخاطبهم برقاع فيما يراه من امور الدولة .

وقد ذكر ابن حيان : ايضا " انه لم يخدم ملوك بنى اميه احد اكرم من عيسى بن شهيد غاية ولا اكرم اصطناعا ولا ارعى لذمة . وقبله كان عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث بهذه الصفه على زيادة خصاله على عيسى الا فى باب كرم الصنيعه بل كان عبد الكريم يقصر عن عيسى فى باب قبول الهدية وتجويز المكافأه على قضاء الحاجه فكان يقبل ذلك وكان عيسى على عكسه لا يقبل شيئا من ذلك قط "(1) .

أما كتاب الامير عبد الرحمن الاوسط :

فقد كتب له الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث مع وظيفة الحجابه والقياده ثم عبد الله بن محمد بن اميه بن يزيد بن ابى حوثره مولى معاويه

---

(1) ابن حيان القرطبي " المقتبس " ص ١٦٩

ابن يزيد بن عبد الملك ابن مروان الذى ولاه بيت الكتابة لبنى امية بالاندلس حيث كان جده أمية كاتبا لعبد الرحمن الداخل وكان ثلاثة من هذا البيت يتصفون بالنجابه كما كتب له أيضا محمد بن سعيد الزجالى ومحمد بن يوسف بن محمد.[1]

أما قواد الامير عبد الرحمن الاوسط : فيأتى على رأسهم وفى مقدمتهم عبد الكريم ابن عبد الواحد بن مغيث الحاجب الكاتب الذى عمل قائدا لثلاثة من الامراء هشام والحكم وعبد الرحمن الاوسط ، ثم القائد عبد الرحمن بن رستم ثم عبد الواحد بن يزيد الاسكندرانى ، وعباس بن الوليد الطلبى وكان كثير التردد بالصوائف[2]

أما أصحاب الشرطة : فمن الثابت ان الامير عبد الرحمن الاوسط قد أبقى الشرطة على ما كانت عليه أيام أبيه الحكم حيث كان عليها محمد بن كليب بن ثعلبه فأبقاه الامير الى أن رقاه الى الوزاره وولى مكانه على الشرطة سعيد بن عياض القيسى وكان على الشرطه والرد حارث بن ابى سعيد .[3]

أما بالنسبة لخدم الامير عبد الرحمن فقد حذا هذا الامير حذو أبيه فى اتخاذ الموالى والصقالبه هذا بالاضافة الى انه اشترى نصيب كل من اخوته من مماليك ابيه " العجم " وكانوا خمسة آلاف مملوك ثلاثة آلاف فارس يرابطون بباب القصر فوق الرصيف ثم الفا رجل على ابواب القصر وكانوا يسمون " الخرس " لعجمتهم وبذلك سما نفوذ الفتيان يومئذ فى البلاط وكان زعيمهم الفتى الذى يتصرف فى شئون القصر فى كافة المجالات وقد اسماه بعض المؤرخين على أنه خليفه الامير عبد الرحمن ، حيث كان يتمتع باعظم نفوذ سواء فى القصر أو فى

---

(١) ابن حيان القرطبى المقتبس ص ١٧٠
(٢) " " " " ص ١٧٧
(٣) " " " " ص ١٧٦

الدولة وكان نصر هذا يكنى بأبى الفتوح من الفتيان المختارين الذين اشتهروا بالجمال والظرف فأمر الحكم بخصيهم ، وأصل نصر هذا من ابناء الاحرار الذين حشدوا للخدمه داخل القصر وكان ابوه من اسالمه اهل الذمة (المولدين) من أهل قرمونه . فلما تولى الامير عبد الرحمن الاوسط الامارة قدمه على بقية خاصته فأصبح مدبر امر القصر ومشاركا لاكابر وزرائه فى تصريف الشئون فتضاعف نفوذه ومكانته خصوصا حينما تحالف مع جارية الامير طروب واثيرته . ومن اشهر أعمال نصر قيادة الجيوش المقاتلة للنورمان فى اراضى اشبيليه وانتصاره عليهم وبذلك استمر نجم نصر فى الصعود كما تمكن من النفوذ الزائد حتى صار من اعظم رجال الدوله وامضاهم امرا حيث كان مرهوب الجانب يخشاه الاكابر والخاصة .[1] لكن الغريب ان الاستاذ عبد الحميد العبادى "يذكر ان نصرا كان يحاول ان يتميز فى هذا البلاط ولكن ملكاته لم تكن تسعفه فكان يخفق فى كثير من المهام الحربيه التى يعهد بها اليه مولاه فكان الاندلسيون من رجال الحاشيه يسخرون منه ويستثيرونه فيحقد عليهم ومن اولئك (يحيى الغزالى) " ولكن نصرا كان يعرف كيف يؤيد نفسه حين يتظاهر بمولاته الشديده لولى العهد مايجعله مقربا من السلطانه طروب " .[2]

وعلى الرغم من وجود بعض التناقض فى نجاح وتألق نصر فى القصر وفى الخدمه وفى الجيش او فى اخفاقه وحقده مما ذكره المؤلفان الا أنه كانت له سياده فى القصر حاول ان يستغلها فى تدبير مؤامرة مع طروب جارية واثيرة الامير عبد الرحمن لسم الامير عبد الرحمن الاوسط فنلاحظ ان نصرا كان يتعجل وصول ولى العهد الى العرش حتى يتمكن سلطانه وينتصر على خصومه لهذا حاول

---

(١) محمد عبد الله عنان . دولة الاسلام فى الاندلس ص ٣٧٧ .
(٢) عبد الحميد العبادى . المجمل فى تاريخ الاندلس . الطبعة الثانيه ص ٩١

ان يسقى عبد الرحمن السم فلم يفلح ومات هو نفسه بسبب ذلك . على ان مهلك نصر الخصى ذكره ابن حيان حين قال :

" على الرغم من ان نصرا نال ما ناله من الكرم والحظوة والمكانه ما نالـه خادم خاص مع امير رشيد قد غلب على قلب مولاه الامير عبد الرحمن الاوسط وقد سماه ابن حيان بخليفه الامير حيث اصبح ملك عبد الرحمن في يد نصر يديره كيف يشاء ، فلا يرد امره ومع هذا فقد اجتهد سعيا في استمالة طبقات الناس والرهبه في تولية عبد الله بن عبد الرحمن الاوسط وهو ابن محظية الامير طروب وست نصرا هذا التى كانت توءازره فعمل نصر على اخذ ولاية العهد من الامير محمد الولد الاكبر للامير عبد الرحمن ، ليعطيها للامير عبد الله اخيه فسولت لنصر نفسه في اغتيال مولاه عبد الرحمن ليتمكن من تقديم عبد الله مكانه ويوءخر محمد المرشح لولاية العهد فطلب من الطبيب الحرانى دس السم في دواء اقترحه للامير بعد ان اعطى الطبيب الف دينار وطلب منه السكوت فوافق الحرانى وعمل له الدواء الذى اشار به نصر على الامير عبد الرحمن وقد ارسل الطبيب الحرانى ضرة طروب وغيرها من الثقات ليخبر الامير بما دبر له . وحينما عاد نصر الى الامير يسأله أن هو شرب الدواء فماكان من الامير الا أن سقاه اياه جزاء فعلته فاسرع نصر الى الحرانى يطلب منه انقاذه فحاول الطبيب الحرانى ذلك ولكن نصرا مات وبموته تنفس الناس الصعداء وفرحوا حيث انزاح كابوس عنهم . هذا ماذكره ابن حيان .

اما ابن خلدون فيذكر خلاف ذلك حين يقول : " ان نصرا اجبر الطبيب الحرانى في ان يدس السم لمحمد ولى العهد ولكن الطبيب ارسل الى الامير مع قهرمانه داره لتحذره من ذلك وحينما دخل نصر يستفهم عن شرب الدواء وجده بين يديه وقال له الامير ان نفسي قد بشمته فاشربه أنت فوجم نصر فأقسم

عليه الامير بشربه فلم يستطع نصر الا أن شربه وخرج مسرعا الى دار فهلك لحينه . (١)

وثمة شخصية ترمز الى طبقة لها اثر عظيم هى طبقة الحريم أى نساء بيت الاماره وكن كثيرات جدا فيمابين نساء الامير الجالس على العرش ونساء سابقيه واهل بيته وكان معظمهن من بنات الشمال واهم اصنافهن ثلاثة : الصقلبيات ، والبشكنسيات ثم الجليقيات . ولذا كن فى الاندلس مضرب المثل فى الجمال وفى اسواق الرقيق لكن اغلى الجوارى ثمنا والشخصية التى ترمز الى سلطان نساء الحريم هى شخصية " طروب " حيث كان للاندلسيين عادة اطلاق اسماء على الجوارى يسيره جملة فيها معنى من معانى امتيازهن مثل " غضن " و " روض " و " صبح " و " راح " و " طروب " وما الى ذلك . وكانت طروب بشكنسيه ذات جمال بارع وكان الامير عبد الرحمن شديد التعلق بها وله فيها شعر كثير وكان من عادة نساء الحريم التنافس طمعا فى العرش لاولادهن وكانت طروب تريد العرش لابنها عبد الله لذلك بذلت قصارى جهدها لاستمالة الناس اليه وكانت شديدة الطمع فى اموال الامير لان المال يزيد من نفوذها لكنها كانت شديدة الانانيه جامدة امام مولاها حيث لم تتردد فى تدبير المؤامرات عليه رغم اكرامه لها ولكنها لم تفلح خصوصا مع الفتى نصر وقد سبق ذكره ومؤامرته الدنيئه معها لسم الامير عبد الرحمن الاوسط . ورغم ذلك فقد توفى الامير عبد الرحمن فى منزل طروب بعد فترة غير طويلة من تلك المؤامرة القذره لحبة الشديد لها على الرغم من علمه بها فى تدبير المؤامرات ضده ولكنه لم يعاقبها وتوفى فى بيتها فى ظروف غير معروفة . لكن الذى اعلن

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٢٨٢/٢٨٣ .

للامارة بعده ليس ابنها عبدالله وانما الذى اعلن الامير محمد كما ولاه ابوه العهد من قبل .

ولكننا يجب ان لا نبالغ فى تقدير سلطان طروب لان سلطانها كان قليلا ولكننا بينا هنا نموذجا من جوارى هذا العصر ولان طروب كانت اهم محظوظة لدى الامير ، ولنلق الضوء على داخل بيوت الامراء . (١) الا أن كل ماذكرته من شخصيات البلاط هو اختصار شديد لما كان يتكون البلاط من شخصيات اخرى لدى الامير عبدالرحمن الاوسط حيث توجد تفصيلات اطول وأدق من ذلك ولكننى حاولت الاختصار فى الموضوع قدر الامكان على اننى سأذكر الآن اهم وأبرز تلك الشخصيات فى البلاط الاندلسى والتى كان لها اثرها فى تنظيم امارة قرطبة حيث اجتمعت فى عهد الاوسط جمهرة من جلة الفقهاء والقضاة رحل معظمهم الى المشرق فى طلب العلم وانتقاء الرواية ومن هؤلاء محمد ابن يوسف بن مطروح ومحمد بن حارث وعبدالاعلى بن وهب وبقى بن مخلد وعيسى بن دينار وقد اشتهر بعض هؤلاء من قبل فى عهد ابية الحكم وكان يتقدم هذه الجمهره من الفقهاء فى المكانة والنفوذ الفقيه يحيى بن يحيى الليثى : الذى كان يعتبر عميد الفقهاء والقضاة ورجال الدولة واهم من لدى الامير عبدالرحمن . واصله من بربر مصموده اما ثقافته "فكان يروى الموطأ بقرطبة عن زياد بن عبدالرحمن اللخمى المعروف بشبطون ، كذلك سمع من يحيى ابن معز القيسى الاندلسى ثم رحل الى المشرق وهو فى الثامنه والعشرين من عمره فتوجه الى الحجاز رأسا فسمع من مالك بن أنس واعجب به مالك وسماه عاقل الاندلسى " (٢) ولذلك قيل : " ان يحيى هذا عاقل الاندلس وعيسى بن دينار

---

(١) عبدالحميد العبادى . المجمل فى تاريخ الاندلس . ص ٩١ / ٩٢ .

(٢) د . السيد عبدالعزيز سالم . تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص ٢٣٢

فقيهها وعبد الملك بن حبيب عالمها " (1) ولم يكتف يحيى بذلك بل سمع بمكـــه من سفيان بن عيينه كذلك تفقه على المدنيين مثل عبد الله بن وهب وعبد اللـــه بن نافع ثم رحل الى مصر وذلك اثناء عودته الى الاندلس فسمع من الليث بن سعيد حيث تفقه بفقهه وبعدها عاد الى قرطبه حيث انتهت اليه الرئاسة فى الفقه والقضاء فروى عنه الكثير من الفقهاء والمحدثين فنال مكانة ساميه عند الامير عبد الرحمـن الاوسط وكان يحيى بن يحيى واثقا من مكانته الراسخه عند الامير فهو مقبـــول القول فى القضاء اى كان يستشيره الامير فى توليته القضاة وكان يحيى لا يولـــى قاضيا فى اقطار الاندلس الا بمشورته واختياره وهو لا يشير الا بأصحابه ومن كـان على مذهبه وهكذا نال يحيى عند هشام الرضى جد الامير عبد الرحمن الاوســط حظوة وقدرا عظيما لم ينله احد من اهل الاندلس قبله وكان من المعروف ان الفقهاء اصبحت لهم مكانة عظيمة فى عهد هشام فقد رفع منازلهم فى كل اموره • حينمـا تولى الامير الحكم بن هشام امارة الاندلس أراد أن يحد من نفوذ هؤلاء الفقهـاء فانقلبوا عليه وكان من بينهم فى اثارة الناس على الحكم فى وقعه الربض الشهيـرة الشيخ يحيى بن يحيى ففر الى طليطله حيث ارسل رساله الى الامير الحكـم يطلب منه الامان فأمنه الامير الحكم فعاد يحيى بن يحيى الى قرطبة وبعد وفـاة الحكم استطاع يحيى بن يحيى ان يستعيد نفوذه فى عهد ابنه الاميـر عبد الرحمن الاوسط وقد برز يحيى بن يحيى على غيره من الفقهاء فكان الاميـر يجله ويأخذ بفتواه ومن امثلة ذلك • ان الامير عبد الرحمن وقع على جاريـه يحبها فى شهر رمضان ثم ندم على ذلك اشد الندم فاستدعى الفقهاء فى قصـره وسألهم عن التوبه والكفارة فقال يحيى : " تكفر بصوم شهرين متتابعين " وبعـد أن افتى يحيى بهذه الفتيا سكت الفقهاء حتى خرجوا (2) • فسأل بعضهم : " لم لم

(1) المقرى : نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب جـ ٢ ص ٢١٧

(2) د • السيد عبد العزيز سالم • تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس ص ٢٣٢

تفت بمذهب مالك بالتخيير؟ فقال : لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه ان يطأ كل يوم ويعتق رقبه " ولكن حملته على اصعب الامور لئلا يعود " .

ومن تواضع يحيى بن يحيى انه كان اشد الناس تعظيما لمحمد بن بصير واحسنهم عليه ثناء في حياته وبعد مماته فسأل يحيى عن لباس العمائم فقال هي لباس الناس في المشرق وعليه كان امرهم في التقديم . فقيل له : لو لبستها لاتبعك الناس في لباسها فقال : قد لبس بشير الخز فلم يتبعه الناس وكان بشير اهلا ان يقتدى به فلعلي لو لبستها لتركني الناس ولم يتبعوني كما تركوا ابن بشير وكان يحيى كثيرا ما يحكى عن محمد بن بشير عن مالك بن انس " (٢)
وجاء في الخشني انه قال : " قال محمد وحدثني عثمان بن محمد قال حدثني ابو مروان عبدالله بن يحيى عن ابيه قال : لما ولى الامير عبدالرحمن بن الحكم رضى الله عنهما الح على يحيى بن يحيى في القضاء اى في ان يتولى القضاء فقال يحيى : المكان الذي انا به لما تريدون خير لكم انه اذا تظلم الناس من قاض . اجلستموني فنظرت عليه وان كنت القاضي فتظلم الناس مني فمن تجلسون للنظر على من هو اعلم مني او من هو دوني في العلم تقيل ذلك مني وعافى بي " (٣) وقال خالد بن سعيد : كان احمد بن خالد يحدث لما مات يحيى بن يعمر بقى الناس بلا قاضى من امامهم يوما زرياب راكبا الى البلاط فسألوه ان يخبر الامير عنهم بما هم فيه من سوء الحال اذ ليس

---

(١) د . السيد عبدالعزيز سالم المرجع السابق ص ٢٢٣ .
(٢) الخشني قضاة قرطبة ص ٤ / ٥
(٣) نفس المصدر ص ٣٦ .

لهم قاض فلما دخل زرياب على الامير عبدالرحمن الاوسط ذكر ذلك فقال له الامير : يازرياب والله مامنعنى من تولية قاض الا أنى لست اجد احدا ارضاه غير رجل فقال فقلت اصلح الله الامير ومن هو ؟ قال الامير : يحيى بن يحيى غير انه يأبى على ذلك فقال له زرياب فاذا ترضاه للقضاء فأسأله ان يدلك على قاض فقال له الامير : قلت قولا سديدا فأرسل فى يحيى ويسأله ان يشير بقاض .. يرضاه اذا لم يقبل هو القضاء فى نفسه " (١) وقال خالد بن سعد اخبرنى بعض أهل العلم ان يحيى ابى ان يقبل القضاء وابى ان يشير بأحد وقال يحيى : لست افعل لانى ان فعلت شركته فى جوره ان جار فأحفظ ذلك الامير عبدالرحمن فأمر صاحب رسائله ان يكون رقيبا على يحيى وغدا به الى الجامع ودفع اليه الديوان وقال للخصوم : هذا قاضيكم فلبث فى ذلك ثلاثا " ولما ضاق الامير على يحيى اشار بابراهيم بن العباس " (٢)

ويعتبر الفقيه يحيى بن يحيى الليثى صاحب اليد الطولى فى نشر مذهب مالك فى الاندلس وقد ذكرت سابقا انه استعاد سلطانه فى عهد الامير عبدالرحمن الاوسط حيث انبسط سلطانه واصبح اقرب مايكون الى مايسمى اليوم " وزير العدل " واحيانا كان يجعل لنفسه قضاء ناحية من النواحى ثم ينيب عن نفسه قاضيا ولاينتقل هو الى مكان القضاء ٠ ولقد اتسع سلطان هذا الفقيه حتى لنجده يحاول الاستبداد بالامير وفرض سلطانه واستغلال مركزه العظيم وجاهه فى البلد للوصول الى ذلك التحكم فى الامير عبدالرحمن وأهل قصرة " (٣) ويظهر ذلك فى اكرام الامير عبدالرحمن الاوسط له وللفقهاء

(١) الخشنى ٠ قضاة قرطبة ٠ ص ٥ ٠
(٢) الخشنى ٠ المصدر السابق ص ٥ ٠
(٣) الاستاذ عبدالحميد العبادى ٠ المجمل فى تاريخ الاندلس ٠ ص ٨٥/ ٨٦

بصفة عامة ولاصناف العلماء حيث كان محسنا اليهم ٠ [1] فقد اصبحت هـــذه من علاقة الفقهاء واهل العلم بالبيت الاموى الاندلسى ودورهم فى استكمـــال الصفة الشرعية اساسا ثابتا من اسس الحكم وقد عبر عن ذلك الامير عبد الرحمـــن الاوسط بعبارة قالها : " لعجب " محظية ابيه الحكم عندما حاولت التدخـــل للعفو عن ابن اخيها وكان شابا طائشا ظهرت منه دعابه تمس لفظ الجلا لـــه قال لها عبد الرحمن بعد كلام كثير " مهلا ياماه فلا بد ان نكشف اهـــل العلم عما يجب عليه فى لفظه ذلك الذى شهد عليه ثم يكون الفصل بعد فـــى امره فأنا معشر بنى مروان لاتأخذنا فى الله لومة لائم وماترى أن الله رفع ملكنـــا وجمع فى هذه الجزيرة فلنا واعلى بها ذكرنا الا باقامة حدوده واعزاز دينـــه وجهاد عدوه مع مجانبة الاهواء المضلة والبدع المرديه ". [2] وبالمقارنه حيـــن نجد شعر أبيه الحكم الذى يفخر فيه بأنه أقام ملكه على السيف وحده ٠ وقضيـــة ابن اخى عجب قصد بها الامير وفقيه تقديم مثل واضح للناس على تشدد عبد الرحمن فى امور الدين وسيره وذلك على حسب مايقضى به كبار الفقهاء ٠ ومن اواخر عهـــد الحكم وفى اثناء امارة عبد الرحمن الاوسط تبدأ ظاهرة الشيوخ الكبار او شيـــوخ العصر فى الاندلس حيث لم يكن لقب شيخ العصر لقبا رسميا او شبه رسمى مثـــل شيخ الفتيا وانما كان لقبا تطلقه كتب التراجم على الذين امتازوا بالعلم وجمعـــوا خصال الرياسة شخصية من بين الفقهاء الكثير من الذين حفل بهم كل عصـــر وهم يوصفون بعبارات مثل : " دار الفتيا " [3] اذ يعتبر عميد الفقهاء شيـــخ

---

(١) على محمد حموده ٠ تاريخ الاندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى ص ١٥١

(٢) حسين موئس ٠ شيوخ العصر فى الاندلس ص ٣١ / ٣٢ ٠

(٣) حسين موئس ٠ المصدر السابق ص ٣٢ / ٣٣ ٠

قرطبة الاول هو يحيى بن يحيى حيث تولى الفتيا بعد عيسى بن دينار فبقى فيها حتى وفاته سنة ٢٣٤ هـ على أن المكانه الساميه التى كانت ليحيى كانت السبب فى كثرة عزل القضاه لان الامير عبدالرحمن الاوسط كان يأخذ رأيه ويشاوره فى كثير من امور الدوله بصفة عامه وفى تولية القضاه وعزلهم بصفة خاصه . لذلك نجد يحيى بن يحيى اذا اخذ على قاضى امرا قال له استعف والا رفعت بعزلك فكان القاضى ليستعفى او يشير يحيى على الامير بعزله فيعزل . ويقول ابن عذارى عندما كتب تاريخ وفاة يحيى بن يحيى : "وفى سنة ٢٣٤ هـ . توفى يحيى بن يحيى فاستراح القضاة من سمه " واحب ان اذكر مثالا واحد فقط على مدى سلطان يحيى بن يحيى فى توليه وعزل القضاة هو ما ذكره الشيخ ابو الحسن النباهى المالقى الاندلسى حين ذكر القاضى يحيى بن معمر قال : ومنهم يحيى بن معمر له رحلة الى المشرق لقى فيها اشهب بن عبدالعزيز وسمع منه ومن غيره . وكان فى مذهبه ورعا زاهدا فاضلا استقضاه الامير عبدالرحمن وكان صلب القناة قليل المبالاه بالعتب فى سبيل الحق وكان اذا اشكل عليه امر من احكامه كتب فيه الى أصبغ بن الفرج ونظرائه بمصر فكشفهم عن وجه مايريد علمه ، فيحقق عليه ذلك فقهاء الاندلس وكان هو قليل الرضا عن طلبه قرطبة شديد التقصى عليهم لايلين لهم فى شئ مما يريدون ولا يصغى اليهم وبلغ من تجاهله عليهم ان سجل بالسخطة على تسعة عشر منهم فنفروا عنه باجمعهم ونشأت بينه وبين يحيى بن يحيى لاجل ذلك عداوة فسعى فى عزله عند الامير واقام عليه بما زعمه الشهود فعزله . ولما احتضر ابن معمر وهو فى اشبيليه وايقن بالموت قال لمولى له : على ما حكاه هذا الزاهد بن سعيد : " وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون " ففعل ذلك مولاه لما مات سيده وبلغ يحيى ما طلبه منه سيده قال : فبكى وقال : " انا لله وانا اليه راجعون : ما اظن الرجل

الاخذ عنا فيه " وترحم عليه واستغفر له " . (١)

وقد ذكر ابن حيان تحت عنوان قضاة قرطبة للامير عبد الرحمن الاوسط :
" كان له احد عشر قاضيا اولهم مسرور بن محمد سنة ٢٠٧ هـ . ثم سعيد بن سليمان سنة ٢٠٨ هـ ثم يحيى بن معمر الالهانى سنة ٢٠٩ هـ ثم الاسور بن عقبه سنة ٢١٠ هـ وما بعدها ثم ابراهيم بن العباس القرشى المروانى جدا بن صفوان سنة ٢١٣ هؤلاء القرشيون الوجوه بقرطبه ثم محمد محمد بن سعيد سنة ٢١٤ هـ وما بعدها ثم يخامر بن عثمان سنة ٢٢٠ هـ ايضا فقضى اعواما . ثم على بن ابى بكر سنة ٢٢٧ وما بعدها ثم معاذ بن عثمان (الشعبانى) سنة ٢٣١ ثم محمد بن زياد اللخمى سنة ٢٣٤ . وانما كان سبب استكثار عبد الرحمن بن الحكم من القضاة وكثرة توليته وعزله لهم اتباعه فيهم رضا كبير الفقهاء المشاورين الاثير عنده يحيى بن يحيى اذ كان يشير عليه بقاض فيوليه الامير مقتصرا فيه على رأيه فاذا انكر عليه شيئا رفع عنه الى الامير فيعزل وكان يحيى هو الذى يولى مكانه . (٢) فكان الشيخ يحيى بن يحيى واثقا متمكنا من مكانته لدى امير البلاد الذى آثره على جميع الفقهاء اصحابه فكانت الفتيا ايام الحكم ولا ايام عبد الرحمن ولده تدور على عيسى بن دينار وزنان بن الحسين ومحمد بن عيسى الاعشى راويه وكيع بن الجراح ويحيى بن يحيى الليثى وسعيد بن حسان وعبد الملك بن حبيب ومحمد بن خالد الأشج " فغلب ابن يحيى جميعهم على رأى الامير عبد الرحمن الاوسط واصبح اولى بايثاره حيث كان الامير يلتزم من اعظامه وتكريمه وتنفيذ اموره مايلتزمه الولد لابيه فلا يستقضى قاضيا ولا يعقد عقدا ولا يمضى فى الديانه امرا الا بعد رأى ومشورة الشيخ يحيى بن يحيى

---

(١) الشيخ ابو الحسن بن عبد الله بن الحسن البناهى المالقى الاندلسى تاريخ قضاة قرطبة ص ٥٥ .

(٢) ابن حيان القرطبى . المقتبس ص ١٧٧ / ١٧٨ .

ويحيى نفسه يعترف للامير بجميله ذلك • (١)

أبو الحسن بن نافع الملقب "بزرياب"

ولد أبو الحسن على بن نافع عام ١٧٣ هـ (٧٨٩م) فى العـــراق وقد كان عتيقا للخليفه العباسى المهدى • ولقب بزرياب لسبب انه كان غامـــق اللون تشبه بالتمساح الغامق هذا من جهه ومن جهة اخرى فان معنى زريـاب فى اللغه الطير الاسود الريش لذلك سمى زريابا لان لونه اقرب الى الســواد • وكان زرياب تلميذا لاسحاق الموصلى الموسيقى والمغنى الذائع الصيت فـــى بلاط بغداد صاحب مدرسة الموسيقى والغناء هناك وكان زرياب احد تلاميذه الذين برعوا فى هذا الفن فجعله اسحاق رئيسا للموسيقيين والمغنيين فـــى بلاط الرشيد فنبغ زرياب فى فن الالحان على يد استاذه اسحق وتميز بفهـــم هذا الفن وصدق العقل مع طيب الصوت فتفوق على استاذه اسحاق دون ان يدرى استاذه الى أى درجة وصل تلميذه من الاجاده والاتقان فى فنه وذات يوم طلـب

---

(١) ابن حيان القرطبى • المقتبس •
— الخشنى قضاة قرطبة •
— ابوحسن النباهى تاريخ قضاة قرطبة •
— المقرى نفح الطيب •
— د • على محمد حموده تاريخ الاندلس السياسى والعمرانى •
— د • السيد عبد العزيز سالم تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس •
— د • حسين مؤنس شيوخ العصر •
— أ • عبد الحميد العبادى • المجمل فى تاريخ الاندلس •
— محمد عبدالله عنان • دولة الاسلام فى الاندلس •

الرشيد من اسحق ان يأتى له بصوت جديد فأتى لهبزرياب حيث اظهر زرياب مقدرته امام الرشيد وفاق استاذه الموصلى الى حد انه اى زرياب رفض ان يعزف على عود استاذه مفضلا العزف على عوده الخاص على اعتبار انه صنعه بنفسه ويعتز بالعزف عليه فاثار اعجاب الخليفه العباسي بصوته ونغمه وموسيقاه اشد الاعجاب فشعر الموصلى انه فاقد مكانه لامحاله فانتظر حتى خلا بتلميذه فطلب منه الرحيل من البلاد وان لم يفعل فان مصيره الموت وكان زرياب شديد الذكاء حيث ايقن انه لايستطيع الصمود امام استاذه فخاف على نفسه وفضل الرحيل باسرته الى الاندلس ورحل ثم وصل الى القيروان ونزل فى بلاط زياده الله الاول الاغلبى ومن هناك كتب الى الامير الحكم يطلب منه الدخول الى الاندلس والذى دعاه الى ذلك هو ان الاندلسى اصبح مطمع الكثير من الطموحين الذين يبحثون عن الفرص النادره ليجدوا انفسهم باعمالهم وفنونهم خصوصا وأن الكثير من المشرق بدأ و يأخذ ون طريقهم الى هناك للاخذ والعطاء الحضارى الذى اشتهرت به الاندلس فى ذلك العصر خصوصا ماظهر من تشجيع الامراء الاندلسيين للمغنين والفنانين والعلماء وكل من يساهم فى تطوير الحضارة وبناءها • فكان يذهب اليها الكثيرون طلبا للعلم احيانا وطلبا للثروة احيانا اخرى • وبعد ان وصل خطاب زرياب الى الامير الحكم الربضى فرح به الامير وارسل له يرحب بقدومه خصوصا وان شهره زرياب قد سبقته الى البلاط الاندلسى عن طريق الموسيقار اليهودى القرطبى ابى النصر منصور ولكن قبل رحيل زرياب من المغرب تلقى نبأ وفاة الحكم فتردد فى الرحيل الى الاندلس مما جعل الامير عبدالرحمن الاوسط يرسل الى زرياب ليخبره بانه يأخذ بتنفيذ عقده والده على عاتقه كما ارسل اليه بعض الهدايا مما شجع زرياب للاسراع الى الاندلس وقد خرج الامير عبدالرحمن الاوسط بنفسه لاستقبال زرياب مبالغة فى تكريمه فعزم زرياب على الاستقرار فى اسبانيا بقية ايامه وعند وصوله كان عمره قد تعدى

الثلاثين فمكث فيها الى وفاته سنة ٨٥٧م • على أن هذا الموسيقار العراقي الذى استقبله سيد البلاد باهتمام بالغ ومنحه راتبا شهريا ضخما واقطاعات ومنزلا ذا محصول مثمر سرعان مافرض نفسه على المجتمع القرطبي سواء بموهبته الموسيقية اوبثروته الماديه مما احدث لسخاء الامير الاسبانى على زرياب ضجة فى العالم الاسلامى جعلت بالمقابل موسيقارا فى بغداد اسمه Allugah. يقول للخليفة العباسى حين يسير زرياب فى قرطبة فانه يسير فى موكب ضخم من الفرسان ويملك ثلاثين الف قطعة من الذهب على حين ان هذا الموسيقار الذى فى بغداد يكاد يموت جوعا •

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان الامير عبد الرحمن الاوسط بدأ بمجالسة زرياب وسماع غنائه وعندما سمعه كره كل غناء سواه وقدمه على جميع المغنيين فى بلاطه ورفع منزلته وفتح له بابا خاصا فى قصره يستدعيه منه متى اراد • وبذلك اسس زرياب مدرسة فى الغناء والموسيقى فوضع الاسس الراسخه التى قام عليها هذا الفن فى الاندلس ولم يكن زرياب صاحب ثورة فى تاريخ الموسيقى الاندلسيه فحسب بل كان مجددا اجتماعيا بالاضافة الى انه كان شاعرا اديبا اجاد فنون الاداب كما اجاد اداب المجالسه والمحادثه ، ولقد اثبت زرياب مهارة موسيقية منقطعة النظير فكان تجديده • للالحان تجديدا لم يعرفه احد معاصريه حيث كان العود آله الطرب الرئيسية بأربعة اوتار كل منها يرمز الى طبع من طبائع النفس البشرية وهى الهادى والعصبى والصفراوى والبارد فأخترع زرياب وترا خامسا وضعه فى الوسط ووضعه بين الهادى والعصبى ورمز له بالروح وسماه صول " Sull " هذا بالاضافة الى أن زريابا أول من استخدم المجموعات فى الغناء "كورس" وكان يدرب تلاميذه وتلميذاته على ذلك وله طرق فى تدريبهم هدفها تقوية الصوت وتصفيته

وضبطة على مثال ماتفعل المدارس الموسيقية اليوم فوضع بذلك الاساس للموسيقى الاندلسيه اساسا ثابتا متينا استطاع من اتى بعده ان يبنى عليه حتى اصبحت الموسيقى الاندلسيه ارقى انواع الموسيقى العربية شرقا وغربا ولاتزال اثار زرياب باقيه فى الموسيقى حتى الان ويقال انها هى اساس الموسيقى الاسبانيه الحاليه ٠

ولم يكن زرياب مجرد موسيقى فحسب وانما له ذوق عظيم فى كل مايتصل بشئون الحياه والمجتمع حيث كان له ذوق فى المظهر الشخصى من تصفيف الشعر فقد فتح معهدا حقيقيا للجمال فى قرطبه حيث كان يلقن من التبرج والتخصب ونتف الشعر واستعمال معجون الاسنان وهندمه الرأس وذلك بان لاتترك خصل الشعر متفرقه فى وسط الرأس وانما بحسر الشعر الى الوراء ثم طيه طيا قصيرا على شكل دوائر بحيث يكشف الابيض ٠ من حزيران حتى نهاية تشرين الاول وبأن الربيع هو الفصل الذى تلبس فيه ثياب الحرير الخفيف وسترات ذات الوان زاهيه اما الفراء المبطن ومعاطف الفراء التى تلبس فى الشتاء وزرياب هو أول من اتخذ ثيابا للصيف وثيابا للشتاء فقد كان الناس قبله يلبسون الصوف فى الصيف والشتاء فعلمهم زرياب الملابس القطنيه فى الصيف وارتداء الملابس الصوفيه فى الشتاء بالاضافة الى ابتكاراته فى هيئات الثياب والوانها وطرق العناية بها ٠ كذلك له آراء فى ترتيب البيت وتنسيق الاثاث وترتيب المائده وله ابتكارات فى انواع الطعام والوانه حيث علم الاندلسيين وضع البهارات فى الطعام كالقرنفل والجبهان وغيرها لكي تمتص الرائحة من الطعام ٠ وقد تبعه اهل الاندلس فى جميع ابتكاراته وآرائه وبذلك فقد جمع زرياب فى نفسه خصال رجل الفن او مايسمى بالانجليزيه Master of Ceremonles أى مديرالحفلات وبذلك فان هذا الرجل قد استطاع

بجهده وذوقه ان يعين على انتقال الوسط الاندلسى من حال الى حال وقد كان القدوه والمثل وكثر تلاميذه سواء فى الفن أو الذوق فكان تلاميذه ينشرون ماأخذونه عن استاذهم فى كل ناحيه .

هذا وقد اثار وجود على بن نافع وتقريب الامير له ومكانته الساميه حسد رجال الدوله فانكروا على الامير عطاياه اليه ولكن زرياب كان لبقا ذكيا فلم يتدخل فى السياسه وبذلك ظل آمنا على نفسه .

ومن استعراضنا لحياة زرياب واعماله الواسعة والتى اثرت فى البلاط الاندلسى بصفه خاصه وفى حياة اهل الاندلس بصفة عامه فان زرياب قد كان شخصية بالغة الاهمية فى هذا البلاط وذات تأثير حضارى لايستطيع التاريخ محوها او ازالتها .

---

(١) ـ ليفى بروفنسيل . حضارة العرب فى الاندلس ص ٤٨ الى ٥٠
. انظر د . السيد عبدالعزيز سالم . تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس ص ٢٢٣ الى ٢٣٥ .
الاستاذ عبدالحميد العبادى . المجمل فى تاريخ الاندلس من ص٨٦ الى ٨٨
د . احمد شلبى . موسوعه التاريخ الاسلامى ج ٤ ص ٨٦ الى ٨٩

عباس بن فرناس :

الشخصية الثالثه هى نوع آخر فهو ليس فقيها ولا فنانا ولكنه عالم يشتغل بالعلوم الطبيعيه والكيمياء ومعلوماتنا عنه ليست كثيره لانه شخص شبه اسطورى • والسبب فى ذلك انه كان يزاول علما لم يكن مألوفا او مطروقا فى ذلك الوقت فكان الناس يعبرون عن ذلك العلم بانه السحر حيث كان العلماء امثاله مضطهدين خاصة فى اوربا فكانوا يقتلون او يحرقون ونظرة الناس بصفة عامه الى كل من يزاول علم الكيمياء والطبيعيات على انه رجل ساحر شرير لذلك نجد شخصية ابن فرناس شخصية تكاد تكون غامضه لعدم اقبال الناس على علومه •

ويعتبر ابن فرناس من العبقريات العلميه والادبيه الفذه (١٩٠ـ٢٦٠هـ) (٨٠٥ ـ ٨٧٣) م فقد حفل تاريخ العلوم الاسلاميه بمختلف العبقريات التى استطاعت فى ظلمات العصور الوسطى أن تحقق اروع الفوزات العلميه فى ميادين العلوم البحته مثل الطب والكيمياء والرياضيات والفلك ثم النبات والحيوان وغيرها لتمهد باكتشافاتها هذه العظيمه الطرق للاجيال الاتيه مثل علماء العصر الحديث • وعباس بن فرناس القرطبى من اعجب هذه العبقريات العلميه والاسلاميه لانه لم يقتصر فى معالجته للبحوث العلميه السائده فى عصره فقط وانما وصل الى افكار جديده لم يصل اليها اى مفكر قبله حيث امتاز ابن فرناس بصفات عديده نادرا ماتجتمع فى شخصية علميه اخرى • فهو فيلسوف وعالم رياضى ثم هو طبيعى وكيميائى وفلكى من الطراز الاول ثم هو موسيقى بارع الى جانب انه شاعر عظيم وايضا هو اول عالم حاول ان يغزو الجو ويخترع اداة للطيران •

هو أبو القاسم عباس بن فرناس من روداس وأصله من كوره ماكرنا (رونده)

بجنوب الاندلس في شرق المثلث الاسباني وينتمي الى اسرة من البربر والى ذلك الجنس الذكي النابه الذي اعتنق الاسلام ودخل العروبه منذ عصر مبكر والذي كان له اعظم قسط من الجهاد في فتح الاندلس وفي الغزوات الاسلاميه الكبرى فيما وراء البيرينيه ثم حماية الاندلس وامتداد الحماية الاسلامية لها لمدى عدد من العصور حيث ساهم ابن فرناس هذا البربري اخيرا بقسط وافر في ثراء الاندلس الحضاري العظيم . ونشأ ابن فرناس في قرطبة في اواخر القرن الثاني الهجري (اواخر القرن الثامن الميلادي) ودرس بها وبرع منذ شبابه في الفلسفة والكيمياء والطبيعة والفلك فكان يقوم بتجارب عملية حيث رسم في بيته شكل القبه السماويه وقسمها الى بروج ومنازل للشمس وللافلاك على مدار السنه وحاول ان يبين اختلاف الفصول وأوجه القمر وكان يمثل ذلك بآلات صناعيه من صنعه وكان يدعو الناس لزيارة معمله ليجري امامهم تجاربه فكان منهم من يستفيد ويفهم ومنهم من يسخر منه ويصفه بالجنون . (١)

هذا بالاضافة الى ان ابن فرناس قد برع في الشعر والادب والموسيقى فقد ظهر ابن فرناس منذ ايام الحكم بن هشام امير الاندلس الذي توفى في سنة ٢٠٦ هـ . سنة ٨٣٢ هـ حيث عاصر بعده ابنه الامير عبد الرحمن الاوسط ثم ابن الاوسط الامير محمد بن عبد الرحمن . فحظى هؤلاء الامراء الثلاثة به واتحفهم بمدائحه وادهشهم بمخترعاته وتوفى في اواخر ايام الامير محمد في عمر قد ناهز الثمانين .

وكان عباس بن فرناس يلقب بحكيم الاندلس لانه عرف ببراعته في الحكمة

---

(١) عبد الحميد العبادي . المجمل في تاريخ الاندلس ص ٩٠ .

والشعر والادب حيث انتظم بين العلماء والشعراء الذين يضمهم بـــــلاط الامير الحكم بن هشام • لكن ابن فرناس مالبث ان ظهر فى ميدان آخـــــر وهو ميدان العلوم ابحته وهو الميدان الحقيقى الذى تفتحت فيه مواهبـــــه المدهشه لانه اجتهد وانصرف الى معالجة البحوث الطبيعية والكيميائيـــــه والفلكيه فلم يقتصر فى معالجتها مثل كثير من اسلافه على النواحى النظريـــة فقط وانما اندفع الى النواحى التجريبيه العمليه حيث وصل بتجاربه فى ميـــدان الكيمياء الصناعيه الى اختراع صنع الزجاج الشفاف من الرمال والحجاره فكـــان توصله الى هذا الاكتشاف ان طارحينيه فى الافاق كما كانت له نتائج باهـــرة فيما بعد • واتسعت شهرته هذا بالاضافة الى انه عكف على الدراســـات والبحوث الرياضيه والفلكيه وانتهى فيها الى اختراع عدد من الالات الفلكيـــة الدقيقه نذكر منها آلتين الاولى اسمها " ذات الحلق " وهى عبـــــاره عن عده حلقات متداخله فى وسطها كره معلقه تمثل حركة الكواكب السماويـــه وهى فى اللغه الحديثه   وقد قدمها ابن فرناس الى الامير عبدالرحمن الاوسط (٢٠٦ ـ ٢٣٨ هـ) مرفقه بابيات شعريـــه • اما الثانيه هى آله المقياس الزمنى سماها ابن فرناس " بالميقاته " وقدمهـــا للأ- مير محمد بن عبدالرحمن الاوسط (٢٣٨ ـ ٢٧٣هـ) وقال فيها ايضـــا ابيات شعريه • (١)

وظهرت معارف ابن فرناس الرياضيه والهندسيه فى كثير من الاختراعات والتحسينات الفنيه بالقصر وحدائقه فيقول الاستاذ عبدالله عنان : "عبـــاس بن فرناس الحكيم الشاعر لايزال من تفوق قريحته الحكيمه يخترع الطرق الملوكية

---

(١) محمد عبدالله عنان • تراجم اسلاميه ص ١٦٧ •

ونوادر الطرف العجيبه والحركات البديعة وافراغها المياه منها فى البرك وغيرها ويستغنى فى اقامة اشخاصها ومعالجة هندمتها بالصنع عريف النجارين بالقصر " هذا بالاضافة الى ان ابن فرناس قد برع فى الموسيقى وصياغة الالحان وكذلك فى الغناء حيث كان الامير محمد بن عبدالرحمن الأوسط يستدعيه لمجالس الطرب فكان يقدم اناشيد كانت من نظمه الخاص فيغنيها بنفسه امام الامير . ونحب ان نذكر منها المقطوعة التى مطلعها : الجهل ليل ليس فيه نور والعلم مجرد نوره مشهور .

كما كتب ابن فرناس مقطوعة من اربعة أبيات على تفاحة بأحرف من الذهب وقدمها الى الامير محمد فاعجب الامير بتلك التفاحة وابياتها وامره بأن يغنى بها كما امر العباس ان يعطى ابن فرناس اربعمائة دينار ، وقال له لو زادها لزدناه .

على ان اشهر ما اقترن باسم عباس بن فرناس محاولته الطيران واختراعه آله يستطيع الانسان ان يطير بها فى الجو على مشهد من اهل قرطبة حيث كسى ابن فرناس نفسه بريش النسور وصنع لنفسه جناحين مدهما على وزنه هو وربطهما بجسمه بشرائط من الحرير الدقيق المتنه . ثم صعد الى ربوه عاليه بناحية الرصافة واندفع منها فى الهواء طائرا فحلق فيه حتى وقع فى مكان طيرانه على مسافة بعيده فاصيب بكدمات . ويقال ان سبب سقوطه يرجع الى انه نسى الذيل . فاشتهر ابن فرناس بهذه التجربة المدهشة وقد شاهده بعض اعراب هذه المنطقة فوصفوا محاولته هذه فى قصائد شعريه

وكان ذكره فى كل مكان • حتى قال فيه موءمن بن سعيد اكبر شعراء القصر :

يسطم على العنقاء فى طيرانها اذا ماكسى جثمانه ريش قشعم

وعلى الرغم من ان ابن فرناس هو الفريد فى ميادين الاختراعات العلمية على هذا النحو المدهش فقد كان يحتل مكانة ممتازه بين شعراء القصر ومنهم هوءلاء الشاعرين الكبيرين موءمن بن سعيد وابى عمر ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد وهما من خواص شعراء الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط حيث كانت لابن فرناس قصائد رنانه فى مديح الامير وفى الاشاده بحوادث القصر على ان اعجب صفحه فى حياة ابن فرناس واكثرها الما هى محاكمته الشهيره بتهمة الزندقه والكفر فقد اثار هذا العلامة الفذ بانتاجه فى البحوث والمخترعات العلميه الفريده فى الكيمياء والفلك فى داره بالربض الغربى من قرطبه حيث قام بمحاولة للطيران اثار ظنون عامة الناس ودهشتهم واعتقادهم ان الرجل مارق يتمتع بقوى شيطانيه خارقه فقداتحسرت سعايه خصومه من الفقهاء وغيرهم فى النهاية الى اتهامه بالكفر والزندقه واتيان الخوارق الشيطانيه فاعتقل وقدم للمحاكمة امام قاضى قرطبه سليمان بن الاسود الغافقى فعقدت المحاكمة بالمسجد الجامع فذهب الناس لمشاهدتها حيث اجتمع حشد كبير من العامه للشهاده عليه فمنهم من قال : سمعت ابن فرناس يقول : " مفاعيل مفاعيل " ومنهم من قال : " رأيت الدم تفور من قناة داره ليله منيره " الى غير ذلك من الحماقات التى صدرت من الشهود ذوى الجهل والهوس • وكان القاضى سليمان بن اسود على الرغم من صرامته فهو ذكى له ذهن مستنير فلم ترقه تلك الترهات ولم يقتنع بها فشاور جماعة الفقهاء فيما وجده من الشهادات هذه ولم يجد سبيلا لموءاخذه ابن فرناس فقضى ببرائته واطلاق سراحه •

وهكذا نجا ابن فرناس من محنه كانت تهدد حريته وحياته • والجدير بالملاحظه ان هذا العصر الذى ظهرت فيه طوالع الحركة العاميه الكبرى فى الاندلس كانت تهب فيه ريح المطارده الفكريه من وقت لاخر حيث اتهم فيه عدد آخر من العلماء والفقهاء منهم صديق وزميل ابن فرناس يحيى الغزال الجيانى الشاعر والفيلسوف وكذلك بقى بن مخلد عميد فقهاء العصر وقد اتهمه زملاؤه بالزندقه حيث حاولوا الايقاع به ولم ينقذه سوى الأمير محمد نفسه • وكانت هذه الاتهامات من خواص العصر ومن ورائها الاحقاد والمنافسات الشخصية واحيانا بواعث سياسيه •

على ان هذه الشخصية العلميه شخصية ابن فرناس كانت لها عدة آثار فى بلاط الامير الاموى عبدالرحمن الاوسط فى النواحى الادبيه والفنيه والعلميه البحته وهى الاهم لان ابن فرناس قد برز فيها وعلت شهرته الافاق ودوت انه من سمات عصر الاماره وخصوصا عهد الامير عبدالرحمن الاوسط الذى اتسم بالحضاره والرقى الحضارى والمادى وتشجيع العلوم والعلماء حيث وصلت الاندلس فى عهده الى ارقى مكانة بين دول العالم فى ذلك الوقت • اذا شخصية ابن فرناس كانت من الشخصيات البارزه والنادره التى ساهمت فى الرقى الحضارى فى عهد الاوسط •

---

(١) ليفى بروفنسال : حضارة العرب فى الاندلس ص ٥٢ •
انظر الاستاذ عبدالحميد العبادى • المجمل فى تاريخ الاندلس الطبعة الثانيه من ص ٨٩ / ٩٠ •
د • احمد ابراهيم الشعراوى • الامويون امراء الاندلس الاول من ص ٢٩٠ الى ٢٩١ •
محمد عبدالله عنان • تراجم اسلاميه شرقيه واندلسيه ط ٢ • من ص ٢٦٦ / ٢٧٠ •

الفصل الثـــانى

الفتن والثورات الداخلية فى عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط :

- القضاء على الخصومات العربية فى مرسيه .
- اخماد فتن المستعمرين فى قرطبة وطليطلة وسرقسطة وماردة .

أولا : القضاء على الخصومات العربية فى مرسيه :

بعد اتمام البيعه للأمير عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٠٦ هـ ٢٦ ذى الحجة (٢٢ مايو سنة ٨٢٢ م) وجلوسه على العرش ولم يمض وقت قصير الا ويفاجأ بخروج عم أبيه عبد الله البلنسى (١) عليه الذى عسكر بمرسيه سنة ٢٠٧ هـ وأظهر عصيانه وثورته مطالبا بالحكم له على اعتبار أنه من أبناء عبد الرحمن الداخل وله الأحقية فى الحكم وقد سبق له الخروج بالثورات فى عهد كل من أخيه هشام الرضى ففشل فيها ثم فى عهد ابن أخيه الحكم وأيضا فشل فى ثورته وها هو يقوم ضد حفيد أخيه الأمير عبد الرحمن الأوسط وفى هذه المرة شعر فى قرارة نفسه بسخافة خروجه على هؤلاء الأمراء الثلاثة وأن الله لو أراد له الرئاسة والحكم لنصره فى واحدة منهم فصلى الجمعة بالناس وبالجموع التى ستخرج معه على أن يخرج فى يوم السبت فخطب فى صلاة الجمعة وقال : " اللهم ان كنت أحق بهذا الأمر من عبد الرحمن حفيد أخى فانصرنى عليه وان كان هو أحق به منى وأنا صنو جده فانصره على " فأمنوا على دعائه ولم يستتم كلامه حتى ضربه الريح البارد فسقط مفلوجا فكمل الناس صلاتهم بغيره . وكان قبل ذلك متأهبا للحرب مع حفيد أخيه عبد الرحمن الأوسط مجهزا جيوشه فافترق الجميع وعاد هو الى بلنسيه بعد مرضه ومات بها سنة ٢٠٨ هـ . وعلى هذا النحو انتهت قصة الأمير الخارج ولاشك أنه كان يعتقد أنه صاحب حق فى خرجاته المتوالية ولذلك طلب من الله أخيرا أن يفصل بينه وبين حفيد أخيه وبموته عادت بلنسيه الى حظيرة الحكومة المركزية وتولى أمرها عامل من قبل الأمير عبد الرحمن . هذا بالاضافة الى أن الأمير عبد الرحمن

---

(١) انظر الهامش رقم (٢) صفحه ١٠٢ من هذا البحث .

الأوسط قد أحسن الى أبناء الشيخ عبد الله البلنسي وأكرمهم وقربهم منه وكان من أبنائه من اشترك في حروب الأمير عبد الرحمن كقادة للحملات والغزوات فأبلوا بلاء حسنا وأخلصوا في خدمتهم وتعاونهم للأمير أشد الاخلاص (١).

هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد تعاونت طبيعة أراضي الأندلس بجبالها الشامخة وخيرات وديانها العميقة مع العصبيات المتعددة التي تتقسم أهواء أهلها من عرب وبربر يمنيين ومضريين وعرب قدامى وعرب محدثين وأسبان مسيحيين وأسبان مسلمين وهم الذين عرفوا باسم المولدين يضاف الى أولئك جميعا الجلالقه بأنواعهم وأجناسهم والافرنج الذين اجتمعت كلمتهم تحت قيادة شارلمان حيث مدوا حدودهم الى الحدود الأسبانية وتخطوها الى المناطق المتاخمة للبرانس من أراضي أسبانيا ثم تحالف هؤلاء وأولئك معا وتشجيعهم لكثير من الثائرين الذين لم تكن تهدأ ثورتهم على الاماره الأمويه في طليطله وسرقسطه وغيرها من مناطق الحدود أو الثغور ، وكان كل ذلك من شأنه أن يجعل الحروب مستمرة في الأندلس سواء الحروب الداخلية واخماد الثورات فيها أو الحروب الخارجية أو الغزوات التي يوجهها الأمراء الجلالقة

---

(١) علي محمد حموده : تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ص ١٥١ ، ١٥٢

(٢) الغريب أن الدكتور السيد عبدالعزيز سالم يذكر أنه سار الى تدمير يريد قرطبه ولكنه اضطر الى العودة الى بلنسيه حيث مات سنة ٢٠٨ هـ ، وهنا نجد بعض التناقض في عسكره عبدالله البلنسي في رمسيه أو في تدمير ولكن الأرجح أنه عسكر في مرسيه وبعد مرضه عاد الى بلنسيه حيث بقي هناك الى أن توفي في السنة التالية سنة ٢٠٨ هـ.

فى أقاليمهم ومدنهم والى الافرنج فى الطرف الشمالى الشرقى على جانبى البرانس .

وقد بدأت حروب الأمير عبد الرحمن الأوسط فى سنة ٢٠٧ هـ ، ثارت فتنة فى تدمير بين اليمنيين ومضر ودامت سبع سنين وكان سببها المباشر طغيان الأحقاد المزمنة أولا ثم كان هناك سبب آخر وهو بدرجة من السخف والمهانة أدى الى اندلاع الحرب بين الطرفين وهو أن مضريا جمع ورق عنب دالية من بستان يمنى بغير اذنه فما كان من اليمنى الا أن قتل المضرى فاشتبكت الحروب بين الفريقين واستمرت سبع سنين فكان الأمير عبد الرحمن الأوسط يبعث اليهم المرة بعد الأخرى بالقواد فتهدأ الحرب ويتفرق شمل المتحاربين فاذا عاد قواد الأمير اليه عاد المتحاربون الى الفتنة والحرب من جديد فكانت بين هؤلاء وبين يحيى بن عبد الله موقعة تعرف بموقعة المصاره بلورقة حيث وصل عدد القتلى فيها الى ثلاثة آلاف قتيل . وأخيرا وفى سنة ٢١٣ هـ انتهت هذه الفتنة فى تدمير بعد أن استطاع الأمير عبد الرحمن أن يقضى على فتنتهم حيث استنزل أبو الشماخ رئيس اليمانية وغيره من القلاع وأصبح أبو الشماخ من ولاة الأمير عبد الرحمن ومن ثقاته .

ومما لاحظه ابن عذارى المراكشى : ان الدائرة كانت تدور على اليمانية وأصبح ذلك من عجائب الدهر ، بمعنى أن اليمانيه كانوا دائما فى تاريخ الحروب القديمة معروفيين بتغلبهم على المضريين وقد حدث ذلك أيام عبد الرحمن الداخل وأكثرهم يمانيين على قوات يوسف الفهرى والصميل بن (١)

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ص ٨٢ .
د . على محمد حموده تاريخ الاندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى ص ١٥٣

حاتم فى وقعة المصارة قريبا من قرطبة فتخيل اليمنيون أن ذلك الانتصار القديم لابد وأن يكون حليفهم حيث سموا احدى معاركهم الأخيرة فى تدمير باسم موقعة المصاره وهم أرادوا التفاؤل بالاسم لينالوا النصر ولكن لم يتم لهم فى هذه المرة ولا فى غيرها خلال السبع السنوات من (٢٠٦ هـ ـ ٢١٣ هـ) أن ينتصروا على المضريين . والحقيقة أن الانتصارات القديمة لم تكن راجعة الى مجرد أن اليمنيين يمنيون فقط وأن أعداءهم مضريون وانما كانت ترجع الى أسباب كثيرة يعرفها من يمعن النظر فى المعركتين الهامتين ، معركة مرج راهط بدمشق ومعركة المصاره بقرطبه وقد انتصر فيها اليمنيون على المضريين بسبب الزعامة التى كانت تقودهم أى زعمائهم ، كان للأمويين مروان بن الحكم ثم عبد الرحمن الداخل فى مقابل زعماء فهريين مثل الضحاك بن قيس ثم يوسف بن عبد الرحمن . اذ كان معروفا أن للأمويين دهاء ويقظة كان لهما أثرهما العظيم فى المعركتين . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فاليمنيون فى الشام كانوا أكثر من المضريين مضرب بادية الشام والمضريون قد انتقلوا الى الأندلس انتقالا . ولعل تمكن اليمنيين فى الشام فى ظل الدولة الأموية كان السبب الذى جعل المضريين ينتقلون بأعداد كثيرة الى الأطراف النائية . وهذا يجعلهم متساوين فى العدد مع اليمنيين فى الأندلس ان لم يكونوا أكثر منهم ، وعلى كل حال فقد كان لحروب العصبيات الكثيرة أثرها القاسى على الفريقين وعلى الأندلس . (١)

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

فتن الثغور :

رغم تمييز هذه الفترة بسمات خاصة الا أنه كان يدور قسم كبير من الأحداث السياسية فيها حول الصراع الذى دام طيلة عصر الامارة بين الفاتحين وسكان البلد المفتوح من مولدين ومستعربين حيث تبقى حركات المولدين مشتعلة فى الثغور وهذه الحركات ظهرت فيها عناصر جديدة لم تكن مرتبطة بها فى الفترة السابقة حيث لم تكن ثورات المولدين فى بعض الأماكن على الأمراء فقط بل أصبحت طليطلة ضد الفاتحين من عرب وبربر. كما أن الثورة فى الثغور الثلاثة قد اتصلت بمسيحى الشمال الذين كانوا يحرضون عليها فى بعض الأحيان ثم يشتركون فيها أحيانا أخرى بجانب الثائرين .

الفتنة فى طليطلة :

وكما هو معروف فى سائر عصر الامارة كانت ثورات مولدى طليطلة أشد ثورات الثغور عنفا وأطولها زمنا وأكثرها تكرارا وقد كان أشهرها فى فترة الاستقرار والازدهار ثورة بدأت عام ٢١٤ هـ (٨٢٩ م) أى بعد جلوس عبد الرحمن الأوسط على عرش الامارة بثمانى سنوات حيث كان زعيم الثورة هاشم الضراب الذى دخل قرطبة من طليطلة عندما انتصر الحكم الربضى على ثورة الثغر الأوسط فأخذ من مولديها رهائن وأصبح هاشم هذا يعمل لدى أحد الحدادين ويضرب عنده بالمعول فسمى بالضراب وما أن اتت سنة ٢١٤ هـ حتى خرج هاشم هذا من قرطبة عائدا الى طليطلة حيث ألب الناس وحرضهم على الثورة ضد حكومة قرطبة وهؤلاء الناس الذين أسموهم المؤرخون القدامى مثل ابن عذارى المراكشى : " بأهل الشر والفساد " فجمعهم هاشم حوله فخرجت تلك الجموع عن طاعة قرطبة وأخرجوا عامل الأمير عبد الرحمن ولم يكتف هاشم بثورة

المدينة فقط بل حاول بسط سلطانه الى أبعد منها فأصبح يغير هو وجماعته على العرب والبربر المجاورين لطليطلة حتى وصلت غاراته الى شنت بريه (حاليا) مدة سنتين ، وبناء على ذلك فقد خرج اليه محمد بن رستم موفدا من الأمير عبد الرحمن الأوسط لقتال الضراب وحربه حتى توافت الامدادات لابن رستم عامل الثغر فتناهض هاشم الضراب الذى كان قد تغلب على جانب الثغر فلم يفلح فى هزيمة الضراب فكتب اليه الأمير عبد الرحمن يعنفه لتقصيره فى محاربة الضراب حيث استفحل أمره . وفى سنة ٢١٤ هـ حدثت معركة بين محمد بن رستم وبين الضراب انتهت بهزيمة الضراب هزيمة شنعاء حيث قتل هو وكثير من أتباعه . ومع ذلك فقد بقيت طليطلة ثائرة بعد موته ولم تدخل تحت طاعة الأمير مدة خمس سنوات حيث أرسل الأمير عبد الرحمن اليها قائده أميه ابن الحكم سنة ٢١٩ هـ (٨٣٤م) وكان غزوه بالصائفه فحاصر طليطلة ثم عاد العسكر بعد أن اتلف زروعهم وقطع ثمارهم وأبقى بقلعة رباح ميسرة الفتى لمحاصرة طليطلة فخرجت جموع كثيرة تريد قلعة رباح حيث علم ميسرة الفتى بأمرهم فجمع الجموع وكمن الكمائن فلما قربوا من القلعة (قلعة رباح واقعة بين قرطبة وطليطلة) خرج عليهم ميسرة الفتى بالكمائن فقتلهم وجزر رؤسهم وبعد أن جمعت لديه تلك الرؤوس ندم وجزعت نفسه ولم يمكث الا وقتا قصيرا حيث توفى .

وفى سنة ٢٢٠ هـ أرسل الأمير عبد الرحمن جيشه لفتح طليطلة بعد وفاة ميسرة الفتى فولى بعده أبو الشماخ اليمانى القيادة ولكن لم يتم فتح طليطلة الا فى عام ٢٢١ هـ (٨٣٧ م) وكان السبب فى ذلك أن رجلا من طليطلة اسمه ابن مهاجر خرج عن الثوار الذين فى طليطلة وتوجه الى قلعة رباح حيث استدعى القواد وسار معهم الى طليطلة فحاصروا أبوابها وعندما أتى

القائد عبد الواحد الاسكندرانى الذى بعثه الأمير الى طليطلة لمحاصرتها وجد أهلها قد تعبوا من الحصار فافتتحها قهرا فى رجب سنة ٢٢٢ هـ. لكن ابن عذارى يذكر أن الأمير عبد الرحمن لحق بالجيش بعد ارساله عبدالواحد فافتتح الأمير طليطلة قهرا وقيل أن الذى افتتح طليطلة الوليد بن الحكم وجهه اليها أخوه عبدالرحمن .

الفتنة فى مارده :

ففى سنة ٢١٧ ثار أهل مارده على الأمير عبد الرحمن الأوسط (٨٢٨م) والذى أشعل نيران الثورة فيها رجل بربرى اسمه محمود بن عبد الجبار وهو من بنى طريف من مصمودة حيث انضم اليه أحد المولدين واسمه ابن مرتين ويعرف باسم قعنب كذلك انضم اليهم النصارى المعاهدون وكان محمود زعيما قويا ومغامرا جريئا حيث وثب بعامل مارده وقتله وعاث فى تلك الأنحاء قتلا ونهبا وتخريبا وكان عامل المدينة من قبل الأمير عبد الرحمن الأوسط هو مروان الجليقى وهو الذى قتل فاضطر الأمير الى ارسال فرقة حاصرت مارده سنة ٢١٤هـ (٨٢٩ م) تمكنت من قطع الأقوات عن المدينة ولكن هذه الحملة لم تأت بنتائج تذكر ثم بعث اليهم الأمير فى سنة ٢١٥ هـ حملة لردعهم " وقد اتفق فى هذا التاريخ للحملة كل من ابن خلدون والدكتور السيد عبدالعزيز سالم" فحاصرها جند الأمير حصارا شديدا أدى الى استسلام حاكمها حارث بن نبرع ولكن مع هذا لم يتم فتح مارده تماما حيث كان محمود يعتصم بالمدينة فى كل حملة يرسلها الأمير ثم يعود الى عيثه وسفكه عند مغادرة الجنود عنها . وقد ذكر الدكتور أحمد بدر أسباب قوة ثورة مارده وامتناعها عن الأمير كل هذه السنوات حيث تدخلت فى هذه الفتنة عناصر متعددة فقد كان الفونسو

الثانى يشجع المولدين والمستعربين على الثورة ضد الأمير الأموى كذلك الملك الكارلولنجى لويس التقى قدم نفس التشجيع ضد الأمير الأموى لمستعربى ماردة وفى سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣م) سار الأمير عبد الرحمن بنفسه الى مارده فغادرها محمود ومعه زميله سليمان وخرجت مع محمود أخته جميله العذراء وهى فارسة بارعة الحسن اشتهرت يومئذ فى جميع أنحاء الأندلس ببرائع جمالها كما اشتهرت بالشجاعة والنجدة والفروسية ولقاء الفرسان ومبارزتهم ، ونزل الثوار بحصن فرنكش على ضفة نهر وادى يانه ثم غادر سليمان زميله واستقل محمود بالعمل وزحف فى جموعه على بطليوس ثم على أكشونه ثم سار الى باجه فقاتله أهلها ولكنه تغلب عليهم بمعاونة أخته جميلة وبسط محمود سلطانه على باجه وهو يقاتل خصومه من حوله وبعوث الأمير تتردد عليه حتى لحقه الأعياء واليأس ففر مع أخته وصحبه الى جليقيه واستجار بملكها الفونسو الثانى فرحب به وأكرم وفادته وأنزله بأطراف مملكته . وبعد حين رأى الثائر أن يعود الى الطاعة فكاتب الأمير عبد الرحمن فعرف ألفونسو بهذا النبأ وهذه المحاولة فخشى ان قلت الثائر منه انقلب حربا عليه فسار اليه وأحاطت به الجند من كل ناحية ودافع محمود عن نفسه دفاع الأبطال ولكنه قتل أخيرا وأسر أهله وصحبه وكانت أخته الحسناء جميلة بين الأسرى (٢٢٥ هـ - ٨٤٠م) فوقعت جميلة من نصيب كبراء النصارى فحملها على اعتناق النصرانية وتزوج منها وكان من ولدها فيما بعد أسقف شنت ياقب (١) .

أما سليمان بن مرتين ففى سنة ٢٢٠ هـ بعد هروبه أى بعد أن تحيل عليه يحيى الماردى فأخرجه من مارده فأصبح سليمان فى قنن الجبال فحاصره

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ط ٤ ص ٧ / ٢٥٨، ٢٥٧ .

الأمير عبد الرحمن بنفسه حتى ضاق سليمان فى الحصن فخرج ليلا فبينما هو يمشى واجه صخرة ملساء على وجه الأرض فزلق به الفرس فسقط ومات ، ووجده رجل فاجتز رأسه وادعى قتله ثم عرف أمره ، وبهذا قد سجل الأمير عبد الرحمن الأوسط اخضاعه لثورة ماردة ببنيان قصبتها التى تعرف اليوم لدى العامة بالدير وبها نقش عربى محفوظ حتى اليوم بمتحف القصبة يحمل تاريخ سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥م) .

فتنة المولدين فى الثغر الأعلى سرقسطه :

وبعد سنة ٢٢٢ هـ استأنف الأمير عبد الرحمن الأوسط أعمال الجهاد والغزو فسير الصوائف متعاقبة فى كل عام الى الشمال والى أطراف الثغر الأعلى حيث تشتبك مع الفرنج مرة والى ألبه والقلاع مرة أخرى حيث تغير على أراضى البشكنس أو أطراف مملكة ليون (جليقيه) فتولى الأمير عبد الرحمن قيادة الصائفه بنفسه الى جليقيه فى سنة ٢٢٥ هـ و سنة ٢٢٧ هـ . ضد فتنة المولدين فى الثغر الأعلى حيث توجد هناك عائلة مولديه عريقة قادت أغلب الفتن فى هذه المنطقة يعود نسبها الى قسى الذى كان حاكما (كونت " قومس الثغر الأعلى " للمنطقة أيام القوط . (١) وعندما افتتح المسلمون الأندلس سلك كبار القوط الذين يرغبون فى الحفاظ على مراكزهم وأملاكهم حيث سافر بعضهم الى الشام ومنهم قسى هذا فأسلم على يدى الوليد بن عبد الملك وبعدها سار أبناؤه على سنته ويظهر أن اسلامهم كان سطحيا وكل ما يهمهم فى الدرجة الأولى هو المحافظة على مصالحهم الخاصة قبل كل شيء وبذلك يخدمون من يحقق لهم تلك المصالح سواء كان مسلما أو مسيحيا أمويا كان

---

(١) بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها ص ١٤٥ .

أم فاطميا ولذلك نجدهم يخضعون للأمراء الأمويين فى عهد توطيد الامارة حيث عينهم الأمويون عمالا لهم على سرقسطه وكانت المنطقة التى يعيشون فيها يملكون بها اقطاعات كانت متداخلة مع أراضى الأمراء المسيحيين فلم يجدوا حرجا من التعامل معهم الى حد تزويج بناتهم من بعض هؤلاء الأمراء. وفى هذه الفترة ظهر موسى بن موسى بن فرتون بن قسى الذى زوج ابنته من ملك بنبلونه وكان فى البداية خاضعا للأمير عبد الرحمن يساعده فى بعض غزواته لكنه فى سنة ٢٢٧ هـ (٨٤٢م) خرج موسى بن موسى عن طاعة الأمير وكان واليا على تطيله من أعمال الثغر الأعلى (آرجون) مع غرسيه أمير نافار حيث أوقع الاثنان بجنود الأمير فى الثغر وعاثا فى أنحائه فسار الأمير عبد الرحمن نحو الشمال لردعهم (١). ويقال أن سبب نقض موسى الطاعة أن الأمير عبد الرحمن ولى عبد الله بن كليب على سرقسطه وعامر بن كليب على تطيله فأغار عبد الله على أحوال ينقه بن ونقه أخى موسى لأمه وأغار عامر بن كليب على أملاك موسى وخيله وانتهب أمواله وخرب حدائقه لذلك أعلن الخروج والعصيان وكان ذلك فى سنة ٢٢٦ هـ فسار الأمير عبد الرحمن الأوسط الى بلاد البشكنس (نافار) وتوغل فيها حتى بنبلونه وعاث فيها نسفا وتخريبا وسبى من أهلها جموعا كثيرة .

أما موسى بن موسى بن فرتون بن قسى (أو القسوى) جده الأعلى من أشراف القوط وهو الكونت قسى وكان أولاده وأحفاده من بعده زعماء المولدين فى الثغر الأعلى وكانوا من أنجاد الزعماء والفرسان يمتازون بالجرأة والاقدام والشجاعة ويعتزون دائما بأصلهم القوطى النصرانى وكانوا لا يشعرون بالولاء

---

(١) بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها ص ١٤٦ .

نحو حكومة قرطبه يصانعونها متى وجبت المصانعة احتفاظا بمركزهم وسلطانهم فى الثغر ولا يترددون عند انتهاز أية فرصة للثورة عليها ومحالفة أعدائها من النصارى اذ كان لهم فيما بعد دور خطير فى ثورة المولدين الكبرى على قرطبة (١) وعندما ثار ابن فرتون على الأمير عبد الرحمن الأوسط أرسل الأمير ضده جيوشه التى هزمت الثائر مع حلفائه فى بنبلونه وفى العام التالى سار عبد الرحمن الى الشمال مرة أخرى ومعه ولده المطرف ومحمد وأبقى ولده المنذر خليفة له على قرطبه فحاصر تطيله حتى أخضعها ثم زحف الى بلاد البشكنس مرة أخرى ولقيه غرسيه وحليفه موسى بن موسى فى جموع كبيرة فهزم البشكنس وفر موسى وحليفه غرسيه جريحين وسار عبد الله الى بنبلونه فاثخن فيها وخربها واضطر البشكنس الى طلب الأمان والصلح وعاد عبد الرحمن الى قرطبه ظافرا بعد أن وطد هيبة الاسلام وحكومته فى تلك الأنحاء (٢٢٨ هـ ـ ٨٤٢ م) ولم تكن لهذه الغزوات نتائج مستقرة لكن القصد منها ارهاب النصارى فى الشمال وتخريب بلادهم وانهاك قواهم حتى يلزموا السكينة ويكفوا عن عدوانهم على أراضى المسلمين .

ثورة المستعربين فى قرطبه :

والأمر الرابع الذى يستحق الاهتمام هنا أيام امارة الأمير عبد الرحمن الأوسط هو ثورة المستعربين فى قرطبه والمستعربون هم النصارى الذين أقاموا على دينهم ودخلوا فى ذمة المسلمين واستعربوا لسانا وعقلا وثقافة وأسلوب حياة

---

(١) عبد الله عنان : دولة الاسلام من الفتح حتى عهد الناصر . القسم الأول ص ٢٦ .

وكانت أعدادهم فى الأندلس عظيمة وكانت علاقاتهم بالمسلمين أفضل ما يكون من الصفاء ولذا فاننا ندهش لقيام ثورتهم على أيام الأمير عبدالرحمن الأوسط بالذات لأن عهده كان عهد رخاء واستقرار ولأن الأمير نفسه لم تعرف عنه العصبية الدينية ٠

أما المستعربون فى مناطق الثغور فقد قاموا بدور المساعد والمعاون فى الثورات التى تزعمها المولدون وما عدا ذلك لا نرى لهم أى حركة عنف ضد الحكم الاسلامى خلال عصر الامارة والحركة الوحيدة التى عبروا فيها عن معارضتهم للحكم الاسلامى كانت هى التى سميت بحركة الاستخفاف عند المسلمين وما ادعوه هم - أى المسيحيين - (بحركة الاستشهاد) وسببها قيام بعض المتحمسين من المنتمين لهذه الحركة بشتم الرسول العربى والدين الاسلامى علنا ٠ وهم يعلمون مسبقا بالمصير الذى ينتظرهم ، هذا ولأن المسلمين امتنعوا عن الاستخفاف بالأديان الأخرى ، ومن الطبيعى ألا يسمحوا لرعاياهم من الأديان الأخرى بالاستخفاف لدينهم وأن يحكموا عليهم بما يحكمو به على أى شخص آخر مستخف وقد سبق لقضاة المسلمين أن حكموا على ابن أخت المحظية المفضلة للحكم كزنديق لأنه استخف بالدين رغم توسط خالته لدى الأمير عبد الرحمن الأوسط حيث أفتى بعض الفقهاء بعدم وجوب قتله ٠ ولكن بعضهم حكم بقتله لكى لا يكون هناك تفرقة وأن الحكم يسرى على المسلمين أو غيرهم من مستخفى الأديان ٠ وعلى هذا كان المسيحيون المستخفون يتقدمون الى القاضى فكان يطلب منهم سماع بعض الشهود ، وقبل اصدار الحكم التراجع عن أقوالهم فى سب الدين الاسلامى ولكنهم يصرون ويطلبون الموت فرأى بعض من رأس هذه الحركة أنه يوجد اضطهاد دينى فيما لاقاه المستعربون من سادتهم المسلمين ٠ لكننا لو تفحصنا القضية من حيث الأوضاع والنظم التى كان المستعربون يعيشون فى ظلها داخل الدولة الاسلامية والظروف المحيطه بها

فى الزمان والمكان لرأيناها وليدة هذه الظروف الأخيرة فقط وأنها بعيدة كل البعد عن أن تكون نتيجة لاضطهاد دينى مارسه الحكام المسلمون ضد رعاياهم من المستعربين •

أوضاع المستعربين فى ظل الحكم الأموى وأسباب الحركة :

يلاحظ أن معظم القائمين بالحركة كانوا من رجال الدين وهذا ما يدفع الى الظن بأنها كانت رد فعل على اضطهاد دينى فكيف كانت أوضاع المستعربين وهل كانوا يعيشون فى ظل أنظمة ظالمة أو كان هناك مجال للاضطهاد ؟

ان الوثائق التى لدينا تدل على أنهم كانوا يتمتعون بشبه ما يمكن أن نسميه استقلالا داخليا • حيث كانوا من الناحية الادارية يخضعون لرئيس عام لهم معين من قبل الحكومة المركزية يسمى كومس Comes ويسمى فى بعض الأحيان "المدافع أو الحافظ" وله وكلاء فى المناطق الأخرى يسمى الواحد منهم اسم المستخرج • أما من الناحية القضائية كان لهم قاض خاص يسمى بقاضى النصارى أو قاضى العجم يفصل فى النزاعات التى تشب بينهم ويحكم عليهم حسب شريعتهم المسيحية ولا يخضعون لقاض مسلم ولا لأحكام الشريعة الاسلامية الا عندما يحدث نزاع بينهم وبين المسلمين • هذا بالاضافة الى الحرية الادارية التى تمتع بها المسيحيون الأسبان حيث كانوا أحرارا أيضا فى أداء طقوسهم الدينية فقد كانوا يقدمون القرابين بين دق الناقوس واحراق البخور وغير ذلك من الطقوس الدينية الكاثوليكية والاحتفال بالأعياد المسيحية على النحو الذى كانوا يحتفلون به قبل الفتح • ولم يطبق عليهم ما طبق على بعض اخوانهم فى بعض الفترات الأخرى والأماكن الأخرى من العالم الاسلامى من تدابير فيها بعض الاذلال كارتداء ملابس خاصة

ميزة . فقد كان المستعربون الأسبان فى هذا القرن على الأقل يلبسون نفس ملابس العرب كما سمح لهم ببناء بعض الكنائس الجديدة . وكان من استنتاج كتابات رؤساء الحركة من المتعصبين أن المستعربين بنوا فى هذا القرن أديره جديدة بالاضافة الى القديمة وكانت مزدهرة تنزل فيها أعدا د كبيرة من الرهبان الذين يستطيعون الظهور على ملأ الناس فى وشاحهم الصوفى على النظام الكنسى ولم يكن ما يمنعهم من اخفاء شاراتهم الدينية . بالاضافة الى أن كثيرا منهم تقلد مناصب عالية فى البلاط ودخل بعضهم فى عداد جند الأمير . على الرغم من كل هذه الامتيازات التى حصل عليها المستعربون فقد يكفى الباحث الموضوعى للاقتناع بعدم وجود اضطهاد دينى الا أن ما يثير الاضطهاد انما هو الشعور بالاضطهاد .

الضرائب كسبب للحركة :

الواقع أنه كان هناك جور فى فرض الضرائب فقد كان على مستعربى الأندلس أن يدفعوا غير الجزية ضريبة اضافية أول كل شهر قمرى وكان ما يخفف من وطأتها أنها كانت تجبى بواسطة موظفى ونواب المستخرج الذى كان مستعربا . وعلى ذلك فان قضية الجور فى فرض الضرائب ربما تكون سببا فى اثارة النقمة التى تولدت عنها مشاركة المستعربين فى حركات الثغور وأثارت عندهم عطفا على الحركة فى قرطبه على أن المبالغة فى اعتباره سببا يدعو الى القيام بمثل هذه الأعمال فزعماء الحركة كانوا من زعماء الدين وهم معفوون من دفع الضرائب كما أن جلهم كان من رجال الأديرة أى أبعدهم عن الشئون الدنيوية . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان هذه الضرائب كانت مفروضة منذ أوائل عصر الامارة فلماذا لم تقم هناك حركة مماثلة الا ابتداء (من سنة ٢٣٥ هـ/٨٤٩ - ٨٥٠م)

وفى عهد عبد الرحمن الثانى بالذات ؟ ثم ان الضرائب كانت على جميع المستعربين فى جميع أنحاء الأندلس فلماذا تمركزت الحركة فى قرطبة ؟

تدهو الحضارة اللاتينية المسيحية فى أسبانيا :

لايمكن الاجابه عليها الا باعتبار الخوف من ذوبان الحضارة المسيحية كسبب رئيسى فى النقمة التى أثارت حركة الاستخفاف ومظاهر هذا التدهور نراها فى جميع النواحى سواء الفكرية أو الاجتماعية ٠

اللغة :

انهارت اللغة اللاتينية الفصيحة على ألسنة الناس وقل عدد الذين يتكلمون بها لدرجة أن أحد زعماء حركة الاستخفاف يقول : لا نكاد نجد جماعة من المسيحيين كافة رجلا من ألف رجل يستطيع أن يستفسر عن صحة صديق بعبارات واضحة جلية ، وأنت واجد بين جمهرة السوقة والعامة أشخاصا لا يحصى عددهم يحيطون احاطة تامة بالعبارات الفصيحة التى خلقتها اللغة العربية فى عصورها الذهبية فقد استطاعوا نظم القصائد المقفاة والتى تتجلى فيها أسمى مراتب الجمال بل لقد كان بعضهم أمهر من العرب أنفسهم فى قرض الشعر٠ (١)

الأدب والفلسفة :

نرى أحد زعماء الحركة يقول " بينما نتبع النظم التى وردت فى كتابهم

---

(١) أحمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس ص ١٩٨ ٠

المقدس (يعنى المسيحيين) ونلتقى بهم لدراسة مذاهب فلاسفتهم ،
أ والذين يباهون بهذا الضرب من الهذر والاعجاب بمعنى أدق لندخض بالحجة
والبرهان تعاليمهم الفاسدة بل لتنفيذ كلامهم الذى يستولى على الأفئدة
بجماله . ومن بلاغة لغتهم غاضين النظر عن قراءة كتابنا المقدس فلا نكون
حينئذ الا قوما يجعلون من الحيوان معبودا يعبدونه وأين لنا أن لا نجد
فى أيامنا هذه أى عالم أو مثقف قد انهمك فى دراسة الكتاب المقدس واهتم بالنظر
فى مؤلفات أبناء الكنيسة اللاتينية ؟ ومن ذا الذى أوتى الحماسة والغيرة
ما يثير فى نفسه الرغبة فى قراءة مؤلفات المبشرين بالانجيل و الأنبياء
والمرسلين ؟ وان شبابنا المسيحى برغم تكلفهم اللطف والكياسة وحسن البيان
وطلاقة اللسان انما كانوا يسترعون الأنظار بحسن هندامهم وحسن تصرفهم فيما
يعرض من الأمور بما عرف عنهم من حسن الأدب ودماثة الخلق وبتشبعهم باللغة
العربية نراهم يتناولون كتب الكلدانيين (يعنى المسلمين) منهم ويطالعونها
بلهفة ويناقشونها فى حماسة وغيره ويشيدون بذكرها ويمتدحونها بكل ضروب
التنميق فى اللفظ وحسن البيان على حين أنهم لا يفقهون شيئا من مجال الأدب
الكنسى ثم يحتقرون جداول الكنيسة التى تنساب اليهم من الجنة على حد زعمهم .

أما بالنسبة للناحية الدينية فان الديانة الاسلامية لم تكتف بدخول أعداد
ضخمة تزداد يوما بعد يوم بدخول المسيحيين اليها فقط وانما الفكر الاسلامى بدأ
يشكل خطرا على سلامة العقيدة المسيحية لدى المقيمين على ديانتهم
المسيحية وعلى الأخص رجال الدين المسيحى وهذا يبدو بظهور جماعات
جديدة داخل الكنيسة المسيحية المتأثرين بنظرتهم الى الله عن طريق الاسلام
حيث رفض مستعربو اشبيليه الاحتفال بعيد ميلاد المسيح على التقاليد المعروفة
فى نيقية فاعتبر أسقفها من الهراطقة وقام Elipando أسقف طليطلة

يقول : " ان المسيح ما دام انسانا فليس بابن خاص أو طبيعى لله وانما متبنى معنويا "(١) ، وجر معه فى هذا الاعتقاد عددا من الأساقفة فى شبه الجزيرة الايبيرية فسموا جميعا هراطقة متأثرين بالمسلمين . ومن ناحية أخرى دخل رجال الدين فى شبه الجزيرة الايبيرية فى نقاش حاد متأثرين بالاسلام حول حرية الارادة والقدر وانقسموا الى قسمين .

العادات الاجتماعية :

أن التقاليد الاجتماعية العربية الاسلامية التى أصبحت راقية بعد انتقالها من بغداد الى الأندلس جذبت الكثير من المستعربين الذين أخذوا فى تقليدها دون تمييز بين الذى يفيدهم ويتمشى مع مسيحيتهم وتقاليدها وبين العكس من ذلك حتى أصبحوا يختتنون أولادهم ويتخذون السرارى والجوارى . وقد أرسل البابا أدريان الأول أسقفا لأخيلا فى جنوب أسبانيا فى نهاية القرن الثامن الميلادى ليقوم بعمل يحاول الحد من تزايد نفوذ الفكر الاسلامى فوجد القسيسين الأسبان يعيشون مع النساء اللواتى اتخذوهن سرارى لهم .

ولعل هذا يوضح انهيار الحضارة اللاتينية المسيحية وذوبان ثقافتها التدريجى فى الثقافة العربية الاسلامية فى الأندلس فأصبح هو السبب والعامل الرئيسى فى اثارة حركة الاستخفاف أو حركة الاستشهاد كما يصفها المسيحيون حيث هذا السبب أصبح يظهر أجوبة شافية للأسئلة المطروحة السابقة فهو الذى يوضح قيام الحركة فى هذه الفترة بالذات لأن فترة الازدهار معروفة بأنها الفترة التى بلغ فيها النشاط الفكرى غايته الكبرى حيث أصبحت التقاليد

---

(١) أحمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس ص ١٩٩ / ٢٠٠ .

المشرقية الراقية المسيطرة السيطرة الكاملة على مجتمع الطبقة العليا فى الأندلس
وأما قيام الحركة فى قرطبة بالذات لأن المستعربين تأثروا بالفكر الاسلامى
والتقاليد العربية ولأنهم فى منطقة عظم فيها الازدهار الفكرى والعادات الراقية
ولأن قرطبة أيضا التى تجتمع فيها كل هذه الصفات والمزايا هى فى نفس الوقت
العاصمة • وكما هو معروف دائما أن البلاط هو مركز الازدهار الثقافى والاشعاع
الاجتماعى • هذا بالاضافة الى أن سببا آخر هو أن أغلبية زعماء الحركة من
رجال الدين لأنهم حملة ثقافة قديمة فقامت الحركة كرد فعل على زوال هذه
الثقافة • على أن هناك سببا آخر لرجال الدين يجعلهم يقفون فى وجه
الأمراء لم يكن مقصورا على الأندلس وحدها وانما كان فى أوروبا كلها • انبعاثه
كان من حق السلطة الزمنية لدى الملوك والأباطرة فى حق انتخاب الاكليروس
لرؤسائهم حيث كان هذا الحق فى أسبانيا قبل فتح المسلمين لها للملك القوطى
أما بعد الفتح فقد ورث أمراء قرطبة هذا الحق بالنسبة للرجال الذين يعيشون
فى الأندلس وورثة أيضا ملوك أشتوريش بالنسبة لمن يعيش فى منطقتهم •
فاعتبر رجال الدين أن حق الأمير الأموى كان سببا فى افساد كنيستهم
لأن الكثير يحاول الوصول الى هذا المنصب عن طريق الرشوة ومثال ذلك :
أن شاول أسقف قرطبة دفع لخصيان القصر ٤٠٠ دينار ليقنعوا الأمير
بانتخابه أسقفا لقرطبة • هذا بالاضافة الى أن رجال الدين يقدمون للسلطة
خدمات حتى لو كانت ضد شعبهم رغبة منهم فى الحفاظ على مناصبهم ، ومثال
ذلك : أسقف مالقه الذى وعد موظفى المالية بأن يزودهم بقائمة أسماء الناس
فى منطقته بعد أن علم من اختباء الكثيرين للتملص من دفع الضريبة ، وبالفعل
أوفى بوعده بحيلة نفذها مع أتباعه حين عقد لهم الاجتماع السنوى معهم
فطلب من الحاضرين أن يكتب كل واحد منهم قائمة باسمه وأسماء عائلته وأقاربه
ومن يعرفهم لأنه يريد أن يضعهم فى سجل خاص بهم ليدعو الله لكل واحد

منهم ففعلوا ذلك ، وعندما جمع تلك القوائم سلمها الى موظفى المال .

أهداف الحركة ومظاهرها :

من أهداف الحركة أنهم أظهروا الاسلام ومعتنقيه بمظهر السخف والتحقير ليحطوا من احترام الاسلام ومنعته أمام المستعربين الذين كانوا يعجبون ويهيمون به وبتقاليده . وظهر ذلك فى مؤلفات رؤساء الحركة التى أظهروا فيها بأسلوبهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم ساحر وشوهوا صورته وصورة آخرته ببشاعة مرة . ذلك ما أوحى لهم خيالهم الخصب . كما صوروا المستخفين أنهم سيعاقبون عقابا شنيعا وستجرى دماؤهم ظانين بذلك التهاب الحماسة فى قلوب الكثيرين ضد العرب المسلمين ليكون هناك حاجز يقف أمام حركة الامتزاج بين الطرفين ـ هذا بالاضافة الى تكفير الآثام (١) لمرتكبيها والتى عاقبهم عليها الرب بوضعهم تحت سلطان العرب المسلمين فقال أحد زعمائهم البارو : " سأحاول أن أختبر السوط الذى صب علينا لما ارتكبناه من آثام ، ان جعبة آثامنا أيها الأخوة مليئة ، تكاسلنا ودنسنا وأفسدنا عاداتنا لذلك أسلمنا المولى الذى يؤثر العدل ويأمر بالانصاف الى هذا الوحش لنظل فريسة فى يده (٢) " .

مظاهر الحركة :

بدأت الحركة بتنشيط وتشجيع عملية الارتداد عن الاسلام فى محاولة

---

(١) أحمد بدر : دراسات فى تاريخ المسلمين فى الأندلس ص٢٠٢/٢٠٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٠٣ .

لاعادة بعض من أسلم حديثا الى المسيحية من جديد . وقد أفلحوا فى هذا المجال ومثال ذلك : الراهب الذى قدم نفسه الى القاضى متظاهرا برغبته فى الدخول فى الاسلام وبعد انتهاء القاضى من شرح تعاليم الاسلام له ، بادره بكلمات بذيئة لشتم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . الى جانب مناسبة أخرى : اقتحم اثنان من المسيحيين أحد المساجد وأخذا يسبا الدين الاسلامى ويحقرانه وقالا للحاضرين : " ان هذا الدين سيعود بالتهلكة على أنصاره " .

أحداث الحركة :

تألف فى قرطبة ما يشبه الحزب من المستعربين المتعصبين يرأسه الراهب أيولوخيو Eulogio وهو سليل عائلة معروفة بتعصبها وعدائها للمسلمين فجده كان يقول عند سماع الآذان : " ألهى لا تصمت ولا تسكت .. لماذا يحدث أعداؤك الضجيج ولماذا يرفع الذين يكرهونك رؤوسهم "(١) . فكانت له أخت راهبة وثلاثة أخوة أحدهم موظف فتعاطى الاثنان التجارة . ولكن أيولوخيو كان معروفا عنه تقشفه الشديد وتأملاته الكثيرة وصيامه الدائم . أما تسليته الوحيدة هى زيارة الأديرة ، فنمت بذلك مكانته ، أما اتجاهه الفكرى وعلى رأسه عداؤه للاسلام حيث كان يحضر محاضرات الأب سبيرا اين ديو Spera-in-Deo فكان مولعا بها وبالمواظبة على سماعها ، وكان هذا الأب بليغا معاديا للاسلام ، وفى هذه المحاضرات تعرف أيولوخيو على البارو Alvaro حيث أصبح صديقه وشريكه فى تنظيم حزبه ضد الاسلام .

---

(١) أحمد بدر : دراسات فى تاريخ المسلمين فى الأندلس ص ٢٠٣ .

نشاط المتعصبين وردود الفعل ضدهم :

وصل نشاط المتعصبين مرحلة الأوج فى عام ٢٣٥ هـ / ٨٥٠ م حيث فى يوم من الأيام حدثت مناقشة دينية بين أحد رجال الدين من المستعربين واسمه برفكتو Perfecto وبعض المسلمين القرطبيين ، وبعد نقاش حاد اضطر الراهب أن يفقد السيطرة على لسانه حيث شتم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كما شتم الدين الحنيف حيث وصفه بالزيف فحكم عليه بالموت بعد ثبوت التهمة ، ولكن الفتى نصر الخصى صاحب المكانة لدى الأمير عبد الرحمن الثانى لم ينفذ الاعدام فورا بل أجله الى يوم عيد الفطر كى يهيئ للعامة الخارجين من صلاة العيد مشهدا يروق لهم فأعدم برفكتو فى شوال ٢٣٥ هـ/١٨ نيسان ٨٥٠ م . وبذلك أصبح العام الذى تم فيه الاعدام والعام الذى تلاه متضخما فى أعداد المستعربين المعدمين ، ونتيجة لذلك توالت عمليات الاستخفاف وازدادت فأعدم العشرات منهم الجنود والتجار لكن الأغلبية كانوا من الرهبان والراهبات .

وكان الأمير عبد الرحمن قد اكتفى بالأحكام القضائية التى يصدرها القضاء على المستخفين . أما أكثرية مستعربى قرطبة فمعتدلة ، ولذلك فانهم يجدون الحرية الدينية فى ممارسة شعائرهم ، ولذلك فان المستخفين ليسوا شهداء كشهداء المسيحية الأولين لأن أولئك قتلوا لأنهم مارسوا شعائرهم الدينية بالاضافة لأن هؤلاء أقرب الى الخاطئين فهم يخالفون وصايا المسيح الذى يوصى بعدم الحقد حتى ولو على الأعداء فيقول : أحبوا أعداءكم واصنعوا الخير للذين يضايقونكم "(١) .

---

(١) أحمد بدر : دراسات فى تاريخ المسلمين فى الأندلس ص ٢٠٢/ ٢٠٤ .

وبذلك فان المستخفين يؤذون بقية المستعربين لفقد الأمير ثقته بهم وبذلك يعتبر عمل المستخفين أكثر من غرور شخصى أدى الى انتحار كبير ، مما دعى جماعة من مستعربى قرطبة مقربة لدى الأمير الى اقتراح لعقد مجمع دينى لبحث هذه القضية (١) . فعقد هذا المجمع عام ٢٣٧ هـ / ٨٥٢ م . برئاسة مطران اشبيليه هوريكافرد وحضور أساقفة جميع أنحاء الأندلس وأناب عن الأمير غوميث بن أنتونياتو عامل أهل الذمة (٢) هو أحد كتابه النصارى الذى أبدى رأيه فى عمل المستخفين بأنه يضر بكل المستعربين لذلك يجب حرمانهم واستنكار عملهم ، وأن لا يتبعهم المؤمنون لكى لا يقوم المهوشون باثارة الناس ضد قرارات هذا المجمع وأن فعلوا ذلك وجب سجنهم ، فكانت على ذلك أغلب آراء المجتمعين متفقة مع غوميث . حيث وقعت معارضة ضد المتطرفين ، هذا فى مقابل فئة قليلة وقفت فى الصف المعارض من المتطرفين على رأسها شاول الذى رغب فى التعويض عن فضيحة الرشوة . وأخيرا جاء القرار وسطا فلم يعلن عن حرمان من استخفوا وأعدموا بل ضرب صفحا عن الماضى . لكنه حرم على المستعربين السعى وراء ميتة الاستخفاف لأنها انتحار . فقبل غوميث بالقرار لأن مطران اشبيليه وعده بالقبض على المهوشين (٣) .

نهاية الحركة :

بعد اصدار قرارات المجمع المنعقد وجد مهاجمة من المتعصبين فنفذ مطران اشبيليه وعده حيث قبض على الزعماء أمثال ايولوخيو وشاول ، وعلى الرغم

---

(١) وقد أدرك الأمير عبد الرحمن دقة الموقف وخطورته فرأى أن يعالجه بحزم وتفهم

(٢) الذى شرح للأساقفة ما ترتب على أعمال المتطرفين من العواقب الخطيرة على النصارى .

(٣) أحمد بدر : دراسات فى تاريخ المسلمين فى الأندلس ص ٢٠٥ / ٢٠٦ .

من ذلك فان الحركة قد استمرت الى حد أن وصلت الجرأة بأحد المستخفين لشتم الرسول الكريم والدين الاسلامى وسط مسجد قرطبه • مما أدى الى اعدام عدد كبير منهم • وبعد مقتل هذه الجماعة مات الأمير عبد الرحمن بستة أيام وبصورة فجائية فاغتبط المتطرفون من المستعربين الذين اعتبروا موته انتقاما من السماء للشهداء• فاستمرت الحركة الى أوائل عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط فأطلق فى بادىء الأمر سراح الزعماء فركن بعضهم للهدوء كشاول ، أما أيولوخيو فقام برحلة تجول فيها أنحاء الأندلس حيث قام بتعويضاته ، وبناء على ذلك قام الأمير محمد باجراءات عنيفة أدت الى تحطيم هذه الحركة فهدم دير تابانوس مركز التهويش وكذلك استغنى الأمير عن الموظفين المستعربين فى قصره لذلك أنكر البعض منهم مسيحيتهم واعتنقوا الاسلام• وقبض على أيولوخيو عام ٨٥٩م• وعندما لم يتراجع عن استخفافه أعدم بعد أن تمادى فى غيه • وكان من بين المعتقلين أيضا بضع فتيات مسلمات من آباء مسلمين وأمهات نصارى فأضلهن الأمهات والقسس ودفعهن الى التنصر وسب النبى صلى الله عليه وسلم فكان منهن فتاة رائعة الجمال اسمها فلورا عرفها أيولوخيو وهام بها حبا وأغراها للوقوف ضد الاسلام الى أن سجنت مثله ثم قدمت نفسها كقربان للمسيحية وقدمت نفسها الى القاضى ولم تتراجع عن أقوالها حتى بعد شهادة الشهود وكان القاضى يحاول أن يجعلها تتراجع ليعفو عنها ولكنها أبت وطلبت الموت فأعدمت بعد حكم القاضى عليها • فجعلها النصارى من القديسات كما جعلوا أيولوخيو أيضا من القديسين بعد موتهما •

وبعد أن فقدت الحركة زعيمها أيولوخيو وتعب أعضاؤها من متابعة الصراع فشلت هذه الحركة •

والمهم فى الأمر أن غاية الحركة لم تتحقق فهى لم تمنع امتزاج المستعربين

فى بوتقة الحضارة العربية الاسلامية التى سادت الأندلس فاضمحل الشعور بالعداء عند المتدينين منهم للعرب المسلمين ، ودليل ذلك دخول الكثير فى جيش الأمير . وفى عصر الخلافة ترجمت القوانين الكنسية اللاتينية الى العربية مما يدل على أن قسما كبيرا من رجال الدين كان يجهل اللاتينية اذ لابد من عرض قوانينها عليه باللغة العربية لفهم شئون الكنيسة . هذا بالاضافة الى رجال الكنيسة الكبار الذين قد استخدموا كمترجمين لسفارات الخلفاء الى دول الشمال المسيحى . وهذا دليل على أن اللاتينية كانت محصورة لدى رجال الدين الكبار فقط وليس عامة الرجال كلهم .

وعلى أى حال فقد انتهت هذه الحركة بسلام ولا نعود بعد ذلك نرى بين سكان الأندلس مظهرا لهذا الخلاف الدينى الا فى حالات متفرقة قليلة . وهكذا استغل الأمير عبد الرحمن الأوسط فى أواخر عهده بتلك الفتنة الدينية الخطيرة لكن المتعصبين لم يحققوا منها ما أملوا فكانت مثار سخط وانكار من جانب النصارى المعتدلين الذين يقدرون تسامح الحكومة الاسلامية ورفقها ورعايتها .

.. .. ..

الفصل الثـالث

العلاقات الخارجية فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط

- غارات النورمان على الاندلس فى عهده

- ارتباط الغارات النورمانديه بانشاء البحرية الأندلسية .
- غزو جليقية وجزر ميورقة ومنورقة .
- العلاقات الدبلوماسية مع البيزنطيين .
- نشاط الأسطول البحرى الأندلسى فى غرب المتوسط .

غارات النورمان على الاندلس فى عهد الاوسط

لم يكد ينتهى الأمير عبد الرحمن الأوسط من اخماد الثورات المحلية فى تدمير وماردة وطليطلة ومن تأديب الجلالقة والافرنج حتى أطل على الأندلس خطر من نوع جديد لم يسبق للأندلس أن عرفته أو توقعت حدوثه وهو خطر الغزوات النورمانية البحرية التى أغارت على شواطىء الأندلس حيث كان النورمان لم يأت عليهم القرن الثامن الميلادى حتى كانت حملاتهم البحرية الناهبة تشن فى شواطىء الجزر البريطانية ، وفى أوائل القرن التاسع وصلت حملاتهم الناهبة تلك الى شواطىء بلاد الفرنج (فرنسا) حيث دخلت جموع منهم الى شمال فرنسا عندما خضعت الدولة الكارولنجية بعد وفاة شارلمان فغزوا مصب اللوار ومصب الجارون ثم الى المدن الداخلية فى صغار المراكب وخفاف القوارب فينهبون ويسلبون ثم يعودون سراعا الى أوطانهم ثم أخذوا يستقرون فى الجزائر التى تعترض الأنهار أو تقع عند مصباتها فأنشأوا لهم عدة مراكز وقواعد فى تلك الأنحاء. ومن هنا بدأ تطلع النورمانيين الى أسبانيا والأندلس بنوع خاص حيث كانت خيرات الأندلس وما اشتهرت به من الخصب والغنى مما أثار جشع أولئك الغزاة المغامرين ، هذا بالنسبة للغزاة. أما بالنسبة للأندلس فهى لم تكن تحسب حسابا لذلك الخطر الداهم المستتر معا لأنها لم تعرف النورمانيين من قبل . كذلك لم تكن لهم بهم رابطة جوار لأرضها.

أما تعريف النورمانيين أو الفيكنج Viking. الذين كانت لهم سيادة البحار الشمالية منذ بداية العصور الوسطى فانهم أمة بحرية عريقة تمرست منذ غابر العصور فى ركوب البحر ومقارعة أهواله . أما وطنهم الأصلى اسكندنا و ة

وربما الدنيمارك وشواطيء ألمانيا الشمالية ، ولذا سموا بالنورمانيين أى أهل الشمال " Norsemen " واشتهر النورمانيون بجرأتهم فى جوب البحار الشمالية وبراعتهم فى مغالبة قسوة الجليد وأهوال الطبيعة وتطلق الرواية الاسلامية على أولئك الغزاة المجهولين اسم المجوس. وقد ترجع هذه التسمية الى أن النورمانيين كانوا فى العهد الذى عرفهم فيه عرب الأندلس لأول مرة " مجوسا " أى وثنيين لم يعتنقوا النصرانية بعد (١)، ويقال أن سبب تسمية المسلمين لهم باسم " المجوس " أنهم كانوا يحرقون أمواتهم كما كان يفعل المجوس ولايزال يفعله بقيتهم المعروفون فى بمباى باسم البارسيين لأنهم كانوا اذا مات الزعيم منهم وضعوا جثته ومتعلقاته فى مركبه وأشعلوا النار فيها ثم يدفعونها الى عرض البحر ولاتزال النار مشتعلة حتى تدمرها وتغرق بما بقى فيها (٢) " .

غارتهم على اشبيليه :

وكان ظهور النورمانيين فى المياه الأسبانية لأول مرة فى سنة ٢٢٩ هـ - (٨٤٤م) حيث خرج أسطول نورمانى من نهر الجارون وعاث فى شواطيء مملكة جليقيه فبعث ملكهم (رذمير) اليهم جيشا ردهم وأحرق كثيرا من سفنهم فأرتد النورمان الى مياه أسبانيا الغربية والجنوبية يجوبونها فى طلب السبى والغنيمة فاقتحموا شواطيء المملكة الاسلامية (الأندلس) فى غزوتهم الأولى .

---

(١) عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ص٢٦١/٢٦٢.

(٢) حموده : تاريخ الأندلس ص ١٥٨ .

وتقول الرواية الاسلامية أن : أسطولا مجوسيا (نورمانيا) قوامه ثمانون مركبا رسا فى مياه أشبونه وسفنهم ذات أشرعة سوداء ويقسمون رجالهم الى قسمين قسم يعسكر على الشاطئ وقسم يغير على المدينة وينهب ما استطاع ويدمر كل شيء . ففى يوم الأربعاء أول ذى الحجة سنة ٢٢٩ هـ (٢٠ أغسطس سنة ٨٤٤ م) ظهرت نحو ٥٤ سفينة نورمندية وعدد آخر من المراكب الصغيرة عند مصب نهر تاجه فنزلوا بثغر أشبونة فاحتلوا أطراف المدينة فقاتلهم الأهالى قتالا شديدا فكتب عاملها وهب الله بن حزم الى الأمير عبد الرحمن بن الحكم ينبئه بالخطر فكتب الأمير الى عمال الثغور بالتحوط والأهبة . فمكث النورمانديون فى أشبونة ثلاثة عشر يوما حيث تقابلوا خلالها مع المسلمين فى عدة وقائع وعندما أيقن النورمنديون استحالة تقدمهم اضطروا الى العودة الى سفنهم فاتجهوا جنوبا بحثا عن مصب وادى آخر يصعدون منه فوصلوا الى قادس ثم الى شذونة ثم اخترقوا النهر الكبير " الوادى الكبير " حتى اشبيليه حيث حلوا بكورة اشبيليه ، وفى ١٢ محرم سنة ٢٣٠ هـ (٢٩ سبتمبر سنة ٨٤٤ م) احتلت هذه السفن جزيرة قبطيل المعروفة اليوم بالجزيرة الصغرى بينما احتلت سفن أخرى قرية قوره فنزل النورمنديون من سفنهم وأغاروا على القرية فقتلوا وسبوا ونهبوا ثم اتجه الأسطول النورمندى كله بعد ثلاثة أيام مع النهر فدخلوا طلياطه وتقدموا بعد ذلك فقابلتهم سفن اشبيليه فانهزم المسلمون وقتل منهم عدد لا يحصى ، حيث اقتحم النورمنديون اشبيليه وأمعنوا فى أهلها سفكا ونهبا وسبيا وكان ذلك يوم الأربعاء ١٤ محرم سنة ٢٣٠ هـ بعد أن احتلوها قسرا وكانت اشبيليه بدون أسوار تحميها من العدوان المفاجىء فغزوة النورمنديين مفاجأة مروعة لأهلها الذين لم يتخذوا أية أهبة خاصة للدفاع عن أنفسهم . وحين دخل النورمانديون بعد أعمالهم الهمجية أشعلوا النار فى المسجد الجامع باشبيليه حيث كانوا يحمون سهامهم فى النار ويرمونها

فى سماء المسجد وأقاموا فيها سبعة أيام وقيل ثلاثة عشر يوما ، ثم حملت سفنهم الأسرى والغنائم وعادت بهم الى قبطيل فأنزلوهم فى الجزيرة ورجعوا الى اشبيليه مرة ثانية ، وفى هذه المرة فان اشبيليه قد خلت تماما من سكانها حيث فر الناس ولم يجد النورمانديون من أهل المدينة من يقتلونهم سوى جماعة من شيوخها قد اجتمعوا فى مسجد سمى منذ ذلك الحين " مسجد الشهداء " وقد اضطر النورمنديون لاستخدام البرشلن الغارات فى الأندلس لأن نهر الوادى الكبير صعب الملاحة ما بين اشبيليه وقرطبة فاستخدموا الخيل للاغارة على نواحى اشبيليه . وفى هذه الأثناء لم يكن الأمير عبد الرحمن ساكنا فقد أرسل على الخيل حاجبه عيسى بن شهيد فاشترك فى جيش الأمير المرسل الى اشبيليه عدد من القواد المشهورين منهم : عبد الله بن كليب ومحمد بن رستم وعبد الواحد الاسكندرانى فتحركز هذا الجيش فى الشرق من اشبيليه بعد أن كتب الأمير الى عمال الكور لاستنفارهم الناس فأقبلوا عليه مسرعين وبعد أن تجمعوا فى قرطبه قادهم الفتى نصر . وجاء من أهل الثغر موسى بن قسى فى عدد كثيف ، وهرع المسلمون من جهة للجهاد ورد الغزاة فاتحدت القوات التى أرسلت مع القوات المتاخمة هناك سابقا برئاسة نصر الخصى أما النورماندىون فقد تلقوا الامدادات فى سفن جديدة قدمت اليهم . ونشبت بين الفريقين فى بداية الأمر معارك محلية تفوق فيها الغزاة يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر سنة ٢٣٠ هـ (١١ نوفمبر سنة ٨٤٤ م) اشتبك الطرفان فى قرية طلياطه حيث كانت المعركة الحاسمة وكان على رأس قوات المسلمين محمد بن رستم فهزم النورمانيون بعد قتال عنيف وقتل منهم عدد كبير وأحرق من مراكبهم ثلاثون مركبا وقتلوا أميرهم وذكر ابن القوطيه أن موسى بن قسى هزم النورمنديين عندما خرجوا من اشبيليه متجهين الى مورور وقتل منهم ١٦ ألفا ودخل جيشه اشبيليه وحرر عاملها الذى كان محصورا فى قصبتها

ففر من كان فيها من النورمانيين الى مراكبهم وخرجوا من اشبيليه بلا عودة بعد أن احتلوها ٤٢ يوما . وقتل المسلمون أسراهم أمام أعينهم وصلبوهم على جذوع النخل ، ثم أقلعت سفن الغزاة متجهة الى الجنوب والمسلمون من ورائهم يطاردونهم ويفتدون أسرى المسلمين منهم بمختلف السلع . فوصلوا الى لبله لكنهم هنا انتقموا فى اغارتهم على لبله وباجه شر انتقام ثم رحلوا الى ثغر أشبونه حيث غادروا مياه الأندلس مع بقية السفن بعد أن مكثوا بضعة أسابيع ينشرون فيها الرعب والروع . ومع ذلك فقد بقيت من النورمنديين بقية ممن تفرقوا بعد الغزو الى جنوب شرق اشبيليه وشرقها فى نواحى قرمونه ومورور وقلعة الرعواق وتحصنت ، فأمر الأمير ابن رستم لتعقبهم فاعتقلهم ونجح فى أسرهم وقد اعتنق هؤلاء الاسلام وأقاموا فى الوادى الكبير جنوب اشبيليه فاشتغلوا بتربية المواشى وصناعة الألبان .

أما رفاقهم الغازون فقد ذهبوا دون عودة بعد هزيمتهم المنكرة أمام المسلمين وقد تشفى فيهم المسلمون وفرحوا فى هزيمة أعداءهم حيث كتب الأمير الى صنهاجة وبقية الأمصار يخبرهم بنصر الله للمسلمين وهلكته لأعداء الاسلام والمسلمين وبعث اليهم برأس أميرهم المجوسى وبمائتى رأس من أبطالهم المشهورين . وبذلك انتهت أهم غارة عدوانية خارجة مروعة للأندلس وزال خطرهم بفضل الله .

.. .. ..

ارتباط الغارات النورمندية بانشاء البحرية الأندلسية

لقد ساعدت الجيوش البحرية الأندلسية المسلمين فى فتح صقلية مساعدة فعالة حتى استتب لها الأمر فى تلك البلاد اذ لم يقتصر نشاط الأندلسيين على المساهمة فى فتح صقلية تحت لواء أسد بن الفرات بل عملوا بعد ذلك بعامين على دعم جيوشهم عندما اشتد ضغط البيزنطيين حيث وجهت الى تلك الجزيرة حملة بحرية خرجت من ميناء طرطوشه سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩م) واتجهت الى صقلية لتعزيز الحامية الاسلامية هناك .

وحينما عقدت المحالفات بين أموى الأندلس وبين الدولة البيزنطية والتى كان الهدف من تلك المحالفات التعاون ضد العباسيين فى الشرق كما طلب البيزنطيون مساعدة أمراء الأندلس ضد مسلمى صقلية ، لكن الأمير عبد الرحمن الثانى على الرغم من تحالفه مع بيزنطه رفض التعاون معهم ضد مسلمى صقلية على اعتبار أنهم مسلمون مجاهدون ، هذا على الرغم من أنهم من حلفاء العباسيين المعادين له . على أن السياسة التقريبية التى سلكها الأمويون فى الأندلس نحو بيزنطه كانت تصاحبها سياسة عدائية نحو جيرانهم الكارولنجيين فى فرنسا اذ لم ينس الأندلسيون صراعهم الطويل مع هؤلاء الفرنجة أيام شارل مارتل (٦٩٠ ــ ٧٤١م) وابنه بين (٧٥٢ ــ ٧٦٨ م) وحفيده شارلمان (٧٦٨ ــ ٨١٤م) الذى تحالف مع العباسيين والذى حاول غزو الأندلس فى عهد الأمير عبد الرحمن الداخل سنة ١٦٢ هـ (٧٧٩م) ففشل . وحين كان عهد ابنه لويس التقى (٨١٤ ــ ٨٤٠ م) الذى سار على سياسة آبائه العدائية نحو الأندلس حيث بسط حمايته على الجزر الغربية منها مثل جزر البليار وسردانيه وكورسكا .

وعلى ذلك فقد رأى الأمير عبد الرحمن الأوسط (٨٢٢ ـ ٨٥٢ م) أن البحر ميدان مناسب يستطيع من خلاله أن يقهر فيه خصومه القارولنجيين حيث كانت قوتهم الحقيقية تعتمد أساسا على جيوشهم البرية بالاضافة الى أن قوتهم البحرية قد ازدادت ضعفا على أيامه فى عهد كل من لويس التقى وابنه شارل الأصلع (٨٤٠ ـ ٨٧٧ م) فقام الأمير عبد الرحمن بحشد أساطيله على طول الساحل الشرقى الأندلسى ولاسيما فى طرطوشه وبلنسيه فأخذ يشن غاراته المستمرة من سنة ٨٣٨ م الى سنة ٨٥٠ م على السواحل الكارولنجية فى جنوب فرنسا حتى قضى على قواعد المقاومة فيها وهى مرسيليا وارل وما حولها. فاتخذ البحارة الأندلسيون جزيرة كامارج Camargue عند مصب نهر الرون قاعدة شبه دائمة للاغارة على الساحل الجنوبى والتغلغل فى أراضيه عن طريق وادى الرون نفسه.

هذا ولم تقتصر غارات الأسطول الأندلسى على قواعد الفرنجة وسواحلهم الجنوبية بل شملت أيضا جزر البليار التى كانت خاضعة لحمايتهم حيث شعر حكام هذه الجزر بعدم أهمية ارتباطهم بالدولة الكارولنجية فأسرعوا لقبول سيادة الأمويين عليهم فتعهدوا بعدم التعرض لسفن المسلمين. على أن هذه الجزر قد خضعت لحكومة قرطبة فى سنة ٢٣٤ هـ (٨٤٨ م) وان كان معروفا أنها لم تضم نهائيا الى الأندلس وتحكم حكما مباشرا الا منذ سنة ٢٩٠ هـ ـ (٩٠٢ م) وعلى الرغم من انتصارات الأسطول الأندلسى على الفرنجة وحلفائهم فى حوض البحر المتوسط فان البحرية الأندلسية فى ذلك الحين كانت ما تزال محدودة فى امكانياتها ووسائلها فلم تكن لديها القواعد والمحارس والسفن الكافية لحماية جميع سواحلها وخاصة الغربية منها. ولذلك فقد عجزت عن حماية السواحل الغربية عندما هاجمتها أساطيل النورمان أو الفايكنج بتحركاتها

السريعة الخاطفة وأسهمها النارية وأشرعتها السوداء التى جعلت بعض المعاصرين يراها "وكأنما ملأت البحر طيرا جونا ، كما ملأت القلوب شجوا وشجونا "(١) . فعرف النورمانيون كيف يتحاشون الأماكن المحصنة بوسائل الحراسة والدفاع ويهاجمون السواحل المكشوفة التى لا تعرقل عمليات سلبهم ونهبهم حيث كانت السواحل الغربية الأندلسية مكشوفة فتساعدهم فى عملياتهم ولذلك لم يجدوا صعوبة فى اختراق نهر الوادى الكبير من مصبه والسير فيه بسفنهم ثم احتلال مدينة اشبيليه عدة أيام فى سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٤م) فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط . حيث كان معظم الأسطول الأندلسى مرابطا على الساحل الشرقى فقد اعتمد الأندلسيون لمقاومة هذا الخطر على الجيوش البرية فوضعوا لهم الكمائن وبثوا لهم السرايا التى تحول بينهم وبين العودة الى مراكبهم فيقذفونهم بالمجانيق على جانبى نهر الوادى الكبير ، ولكن انسحاب النورمنديين من اشبيليه لم يتم الا بعد وصول وحدات الأسطول الأندلسى الى مكان المعركة حيث وصلت خمسة عشر مركبا بالمقاتلة والعدة فنزلوا اشبيليه وحينما علم المجوس بها ساروا الى لبله (Niebla) فانتهت هذه الغارة بانهزام النورمانديين عند طلياطه بين لبله وأشبيليه وبذلك انسحبوا من الأندلس . ومما لاشك فيه فان هذا الحادث الخطير الذى فاجأ الأندلس قد نبه الأذهان الى ضرورة اتخاذ اجراءات دفاعية ضد أى هجوم مفاجىء على الأندلس من ناحية البحر ، ولهذا قام الأمير عبد الرحمن الأوسط بعدة أعمال هامة من أجل ذلك فقد أحاط مدينة أشبيليه

---

(١) احمد مختار العبادى . دراسات فى تاريخ المغرب فى الاندلس ص ٢٦٠/٢٦١ .

بأسوار حجرية (١) . كما احتاط لأى غزو يحتمل أن يقوم به النورمنديون حيث أمر بانشاء دار لصناعة الأسطول البحوى الحربى وبناء السفن والمراكب المعدة برجال البحر المدربين من سواحل الأندلس الذين التحقوا بهذا الأسطول فرتبت لهم الأرزاق الوافرة كما زود الأمير أسطوله بالآلات ونيم النفط (٢) وبذلك أصبحت اشبيليه منذ ذلك الحين الميناء الأول فى الأندلس فكان لميلاد البحرية الأندلسية دور خطير فى فتح جزر ميورقه ومنورقه ويابسه سنة ٣٣٤ هـ بالاضافة الى أنه قد أصبحت له أهمية بالغة فى تاريخ الأندلس وحوض البحر المتوسط بوجه عام فدور الصناعة التى أسسها الأمير عبد الرحمن الأوسط مقدمة لانشاء دور أخرى لصناعة الأسطول فى العهود التالية حيث أقيمت دور للصناعة فى ترمونه ولقنت ومرسيه وبلنسيه مما سيكون لهذا الأسطول الساعد الأيمن لخلفاء قرطبة فى غزو أعدائهم ومنافسة الفاطميين فى شئون البحر ولقد استخدم أمراء بنى أمية أخشاب طرطوشة الصنوبرية فى صناعة السفن المشهورة بجودتها وعدم تلفها من السوس . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فيقال ان بناء أسطول اشبيليه كان قد تم على أثر رسالة عبد الملك بن حبيب الى الأمير عبد الرحمن ابن الحكم بعد نكبة أهل اشبيليه باغارة النورمانيين عندما أثير موضوع تحصين مدينة اشبيليه فى الوقت الذى كان الأمير مشغولا بعمل زيادته فى جامع قرطبه وذكر " ان بنيان سور مدينة اشبيليه أوكد عليه من بنيان الزيادة فى المسجد الجامع " فعمل الأمير برأيه فى بنيان هذا السور وبناه بالحجارة .

---

(١) أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٥٧–٢٦٣ .

(٢) بكسر النون وفتح الياء وهى جمع نفيه وهى القارورة والمقصود هنا قوارير النفط والتى كانت تقذف على سفن الأعداء . أما النفط فان المسلمين قد استخدموه فى ذلك الوقت وهى النار الاغريقية التى =

وكان المهندس الذى أشرف على بناء السور هو عبد الله بن سنان أحد الموالى الشاميين حيث كان من خاصة الأمير عبد الرحمن الأوسط وهو غلام فاستقدمه من الشام بعد أن تولى الامارة . وقد نقش المهندس هذا اسمه على أبواب اشبيليه كما أمر الأمير عبد الرحمن باعادة بناء جامع اشبيليه الذى أحرقه النورمنديون فى غارتهم المروعة فتم له ذلك (١). وقد اهتم الأمير عبد الرحمن اهتماما كبيرا بمدينة اشبيليه ومنذ ذلك الحين أصبحت أشبيلية الميناء الأول فى الأندلس حيث أصبح هذا الأسطول الساعد الأيمن للأمير عبد الرحمن لصد الاخطار عن البلاد كما ساعده فى فتح كثير من الجزر مثل جزر ميورقة ومنورقة فى البحر الأبيض المتوسط لمنافسة الفاطميين فى شئون البحر (٢).

ومهما يكن فقد كان لتلك المجهودات الكبيرة التى بذلها الأمير عبد الرحمن الأوسط لتقوية أسطوله وتحصين سواحله قد أثمرت وأينعت فى عهد ولده الأمير محمد الأول (٢٣٨ – ٢٧٣ هـ) – (٨٥٢ – ٨٨٦ م) وقد أنشأ هذا الأمير فى البحر سبعمائة غراب حيث أصبح جيش المسلمين فى عهده مائة ألف فارس وحينما عاد النورمنديون لهجومهم على سواحل الأندلس سنة ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) استطاع الأسطول الأندلسى أن يردهم على أعقابهم خائبين بعد أن تكبدوا خسائر فادحة (٣).

= حرص على الاحتفاظ بسرية تركيبها منذ أن اخترعوها ، وقد استخدم لأول مرة الأغالبة فى أساطيلهم سفنا تقذف بلهب النفط تعرف بالحراقات وذلك ردا على النار الاغريقية التى استخدمها البيزنطيون .

(١) السيد السالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ص ٢٣٧/٢٣٨.

(٢) أحمد الشعراوى : الأمويون أمراء الأندلس الأول ص ٢٨٨ .

(٣) أحمد العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٦٤ .

غـزو جليقيـة :

ان غزوات جليقيه قد تعددت وتوالت خلال فترة حكم الأمير عبد الرحمـن الأوسط فنالت جيوشه النصر على أعدائهم فى جميع المعارك التى شنتها عليهـم وقد كانت هناك غزوة سنة ٢٠٨ هـ على ألبا والقلاع وهى قشتالـة القديمـة وقد قاد الغزوة الوزير عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث بالصائفه واحتـل بالثغر وأتته الامدادات من قرطبه وبذلك قرر الزحف من باب " ألبـه " حيث ذلك سيكون مخربـا للعدو وأحسم لدائـه فدخلوا من فج يقال له " جرنيق " وكان وراءه بسيط للعدو فيه خزائنه وذخره فوقع العسكر على تلك البسائـط فاستضعفوها كما استولوا على تلك الخزائن والذخائر ودمروا كل ما مروا عليـه من العمران والقرى فكانت هذه خطة حربية جريئة كما هى ضرورية فى نفـس الوقت وذلك لاضعاف قوة عدوهم وبعدها انصرفوا عنها منتصرين غانمين . (١)

أما فى سنة ٢١٠ هـ . فقد أرسل الأمير عبد الرحمن الثانى غزوة أخـرى سميت بغزوة الفتح بقيادة عبيد الله البلنسى انتصر فيها المسلمون عـلى جيوش اشتوريش فى موقعة عند جبل يقال له جبل المجوس . كذلك فى نفـس السنة استطاع القائد لجيوش المسلمين العباس بن عبد الله القرشى مهاجمـة جليقيه والتوغل الى بـاز .Vizeu . أما فى سنة ٢١١ هـ (٨٢٦م ؟) غـزا مرة أخرى عبيد الله البلنسى بصائفه أخرى بلاد جليقيه والقلاع . كما غـزى سنة ٢١٢ هـ بالصائفه برشلونه ويرى الأستاذ ليفى بروفنسال غزوة المسلميـن لهذه المدينة الى قيام ثورة ضد الفرنجه فى اقليم برشلونه سنة ٢٠٩ هـ مـن

---

(١) حموده : تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى ص ١٥٣ / ١٥٤ .

قبل أحد النبلاء من سلالة القوط واسمه ايزون Aison. واستيلائه على عدد من المدن والحصون مثل أوسونه وغيرها وبذلك استجار الثائر بالأمير عبد الرحمن الأوسط فأعانه الأمير على الفرنجه ، وفى هذا الوقت كان حاكم برشلونه المسمى برنارد بن جيوم دوق طولوشه استمات فى الدفاع عن المدينة فلم يستطع عبيد الله أن يفتحها بعد حصار طويل اضطر فى نهاية الأمر أن يرفعه عنها حيث اكتفى بالاغارة على نواحى برشلونه لمدة ستين يوما فلم يحاود الأمير مهاجمة برشلونه الا فى سنة ٢٢٤ هـ (٨٤٠ م) . بعد وفاة الملك لويس التقى بن شارلمان فى ٢٠ يونيو سنة ٨٤٠ م . لكن الأمير غزا بلاد أشتوريش سنة ٢٢٣ هـ حيث أرسل ثلاثة جيوش اسلامية الى هناك أحدها بقيادة عمه الوليد بن هشام الذى دخل جليقيه عن طريق بازو وخرب هذه البلاد . أما الثانى فكان بقيادة عمه الأمير سعيد الخير أخ الأمير عبد الرحمن ، وقد استطاع اقتحام أليبه وقشتالة القديمة . أما الثالثة فبقيادة أخيه أميه الذى نجح فى هجومه على حصن القرية ولعلها القلعة التى سقطت بعد ذلك بثلاثة عشر عاما فى أيدى المسلمين بقيادة مرج بن مسره عامل جيان .

وقد ذكرت أن الأمير عبد الرحمن الأوسط لم يهاجم برشلونه الا فى سنة ٢٢٤ هـ حيث بعث ابن عم أبيه عبيد الله البلنسى لغزو أليبه والقلاع فسار ولقى العدو فهزم العدو حيث أكثر فيه القتل والسبى . وفى نفس العام خرج ملك الجلالقه لذريق فأغار على مدينة سالم فى الثغر فسار اليه فرتون بن موسى وقاتله الى أن هزمه (١) . وفى نفس العام أيضا خرج الحكم بن الأمير عبد الرحمن الثانى الى دار الحرب فتجول فى جهات الثغور الأندلسية لاستطلاع أخبارها

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس ص ٢٣٨ - ٢٤٠ .

ومصالحها حيث أصلح قنطرة سرقسطه فدخل منها الى دار الحرب فدوخها وقتل من الأعداء ما لا يحصى فاجتمع من رؤسهم أكداس كالجبال لدرجة أن الانسان اذا وقف من ناحية فلا يرى صاحبه من ناحية أخرى أما فى سنة ٢٢٥ هـ . فقد خرج الأمير عبدالرحمن الأوسط بنفسه غازيا أرض جليقيه حيث فتح حصونها وجال فى أرضها ، وبذلك فقد طالت غزواته فتعب كثيرا وأرق (١) ، ويرجح الأستاذ ليفى بروفنسال أن الأمير الأوسط لم يلق فى غزواته تلك نجاحا وأن هذه الغزوة أثبتت عدم مقدرة الأمير من الناحية العسكرية فلم يعد يكثر من الخروج بنفسه لذلك فهو يعهد بالصائفه الثانية سنة ٢٢٦ هـ الى ابنه مطرف فى صحبة القائد عبدالواحد بن يزيد الاسكندرانى وبذلك قل خروج المسلمين الى أرض جليقيه (٢) . على أن ابن عذارى يذكر أن الأمير عبدالرحمن الأوسط قد خرج فى سنة ٢٢٨ هـ بنفسه الى جليقيه أرض العدو بعد أن ترك فى القصر نائبا عنه ولده المنذر . أما فى الغزو فقد جعل على ميمنته ابنه محمد وعلى ميسرته ولده المطرف حيث واجه جيشا عظيما من المشركين فدارت هناك معركة حامية نصرالله فيها المسلمين وهزم أعداءهم بعد أن أثخنوا فيهم القتل وغنموا غنائم كثيرة من الخيل والأسلحة وغير ذلك وعاد الأمير منتصرا ظافرا فى منتصف شوال . وقد كان خروجه اليها من قرطبه لتسع بقين من شعبان أما فى سنة ٢٣١ هـ فغزا الأمير بالصائفة جليقيه حيث أرسل ابنه الأمير محمد لحصارها فحاصرها وحاصر مدينة ليون ورماها بالمجانيق وحينما رأى أهلها أنهم هالكون خرجوا منها ليلا ولجئوا الى الجبال فأحرق الأمير محمد ما فيها وأراد هدم سورها (٣) ولكنه لم يستطع لعلوه وعمقه فتركه بعد أن أمعن فى بلاد

---

(١) حموده : تاريخ الأندلس ص ١٥٤ ــ ١٥٥ .

(٢) عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس ص ٢٤٠ ــ ٢٤١ .

(٣) على أن ابن خلدون قد ذكر أن عرض السور ١٧ ذراعا بينما يذكر ابن عذارى ١٨ ذراعا . لكن قال ابن خلدون لم يقدر المسلمين على هدم سورها فثلموا فيه ثلمة ورجعوا .

الشرك قتلا ونهبا وسبيا (١) . كما حاصر مدينتها العظمى جرنده وعاث في نواحيها ثم عاد بعد ذلك الى قرطبه (٢) . ولقد كان توجيه هذه الغزوات ومواصلتها الى أرض العدو من الواجبات الحربية لأن الأعداء لم يكفوا عن الاغارة على مناطق الثغور ، وأمراؤهم يشجعون ثوار الأندلس ويؤازرونهم كما يحمون الفارين اليهم مثل محمود بن عبد الجبار البربرى الذى ثار بماردة .

غزو جزيرتي ميورقه ومنورقه سنة ٢٣٤ هـ :

كانت مياه أسبانيا الشرقية قد غدت منذ عهد هشام مركزا للحملات البحرية المتجهة نحو الشمال والشرق وكان قوام هذه الحملات في الغالب جماعات من البحارة والمجاهدين الذين يجوبون هذه المياه طلبا للغنيمة والسبي فيثخنون في الثغور والجزر النصرانية الغربية ففي سنة ٨٠٦ م (١٩١ هـ) في عهد الحكم قامت احدى هذه الجماعات البحرية المغامرة بالغزو لجزيرة كورسيكا (قورسقه) فبعث ببن بن شارلمان ملك ايطاليا أسطولا لقتالهم فهزم المسلمون هذا الأسطول واستولوا على كثير من الغنائم والسبي وبعد عامين عاد البحارة المسلمون الى غزو شواطئ كورسيكا وسردانيه ثم توالت غزواتهم لها بعد ذلك الى (٢٢١ هـ) (٨٣٦ م) حيث خرج أسطول أندلسي من ثغر طركونه والجزائر الشرقية فسار الى مياه فرنسا الجنوبية فهاجم المسلمون ثغر مرسيليا وما حولها من الأراضي واثخنوا فيها فكان على عرش فرنسا لويس التقي فكان ملكا ضعيفا عاجزا . وعندما توفى سنة ٨٤٠ م اضطربت أحوال مملكته

---

(١) ابن عذارى : جـ ٢ البيان المغرب . ص ٨٥ ــ ٨٨ .
(٢) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٣٤٥ .

فضعفت حماية الثغور لذلك انتهزها فرصة البحارة المجاهدون حيث غزوا ولاية بروفانس قرب مصب نهر الرون وهاجموا مدينة آرل وخربوها . وبعد ذلك توالت الغزوات فى تلك المياه من قبل المسلمين وعلى اثرها قامت مستعمرات عربية كثيرة فى بروفانس وفى أماكن أخرى فى جنوب فرنسا وشمال ايطاليا (١) .

ولم تقتصر غارات الأسطول الأندلسى على قواعد الفرنجه وسواحلها الجنوبية بل شملت جزر البليار التى كانت خاضعة لحمايتهم ولذلك فقد شعر حكام هذه الجزر بعدم جدوى ارتباطهم بالدولة الكارولنجية فسارعوا بقبول سيادة الأمويين عليهم وتعهدوا بعدم التعرض لسفن المسلمين (٢) .

وفى سنة ٢٣٤ هـ أرسل الأمير عبد الرحمن الأوسط قوة بحرية كبيرة الى جزيرتى ميورقه ومنورقه وهما أكبر الجزائر الشرقية (جزر البليار) (٣) لغزوهما ومعاقبة أهلها لأنهم تعرضوا لسفن المسلمين المجاهدين فأضروا بهم وبكل من يمر بهم من مراكب المسلمين هذا بالاضافة الى مجاهراتهم بنقضهم العهد مما دعى الأمير عبد الرحمن الى ارسال ثلثمائة مركب ففتح الله على المسلمين (٤) بنصره حيث أصابوا سباياهم وفتحوا أكثر جزائرهم وبذلك أرسل الأمير عبد الرحمن الأوسط فتاه شنظير الخصى الى ابن ميمون عامل بلنسيه ليحضر تحصيل الغنائم ويقبض الخمس وكان قد صالح بعض أهل تلك الحصون على ثلث أموالهم وأنفسهم فأحصيت رباعهم وأموالهم فقبض منهم ما عليه صولحوا (٥) . وفى العام التالى ورد

---

(١) عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ص ٢٦٥ ــ ٢٦٦ .
(٢) العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٥٩ .
(٣) عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ص ٢٦٦
(٤) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٨٨ ــ ٨٩ وأنظر :
ــ عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ص ٢٦٥ .
(٥) العبادى : دراسات فى تاريخ الأندلس ص ٢٥٨ .

كتاب أهل ميورقه ومنورقه الى الأمير عبد الرحمن يذكرون فيه ما نالهم من نكاية المسلمين لهم فرد الأمير اليهم بكتاب : " أما بعد فقد بلغنا كتابكم تذكرون فيه أمركم واغارة المسلمين الذين وجهناهم اليكم واصابتهم ما أصابوا منكم من ذراريكم وأموالكم والمبلغ الذى بلغوه منكم وما اشفيتم عليه من الهلاك وسألتم التدارك لأمركم وقبول الجزية منكم وتجديد عهدكم على الملازمة للطاعة والنصيحة للمسلمين والكف عن مكروههم والوفاء بما تحملونه عن أنفسكم ورجونا أن يكون فيما عوقبتم صلاحكم وقمعكم عن العود الى مثل الذى كنتم عليه . وقد أعطيناكم عهد الله وذمته "(١) ومن ذلك يتضح لنا أن الجزر الشرقية (البليار) قد خضعت لنفوذ حكومة قرطبه فى سنة ٢٣٤ لكن الظاهر أن خضوعها لم يكن مباشرا وانما كان لها حكمها الذاتى المنعزل عن قرطبه وانما تكون تابعة بالاسم أى تدفع الجزية السنوية ولا تتعرض لسفن المسلمين فى البحار " ولم تضم الى الأندلس نهائيا وتحكم حكما مباشرا بواسطة عمال الدولة الأموية الا فى سنة ٢٩٠ هـ ـ (٩٠٢ م) حينما أرسل اليها الأمير عبد الله قائده عصام الخولانى حاكما عليها "(٢) .

أما فى سنة ٢٣٦ هـ فقد ثار رجل من البربر يقال له حبيب البرنسى بجبال الجزيرة فاجتمعت حوله جماعة من أهل الشر والفساد فأرسل اليه الأمير حملة عسكرية وحينما وصلوا اليه وجدوا أن البربر قد ساروا الى حبيب هذا وجماعته فتغلبوا على المعقل الذى هم فيه فأخرجوه منه حيث قتلوا عددا كبيرا من أصحابه وافترق بقيتهم عنه فدخل حبيب فى غمار الناس (أى هرب ولم يتبعه أحد) .

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب /جـ ٢ ص ٨٩ ـ ٩٠ وأنظر :
ـ حموده : تاريخ الأندلس ص ١٥٩ .
(٢) العبادى : دراسات فى تاريخ الأندلس ص ٢٦٠ .

وفي سنة ٢٣٧ هـ قام أحد المعلمين بشرق الأندلس فادعى النبوة وتـأول القرآن على غير تأويله حيث اتبعه جماعة من الغوغاء وقام معه خلق كثـير . وقد ظهرت بعض شرائعه في النهي عن قص الشعر وقص الأظافر بحجـة : " لا تغيير لخلق الله " فبعث اليه يحيى بن خالد فأتى به فلما دخل عليه خاطب يحيى وطلب منه اتباعه وتنفيذ شرائعه . فشاور يحيى أهل العلم فيه فأشاروا بأن يستتاب فان تاب والا قتل فقال : " كيف أتوب عن الحـق الصحيح " فأمر بصلبه فلما رفع الى الخشبة قال : " أتقتلون رجلا ان يقول ربـي الله " (١) فصلبه وكتب الى الأمير يخبره (٢) .

.. .. ..

---

(١) سورة غافر . آيه ٢٨

(٢) ابن عذارى : جـ ٢ ص ٩٠ .

علاقات الأوسط الدبلوماسية مع البيزنطيين

العلاقات الخارجية لدولة الامارة فى فترة الازدهار :

قد سبق لنا القول عن عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط وكيف أصبحت الأندلس فى أيامه من الدول الكبرى حيث كانت فى ذلك الوقت أربعا ، هى الدولة العباسية فى المشرق ، والدولة البيزنطية ثم دولة شارلمان فى المغرب والأندلس وبها الدولة الأموية فى أسبانيا . وقد أصبحت الأندلس ندا لتلك الدول الثلاث السابقة الذكر ومنها فقد كانت الحالة العامة فى العالم قد قسمت الدول الكبيرة الى معسكرين متحالفين فى المصالح العامة لكل منها . فالدولة العباسية مثلا تحالفت مع الدولة الرومانية المقدسة لاتفاق مصالحها وأن العباسيين يواجهون أو قريبون من بيزنطة فى المشرق أما الدولة الرومانية المقدسة فهى تتاخم الدولة البيزنطية فى المغرب فمصلحتها تتفق مع الفرنجه ضد بيزنطة لأن بيزنطة لا ترتاح الى قيام الدولة الرومانية المقدسة بجوارها بالاضافة الى أن مصلحة الفرنجة تتفق وتتحد مع مصلحة العباسيين فى الضغط على الدولة الأموية فى الأندلس فاتحاد هاتين الدولتين من أجل مصلحتيهما هذا بالاضافة الى اتحاد كل من الدولتين لبيزنطه الأموية فى الأندلس لمصالحهما المشتركة لضرب العباسيين والفرنجة معا وعلى الرغم من ذلك فان اتحاد كل من الناحيتين لم يتحد تبادل السفارات والهدايا بين كل طرفين ، هذا وان كنا نرى أن الحروب قد نشطت فى المشرق بين البيزنطيين والعباسيين فى عهد الرشيد والمأمون والمعتصم ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فاننا نرى أن شارلمان فى ذلك الوقت كان يغير على أسبانيا من الشمال فى عهد الرشيد مما يدل على أن الدبلوماسية كانت قائمة على التفاهم . ومن العوامل المساعدة على الاتصالات

الخارجية أولها كان نتيجة للاستقرار الداخلى فى هذه الفترة أن توفر للدولة بعض الجهود نحو الخارج بالاضافة الى النشاط التجارى ساهم فى زيادة معرفتها بشئون العالم المحيط بها وأوضاعه كما ساعد على تعريف العالم بها لذلك لم تعد علاقات الأمويين مقتصره على تلك التى كانت لهم مع مسيحى الشمال فقط ، بل اتسع ميدان اتصالاتهم ليشمل كلا من شمال افريقيا حيث بسط نفوذهم على بعض دول المغرب ثم بيزنطة التى بدأت أول الاتصالات الودية مع الأندلس بالاضافة الى النورمانيين المجوس فى الدنمارك الحالية .

فكان الأمير عبد الرحمن الأوسط نافذ الهيبة لدى ملوك النصرانية وأمرائها وكان السفراء يأتون الى بلاطه قادمين من ممالك الشمال وكان البلاط يزدهى لحفاوة هؤلاء القادمين بأبهى حلله ويخرج بمواكب رائعة تبعا لبروتوكول دقيق ولكنها لم تكن فى شكلها ومضمونها بالقدر الرائع الذى ظهرت فيه والأبهة احتفاء بالسفارة التى كانت تأتيه فى زيارة رسمية حتى عاصمة ملكه من قبل امبراطور القسطنطينية حيث أن وجود هذه السفارات نفسها دليل على الامتياز الذى حصلت عليه الدولة الأموية فى نظر أوروبا المسيحية فى الشرق والغرب على حد سواء وأصبح تبادل السفارات مؤكدا فيما بعد بين قرطبة وبيزنطه فى ظل حكم عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم الثانى .

العلاقات مع دولة أشتوريش :

فى أيام الازدهار فى الامارة الأموية بين (٨٥٥ ـ ٨٦٦ م) كان يحكم دولة أشتوريش أو ردونيو (أردن بن اذ نوفش حسب التسمية العربية) بعد مضى نصف أيام الفونسو الثالث فى الحكم ٨٦٦ ـ ٩١٠ م حيث استمرت العلاقات بين الدولتين خلال هذه الفترة على ما كانت عليه سابقا فهى غزوات اسلامية فى

الغالب منطلقة من قرطبه ضد دولة أشتوريش وذلك على حسب الأحوال الداخلية لقرطبه وتفرغ الأمير لمحاربة المسيحيين فى الشمال كلما كانت هناك ضرورة لتأديب أمير أشتوريش لمساعدته للثوار على حكومة قرطبه ولكن لم تكن لهذه الغزوات نتائج هامة لكن الجديد فيها قيام كل فريق بعمارة خط دفاعه تجاه الطرف الآخر. ولكن الحدود بين الدولتين لم تكن خطا بل منطقة واسعة يحدها فى الشمال خط يعرضمن المعاقل الجبلية الممتدة من جبال أقصى الطرف الشرقى من الدولة وهى المنطقة الواقعة فى أعالى نهرى أبره ومركزها مدينة أمايه ويسميها العرب القلاع ومنها كان مدخل الكثير من غزواتهم فى هذه المنطقة برغش حاليا.

علاقات عبد الرحمن الأوسط :

على أن أول اتصال دبلوماسى تم بين قرطبه والدولة البيزنطية فى هذه الفترة وهى فترة الازدهار فى تاريخ الامارة حينما وصلت الى قرطبة سنة ٢٢٥هـ/(٨٣٩ - ٨٤٠م) سفارة الامبراطور البيزنطى تيوفيل المحملة بالهدايا فى مقدمتها رسالة من امبراطور بيزنطة لعبد الرحمن الأوسط ومن هذه الاتصالات تتضح لدينا الدبلوماسية البيزنطية من حيث طبيعتها ووسائلها وعلى ضوءها وضوء ظروف بيزنطة والأندلس يمكننا التعرف بدقة على أهداف البيزنطيين من السفارة ومدى صحة الأخبار التى تناقلتها الروايات العربية فى هذا الصدد.

الدبلوماسية البيزنطية :

نعلم أن العباسيين تمكنوا من الاستيلاء على عموريه مهد الاسرة البيزنطيه ، ولكنهم فى السنة التاليه لم يتمكنوا من التقدم فى قلب

الامبراطورية البيزنطية فأصبح الموقف ثابتا فى آسيا الصغرى لذلك لم تكن وقعة عموريه هى الدافع للامبراطور توفلس على انشاء علاقات دبلوماسية مع قرطبة هذا على الرغم من أن الامبراطورية البيزنطية محاطه فى معظم فترات تاريخها بالأعداء من جميع الجهات فاعتمدت على جيوشها ودبلوماسيتها لكى تؤمن مصالحها فى كثير من الأحيان ولتحافظ على وجودها فى أحيان أخرى وعندما ألف قسطنطين السابع لابنه كتابا عن ادارة الدولة كان ضمنه فصلا خاصا عن الدبلوماسية حيث أصبحت بيزنطة من أحسن من استخدم هذا السلاح لدرجة كبيرة فقد اعتبرها البعض واضعة مبادئه للعالم الغربى فتمركزت أدوات هذه الدبلوماسية فى مركزين اداريين فى الدولة هما : ديوان شئون البرابره فى القصر ، ودائرة خاصة بالبرابره(١) أى وزارة الشئون الخارجية وفى هذين الديوانيين كانت تحفظ بعناية الملاحظات والمعلومات عن البرابره ويزود هما بها التجار والمبشرون الدينيون ، وعلى ضوئها تحدد الأمور الضرورية فى تحديد السياسة التى يجب اتباعها مع شعب معين مثل جانب القوة وجوانب الضعف فيه ، ثم ما هى القوى المنفذة فيه ؟ ثم أى الهدايا وأى الوسائل تتبع لرضاه ؟ ما هى مشاعره ؟ ما هى أفضل المصالح التى ينبغى تحقيقها من العلاقات مع هذا الشعب وهى العلاقات السياسية والاقتصادية التى بالامكان انعقادها معه . بالاضافة الى أنه قد وضعت فى بيزنطة مراسيم خاصة هى كيفية استقبال السفراء وترتيبات اقامتهم والغاية منها هو اقناع السفراء بعظمة الامبراطور وامبراطوريته .

---

(١) البربرية هى اصطلاح استخدمه الغرور البيزنطى للدلالة على مجموعة من الشعوب المحيطة ببيزنطة أو العالم من غير البيزنطيين فى الشرق والغرب على السواء .

لا شك ان الظروف القاسية التى مرت على بيزنطة نتيجة لهزائمها المتتالية اثرت فى تحديد البيزنطيين لسياستهم وخصوصا بعد انتصار الخليفة العباسى "المعتصم" عليهم فى موقعة عمورية . ومعروف أن عمورية هذه كانت هامة بالنسبة للبيزنطيين . ولذا فكانت هزيمتهم فيها ذات أثر كبير عليهم . وعلى الرغم من ذلك فقد نجحوا فى الحد من تقدم العباسيين فى الأناضول .

على أن هناك حادثا آخر مهما وخطيرا بالنسبة للبيزنطيين تم فى البحر الابيض المتوسط . وذلك هو استيلاء جماعات من الربضيين المطرودين من الاسكندرية على جزيرة كريت .

وقد تبعت هذه الجماعات من الربضيين جماعات عربية شاركتهم فى الاغارة على ارخبيل بحر ايجه ونتيجة لهذه الغارات والاحتلالات فقد وقع البيزنطيون تحت مضاعفات خطيره . فجزيرة كريت كان لها موقعها الجغرافى الهام الذى يتحكم فى الطريق بين القسطنطينيه والاملاك البزنطية فى جنوب ايطاليا وصقلية والتى تعرضت لغارات شديده ومتواليه من قبل الاغالبه الذين استولوا على كثير منها .

وفى نفس العام ٢٢٥ هـ الذى استولى فيه الاغالبه المسلمون على عدة حصون فى صقلية اوفد البيزنطيين سفارة لهم الى كل من :

حينئذ في مدينة بنفسان ، ولذلك كان الدافع الحقيقي لتوفلس لعقد ذلك التحالف هو مواجهة الخطر الاسلامي ضد ممتلكاته الغربية مما اضطره الى مخاطبة قرطبه الاسلامية . ومما لاشك فيه أن سياسة الأمويين في قرطبه تجاه كل من الأغالبة وغيرهم كانت معروفه لدى البيزنطيين بواسطة عملاء لهم يجمعون لهم المعلومات وأحوال الشعوب البربرية .

تعريف يحيى الغزال :

يحيى الغزال هو شاعر وفيلسوف وسياسي (١٥٦ ـ ٢٥٠ هـ) ـ (٧٧٣ ـ ٨٦٤م) عاصر الحكم بن هشام أمير الأندلس (١٨٠ ـ ٢٠٦ هـ) (٧٩٦ ـ ٨٢١م) وفيه استطاعت الدولة الأموية في الأندلس لأول مرة منذ ذهابها بالمشرق أن تستعيد قسطا من بهائها القديم ، فكان بلاط يضم أكابر القادة وأقطاب الحكم بالاضافة الى أنه جمع طائفة كبيرة من المفكرين والشعراء والأدباء فكان من أعلام عصر الحكم يحيى الغزال الجياني فهو شخصية فذة جمعت بين الأدب والحكمة والسياسة . أما نسبه فهو أبو زكريا يحيى بن الحكم البكري نسبة الى بكر بن وائل وأصله من حيان فلقب بالغزال لجماله وظرفه وأناقته ، ويذكر العبادي أن يحيى الغزال دخل على الأمير عبدالرحمن الأوسط يوما فقال الأمير : " جاء الغزال بحسنه وجماله " وربما كانت هذه الصفات هي التي جعلت الأمير يختاره للسفارة بينه وبين الملوك.(١)

ولد في سنة ١٥٦ هـ (٧٣٣م) وقد عاصر الغزال قبل الحكم أباه هشام بن عبدالرحمن وجده عبدالرحمن الداخل وبذلك فقد عاصر خمسة أمراء

---

(١) أحمد مختار العبادي : تاريخ المغرب والأندلس ص ١٥٣ .

من بنى أمية وعاش أكثر من أربعة وتسعين عاما . ونظم الغزال الشعر حديثا ولكنه بلغ ذروة الشهرة فى عهد الحكم فكان شعره يميل الى الدعابة والتهكم اللاذع ولكنه ذو نزعة فلسفية لأنه لم يكن شاعرا فقط ولكنه بحسب قول ابن حيان : أنه "حكيم الأندلس وشاعرها وعرافها " وكان ذا ضلاعة فى علوم عصره سواء فى الفلسفة أو الفلك أو التنجيم وكان حر التفكير يتناول فى شعره أمورا تثير الريب فى عقيدته . وكان الغزال طيلة حياته على خصومة مع الفقهاء يكثر من التعريض بهم والطعن فيهم غير مكترث لاتهامهم ومساعيهم للايقاع به .

لكن الشعر ليست هى الصفة الوحيدة التى اختص بها ذلك الفيلسوف فقد عرف فيه صفة أخرى أجل وأخطر وهى صفة الحكيم الناصح والسياسى المحنك فاشتهر بأصالة الرأى وحسن التدبير واللباقة والدهاء وعلى الرغم من أنه لم يكن من رجال الدولة الرسميين لكن تلك الصفات تجعله يجد مكانه الخاص فى البلاط وتجعله أيضا موضع الثقة والتقدير . وعندما توفى الحكم بن هشام سنة ٢٠٦ هـ (٨٢١م) وخلفه ابنه الأمير عبد الرحمن الأوسط أبقى ليحيى الغزال مكانته فى الدولة ونظمه فى سلك كتاب البلاط فكان منصب الكتابة من المناصب الهامة والتى لا تسند الا الى المقربين من خاصة الأمير وجلسائه من الأدباء والشعراء . فتوثقت بين الغزال وبين الأمير الجديد صداقة متينة فكان الأمير عبد الرحمن يستشيره فى شئون دولته .

عروض البيزنطيين على الأمير عبد الرحمن الأوسط :

فى سنة ٢٢٥ هـ (٨٤٠م) وقع حادث سياسى فى بلاط قرطبه كان له أعظم صدى وهو أن الأمبراطور البيزنطى تيوفيل أرسل الى الأندلس سفارة وهدية فخمة حيث أوصلها السفير البيزنطى المسمى قرطيوس الى بلاط قرطبة

يحمل كتاب امبراطوره الى الأمير عبد الرحمن الثانى والذى ورد فى الكتاب أن الامبراطور يذكر الأمير بما كان بين الأوائل من بنى أمية وبين قياصرة القسطنطينية من أواصر الصداقة والمحبة وفى نفس الوقت يشكو من أفعال الخليفة المأمون وأخيه المعتصم وعيثهما فى أراضيه فيسميهما فى كتابه ابن ماردة وهو المأمون . وابن مراجل وهو المعتصم وكلتا الاثنتين من جوارى الرشيد وأمهات أولاده الاثنين كما يشكو اليه من استيلاء البحارة الأندلسيين بقيادة أبى حفص البلوطى على جزيرة اقريطش وهى من أملاكه فيطلب من الأمير عبد الرحمن استعادة هذه الصداقة القديمة بين القياصرة وبنى أميه ويبشره بقرب انهيار الدولة العباسية ويرغبه فى ملك آبائه بالمشرق ويحثه على استرداده ويعده بالمساعدة فى هذا المشروع . وعلى ذلك فقد استقبل السفير البيزنطى فى بلاط قرطبه بمنتهى الحفاوة والتكريم وبذلك فقد عزم الأمير عبد الرحمن أن يرد على هذه السفارة بما يليق من الاهتمام فاتجهت الأنظار حول يحيى الغزال صديق الأمير وكاتبه ومستشاره فكانت شخصيته الممتازة وكياسته ولباقته ترشحه لمثل هذه السفارة الخطيرة وكان عمره فى ذلك الوقت يقارب السبعين سنة ولكنه كان يبدو فتيا يحتفظ بكثير من ظرفه وأناقته فقبل الغزال تلك السفارة بعد صعوبة شديدة لأنه كان فى بداية الأمر يرفضها لتقدم سنه وعدم تحمله لمشاق السفر ولكنه على أى حال قبلها وغادر قرطبة بعد أن زود أهله بما يحتاجونه من الزاد والمؤن وكل شيء . وكان بصحبته زميله يحيى بن حبيب بالاضافة الى السفير البيزنطى العائد من قرطبة عن طريق تدمير (مرسيه) فوصلوا الى القسطنطينية بعد رحلة بحرية شاقة شاهدوا فيها الأهوال من صعوبات بحرية مروعة فاستقبله الامبراطور البيزنطى بحفاوة فائقة حيث قدم الغزال كتاب الأمير عبد الرحمن وهديته وكان الأمير عبد الرحمن يرد فى كتابه على جميع ما توجه به الامبراطور اليه ويشير مثله الى المأمون

والمعتصم بابن مراجل وابن مارده ويرحب بصداقته ويشاطره السخط والنقمة على بنى العباس ويعد فى شأن استرداد ملكه بالمشرق خيرا ويعتقد أن ذلك سوف يكون على يديه .

رد الأمير عبد الرحمن وسفارته :

ان خلاصة رد الأمير عبد الرحمن الأوسط هى : قبول الصداقة فقط ورفض التحالف مع بيزنطه ضد مسلمين آخرين ولكن هذا الرفض جاء بشكل دبلوماسى ينتقى فيه الرفض الصريح بعد أن أعلن الأمير فى جوابه أن لديه نفس الرغبة فى استرجاع عرش أجداده فى المشرق وأن ذلك سيكون على يديه هو دون مساعدة من أحد الا الله سبحانه وتعالى وأن النقمة سوف تحل على العباسيين من الأمويين فى المغرب . أما بشأن كريت فالأمير يتبرأ منهم لأنهم ليسوا جميعا ربضيين ومع أنه يعتذر عن تأديبهم لأنهم ليسوا من بلده فانه لا يجد غرابة فى خضوعهم للعباسيين لقربهم من بلاد العباسيين فهم كأمن لهم فهو لا يستغرب بعجز الامبراطور البيزنطى اخراجهم عنه ولكنه سينظر فى أمرهم على ضوء تقديره للمعونة المقدمة اليه من البيزنطيين لكن الرسالة لا تشير الى شيء من أمر الأغالبة (١) . أما نص الخطاب فهو كالاتى :

" بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فقد بلغنى كتابك ، تذكر فيه الذى كان عليه من مضى منكم لأولينا من المودة الصادقة وأنه قد دعاك ذلك الى مكاتبتنا وارسال قرطيوس رسولك الينا لتجديد تلك المودة وترتيب تلك الصداقة ، وتسأل أن ينعقد فيما

---

(١) أحمد بدر : المرجع السابق ص ٢٢٢، وهو بذلك يناقض ما جاء فى نص الخطاب ما ذكر لبروفنسال .

بيننا وبينك من ذلك ما نتمسك به ونتواصل له ونبعث رسلا من عندنا اليـــك ليعلموك بالذى نحن عليه من الرغبة فيما خصصت عليه ودعوت اليه لنثبت بقدومهم عليك مودتنا وتتم به صداقتنا وفهمنا ما ذكرته من أمر الخليفة مروان رضى اللــه عنه وصلى عليه من وشائج قرابتنا منه وآ يست لما أشلب من سلطانه واستبيـح من حرمه واستحل من دمه وما كان من الفاجـر أبى جعفر تربه الله وجراءتـه على الله واغترار به وانتهاكه لمحارمه والله قد أخص عليه ذلك فأسفه منـه فهو لا محالة يجازيه جزاء سعيه • ثم الذى ذكرته من فعل الخبيثين ابن مراجل وابن مارده أخيه بعده من الحادهما فى نحلتهما واساءتهما لسيرتهما أو رغبتهما فى شدة وطأتهما عليهم واستحلا لهما دماءهم وأموالهم وما ذكر من حضور وقـت زوال دولتهم وانقطاع مدة سلطانهم وتأذن الله برد دولتنا وسلطان آبائنا الذين نبأت عنهم الكتب ونطقت بهم الرسل وأوجب لهم الاجماع وحازه اليهم البرهـان والذى خضضت عليه من الخروج اليهم وطلب الثأر منهم • ووعدته من نصرتـك لنا فيما ينصر الصديق صديقه ومن يعلم هواه فيه ومودته له وما عطفت عليه من أمر أبى حفص ومن معه من جالية بلدنا • وغلبتهم على ما غلبوا عليه من بلـــدك وخضوعهم لابن مارده ودخولهم فى طاعته وما سألت من أهل الانكار لذلك والأنفة منه وحكيت من أمراء افريقية فى نزعهم عن ابن مارده وخلافهم عليه واستثقالهم لدولته • وكل ما حكيت من ذلك وقصصته فى كتابك فقد قرأنـاه وفهمنـاه وأما ما رغبت من مودتنا وأحببته من صداقتنا وأردت تجديده وتوصيله والتمسك بـه وتوثيقه مما كان عليه أولوك لأولينا فقد رغبنا منك فى مثل الذى ذكرته من حرصك على مواصلتنا • وأن نتمسك من ذلك بما كان عليه سلفنا وما لم يزل من كـان قبلنا من الملوك يتمسكون به • ويتحاضون عليه ويحفظه بعض لبعض ويشدون أيديهم به • وأما ما ذكرت من أمر الخليفة مروان بن محمد رحمه الله فان اللــه تعالى أحب أن يكرمه بما انتهك من حرمته • ونكث من بيعته ويسوقه الى رحمته

وأن يشقى بذلك من ركبه منه ويخزيه ويعذبه عليه ، وأما ما كان عليه الفاجر أبو جعفر فى تعذيبه العباد وظلمه وجرأته على الله وانتهاكه لمحارمه فان الله قد أخذه بذنبه واستدركه ببغيه وصيره من عذابه ونكاله الى ما لا انقطاع له ولا تخلص منه جزاء بما اجترح ، وكذلك حكم الله فى أهل معصيته أولى الاجتراء والافتراء عليه . وأما ما ذكرت من أمر الخبيث ابن مارده وحضضت عليه من الخروج الى ما قلته وما ذكرته من تقارب انقطاع دولته ودولة أهله وزوال سلطانهم وما حضر من وقت رجوع دولتنا وأزف من حين ارتجاع سلطاننا فاننا نرجو فى ذلك عادة الله عندنا ونستنجز من عودة أيادنا ونمترى حسن بلائه لدينا بما جمع لنا من طاعة من قبلنا من أهل شأمنا وأندلسنا وأجدادنا وكورنا وثغورنا ، وما لم نزل نسمع ونعترف أن النقمة تنزل بهم والدائرة تحل عليهم من أهل المغرب بنا وعلى أيدينا ، فيقطع الله دابرهم ويستأصل شأفتهم . وما ذكرت من أمر أبى حفص الأندلسى ومن صار معه من أهل بلدنا فى خضوعهم لابن مارده ودخولهم فى طاعته وما سألت من النظر فى أمورهم والانكار لفعلهم فانه لم ينزع اليه فيهم الا سفلتهم وسوادهم وفسقتهم وأباقهم وليسوا فى بلدنا ولا برتبتنا فنغير عليهم ونكفيك مؤنتهم وانما اضطروا الى الدخول فى طاعة ابن مارده لمأمنهم من بلاده ودنو ناحيتهم من ناحيته ولم نكن نحسبك تعجز عنهم ولا تصعب عن نكايتهم ولا تتوقف عن اخراجهم عما تطرقوه من بلدك واذا ترى مكانهم به من موضعك وان الله بحوله وقوته وفضله ومنته رد الينا سلطاننا بالمشرق وما كان تحت أيدى آبائنا منه نظرنا فى ذلك بما فيه صلاح لنا ولك ، واستقامة لطاعتنا وطاعتك ، وعرفنا الذى يكون من معونتك على ما دعوت اليه وحضضت عليه بما للصديق لصديقه ، وذو المودة لأهل مودته ولم يضع لك عندنا ما رعيته من حقنا وقمت فيه من حفظنا . وقد أدخلنا رسولك قرطيوس علينا وكشفناه على الذى أوصيت به الينا ، وعن كل ما يجب

لصديق أن يصرفه من حال صديقه ، ووجهنا اليك بكتابنا هذا رسولين من من صالحى من قبلنا والذى يجب عليك من سائر خبرك ومتمم عافيتك لننظر فيما يتصرفان به من عندك ان شاء الله " (١) .

ويلاحظ فى هذا الرد براعة الدبلوماسية التى تظهر خبرة بلاط الأمير الأندلسى فى هذا المجال كما تظهر فى اختيار السفيرين اللذين حملا الرد حيث انتخبا من بين رجالات البلاط الأندلسى لهذه السفارة ممن عرفوا بعقليتهما الفلسفية وهما يحيى الغزال الذى يسميه ابن حيان بحكيم الأندلس وشاعرها . وصاحب له يسمى بصاحب المنيقله (وهى نوع من الساعات) ويبدو أنه ابتكرها وبذلك تتوافق عقلية السفيرين مع طبيعة الفكر السائد فى البلاط البيزنطى لأنها وريثة الثقافة الاغريقية وقد جمع يحيى الغزال الصفات اللازم توفرها فى السفير فهو وسيم وقد لقب بالغزال لجماله وظرفه وسرعة البديهة لديه .

ومن الغريب أن يذكر الدكتور الفاضل محمد عبد الله عنان أن الرسالة لم يزد فيها شيء عن الأغالبة فى افريقيا ونحن نعتبر أن الدكتور الفاضل بما له من خدمات علمية جليلة ومع احترامنا لما كتب فاننا لا نعلم ما الذى جعله يعتقد ذلك على الرغم من أن الرسالة التى ذكرها بالنص الأستاذ الجليل ليفى بروفنسال والذى كان أحسن من كتب فى هذه الناحية بالذات وفى تاريخ المسلمين فى الأندلس بصفة عامة قد ذكر نص الرسالة كاملا أما الأستاذ عنان فانه ذكر ملخصها فقط ولو أنه ذكر لنا نص الرسالة لاعتقدنا أن هناك التباسا

---

(١) بروفنسال : الاسلام فى المغرب والأندلس ص ١١٥ ـ ١١٨ .

فى حقيقة نص الرسالة أو على الأقل اعتبرنا رأيه صحيحا قاطعا ، ولكن النص الذى بين أيدينا ما نشره بروفنسال فانه يؤكد أن الرسالة احتوت فعلا على ذكر أغالبة افريقيا .

على أى حال يتضح من الرسالة أى رد الأمير الأندلسى على بيزنطة على مدى براعة الدبلوماسية الأندلسية الاسلامية المتمثلة فى الأمير عبد الرحمن الأوسط وبلاطه كما تدل على خبرة عميقة فى هذا المجال السياسى الدبلوماسى وأيضا تظهر فى أن الرسول يمثل أميره أو خليفته . أما الأحداث التى جرت لهذه السفارة بصفة عامة أو ليحيى الغزال السفير المسلم الأندلسى بصفة خاصة أثناء اقامته فى القسطنطينية حيث اجتمع بالسفيرين مقدم البلاط البيزنطى عند وصولهما وقبل دخولهما أمام الامبراطور حيث شرح لهما كيفية المثول أمامه فأعلن الغزال رفضه للسجود ولكن عند دخوله وجد الباب صغيرا مما يضطر الداخل أن يدخل راكعا فتخلص من ذلك بحيلة .

السفارة بين بيزنطة وقرطبه :

بعد أن وصل قراطيوس Kortiyus الى قرطبه حاملا رسالة الامبراطور البيزنطى فاستقبله الأمير القرطبى عبد الرحمن الأوسط بحفاوة بالغة بعد أن ملأت هداياه قلب الأمير الأندلسى سرورا وملأته كبرياء مما جعله يسرع فى اعادة الترجمان البيزنطى (سفير بيزنطه) الى القسطنطينية مع وفد اسلامى بعد أن اختار أعضاء هذا الوفد من المقربين اليه وهما شخصان تخصصا فى العلوم البحتة أحدهما يحيى الغزال الذى كان شاعرا مشهورا يخشاه

الناس لهجائه اللاذع وسرعة بديهته وقد سبق تعريفه مفصلا (١) . أما الثانى فكان أيضا يسمى يحيى صاحب المنيقله (٢) . بعد أن عهد اليهما بالرد على الامبراطور البيزنطى . والحقيقة أن الأمر لم يكن منتظرا بل يعد نادرا فى تاريخ المغرب الاسلامى . ويعلق الأستاذ بروفنسال على رد الأمير القرطبى قائلا : يرمى رد الأمير القرطبى على الامبراطور توفلس بوجه عام الى شيىء واحد هو عدم رغبته فى استقبال أحد وهذا رد لا يعتبر دبلوماسيا فى جميع الأحيان ومع ذلك يعطينا فى الوقت ذاته فكرة عن مضمون الرسالة البيزنطية اذ أن الكاتب القرطبى الذى حرر الرسالة العربية قد تناول نص الرسالة اليونانية فقرة فقرة كما لو كان هو المكلف باستقبال الترجمان البيزنطى مع احتفاظه من ناحية أخرى بالرد الحقيقى على الأسئلة المطلوبة والاقتراحات التى وصلت من القسطنطينية ونجد الأمير يصرح بأنه فهم جيدا أن الرسالة البيزنطية قد أنبأته بالوفاة المحزنة لجده مروان الثانى سنة ٧٥٠ م . تحت ضربات العباسيين وهو لا يجهل الطغيان الواقع على أتباعهم على يد خليفتهم فى الشرق وهم معاصروه المأمون وأخوه المعتصم فهما لا يذكران فى الرسالة الأموية باسميهما الحقيقيين أو بلقبهما الشريفين المعروفين بهما عادة وانما يكنى عنهما على سبيل التحقير وقد حدث ذلك أيضا فى الرسالة البيزنطية باسم ابن مراجل وابن مارده وهما امرأتان كانتا أمتين لهارون الرشيد أنجبتا ولدين توليا العرش بعده . كما يعلم الأمير أن الاسرة العباسية قد وصلت الى نهايتها فالفرصة قد واتت للانتقام منها غير أن الأمير عبد الرحمن

---

(١) لقد سبق أن ذكرت تفصيلا بشأن يحيى الغزال فى الصفحات السابقة من هذا البحث وهى

(٢) المنيقله هى نوع من الساعات .

يتحفظ فى موقفه بهذا الصدد • ونشعر أن الامبراطور البيزنطى قد استهان بالقوة الحقيقية لدولة الأندلس أو لم يحط خبرا بها وهذا لم تشر اليه الرسالة بطبيعة الحال • وقد حاول توفلس فى رسالته محاولة أخرى لا تخلو من الدهاء وان كانت أقل عاطفة وهى محاولة اقناع الأوسط بفائدة محالفته اياه ذلك انه لم يكن قد انقضى خمسة وعشرون عاما على ثورة الربضى جنوب قرطبة أيام الحكم والد الأمير عبد الرحمن بعد أن فتك بالثوار فتكا ذريعا وقد نجا بعض منهم هربا من قرطبة حيث لجأ البعض الى طليطله والبعض الآخر الى مراكش فعمروا جانبا من فاس بعد أن أسسها الأمير ادريس الثانى ، ثم هاجر فريق آخر من هؤلاء الربضيين الى مصر يرأسهم شيخ منهم يسمى أبا حفص البلوطى حيث حاولوا السيادة على الاسكندرية لكنهم فشلوا فى محاولتهم هذه فاضطروا الى الرحيل الى جهة أخرى فنزلوا كريت وكانت تابعة للبيزنطيين فنجح المسلمون (الربضيون) فى الاستيلاء عليها سنة ٨٢٧م • وأنشأ فيها أبو حفص البلوطى أسرة ظلت تحكمها حتى استولى عليها اليونانيون سنة ٨٦١م

كما يكمل الأستاذ بروفنسال تعليقه عن هذه السفارة فيقول :

والظاهر أن تذكير عبد الرحمن الأوسط بهذا التدخل الأندلسى الذى لم يعد أن يكون أمرا عارضا فى ممتلكات الامبراطورية البيزنطية كان ضعيف الأثر فى نفس الأمير فنراه يقتصر فى رسالته المسدده فى شأن هؤلاء المنفيين
من أنهم ثوار خونه لوطنهم الأصلى ولكنهم على أى حال لم يعودوا من رعاياه ومن ثم فلا يسأل عما يفعلون ولذلك فهو يبيح للامبراطور البيزنطى أن يطردهم بقوة السلاح ثم انه لا يخفى دهشته من أن الامبراطور العظيم يأبه لحفنة من المغامرين الى حد تثير ثائرته • ثم لا يرد فى رسالة الأمير ذكر لعلاقة أمراء افريقية (تونس) بالخلفاء العباسيين فى المشرق وكانت حكومة بيزنطة تضيق

بسياستهم الاستقلالية . أما الأغالبة فهم أمراء أفريقيا وعاصمتهم القيروان والمعروف أنهم قبل ذلك بزمن قد خلعوا عنهم الوصاية العباسية التى كانت اسمية بحتة . ولا يخفى عن الأمير على الرغم من بعد بلاده عن بيزنطة أنهم كانوا الأعداء المباشرين للسلطة البيزنطية التى كانت تخشى احتلالهم لصقلية وتخشى حملاتهم المتكررة على سواحل ايطاليا الجنوبية ومع ذلك فاننا نجد الأمير لا يذكر كلمة واحدة من هذا كله فى رده مفضلا بلاشك أن يبقى متحفظا حريصا لأنه كان يعلم فى نفس الوقت أن ذلك من شأنه مظاهرة مشرك على توسيع رقعته فى دار الاسلام . كما يختتم الأمير الأندلسى رسالته باعلانه عودة سفير الامبراطور توفلس يرافقه اثنان من الأندلسيين .

وبعد ذلك اختتم الأمير رسالته باعلانه عودة سفير الامبراطور توفلس يرافقه الوفد الأسبانى الاسلامى الذى رحل من الأندلس ووصل الى القسطنطينية بعد أن ركبوا البحر ورأوا الأهوال الشديدة من بعد خروجهم من ميناء مرسيه فى تدمير ليواجهوا رحلة شاقة تعرضت فيها السفينة للعواصف الى أن وصلوا الى القسطنطينية وعند وصول الوفد الاسلامى الى العاصمة البيزنطية قابله مقدم السفراء وهو موظف بيزنطى ليعرفهم بآداب البلاط والاستقبال فيه ودعاهم الى مقابلة توفلس لكن الغزال اشترط على مقدم البلاط ألا يسجدا للامبراطور وأن لا يخرجهما هو وزميله عن شيء من سنتهما فوافق المقدم على ذلك فلما مشيا الى الامبراطور انتظرهما الامبراطور فى أحسن هيئة وأمر للمدخل الذى يوصل اليه بأن يضيق حتى لا يدخل أحد عليه الا راكعا فلما وصل الغزال الى ذلك المدخل جلس على الأرض وقدم رجليه على ركبتيه زحفة فلما جاوز ذلك المدخل استوى واقفا فوجد الملك فى كامل زينته لكن الغزال لم يفزعه ذلك ولم يدهشه بل قام ماثلا بين يديه وما كان من توفلس الا أن

ابتسم اعجابا به وقال لرجال بلاطه : " كان الحكماء على حق فى قولهم من شخصية الرسول يعرف سيده ان هذا الأندلسى حكيم من حكماء القوم وداهية من دهاتهم " (١) وذات مرة كان الغزال جالسا فى حضرة الامبراطور فطلب ماء ليشرب فأحضروا له كأسا من الذهب المزين بالأحجار الكريمة وبعد شربه الماء سكب الباقى منه على الأرض وأخفى الكأس فى كم عباءته فصرح ترجمان الامبراطور عن لسان سيده بأن ذلك لا يليق فكان رد الغزال عليه ان أمراءنا الذين تبغون صداقتهم اعتادوا عندما يطلب أحد السفراء الشرب فى حضرتهم أن يأتوه بكأس ثمينة يمكنه الاحتفاظ بها بعد شربه منها . فاذا كانت عادة سادتى هذه غير متبعة لديكم فانى مستعد لاعادة كأسكم اليكم " وهم باخراجها من كمه لكن الامبراطور أشار عليه بأن يحتفظ بها . هذه القصص ليست ذات أهمية فى الموضوع اذ هى قريبة من الآداب الشعبية لعدة بلدان . لكن من القصص المروية عن مقام الغزال فى القسطنطينية حيث تظهر على مسرح الحوادث الامبراطورة ثيودورا المعروفة فى الروايات العربية بتود زوجة توفلس وابنها الطفل ميشيل الذى خلف أباه سنة ٨٤٢م . فقد كان الغزال جالسا يوما فى حضرة ملك الروم فاذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها وهى كالشمس الطالعة حسنا فكان الغزال قد بهر بجمالها فكان لا يستطيع أن يغيب نظره عنها فكان الملك وهو يحدثه والغزال كان لاهيا عنه فاستنكر الامبراطور ذلك فسأل الغزال عن طريق الترجمان فقال له الغزال : " عرفه قد بهرنى من حسن هذه الملكة ما قطعنى عن حديثه فانى لم أر قط مثلها " وأخذ فى وصفها والتعجب بجمالها وقد شوقته الى الحور العين ، وحينما أخبر الترجمان ذلك

---

(١) بروفنسال : الاسلام فى المغرب والأندلس ص ١٠٦ .

للملك سرت الملكة ولقى الغزال حظوة أكثر عند الامبراطور، وقد قال الغزال أبياتا شعرية فى الملكة فسرت بها . وقد نزل الوفد الاسلامى قصرا من قصور القسطنطينية أعد خصيصا لسكنى هذا الوفد قد سماه ابن حيان "آكا دمية من مرمر"

بعدها عادت السفارة الاسلامية الى قرطبة بعد رحلة دامت عدة أشهر بعد أن بهرت الغزال حضارة بيزنطة وروعة بلاطها كما ترك فى بلاط بيزنطة أثرا جميلا لما أبداه من فطنة وكياسة وظرف . وقد أوفد الغزال بقليل فى سفارة هامة أخرى بعد غزوة النورمان (المجوس) لولايات الأندلس الجنوبية الغربية واقتحامهم لمدينة اشبيلية وردهم عنها (٢٢٩ هـ - ٨٤٣ م) وبعد هزيمتهم أرسل ملكهم رسله الى عبد الله بن الحكم فى طلب الصلح والمهادنة فأجابه عبد الرحمن الى طلبه وبعث الغزال مع الرسل الى ملكهم ليرد السفارة ويعلمهم بقبول الصلح ، هذا ما ذكر الاستاذ محمد عبد الله عنان وأضاف أن لهذه السفارة تفاصيل شائقة رواها أديب أندلسى عاش فى القرن الثالث عشر الميلادى وهو أبو الخطاب عمر بن الحسن بن دحية البلنسى أوردها فى كتابه " المطرب من أشعار أهل المغرب " فى حديثه عن الغزال فهو يذكر لنا أن عبد الرحمن أوفد مع الغزال يحيى بن حبيب (صاحب المنيقله) لمرافقته فى تلك السفارة وانهما خرجا معا الى البحر المحيط (المحيط الأطلنطى عن طريق " شلب " فى مركب خاص أعد لهما فساروا مع مركب الرسل النورمانيين فلما وصلت السفينة الى مياه الركن الغربى من جليقيه عصفت بهم ريح شديدة وتعالت الأمواج حتى صارت كالجبال وأشرف السفيران المسلمان على الهلاك وهو ما يصفه لنا ابن دحية لبلاد المجوس هذه بأنها " جزيرة فى البحر المحيط " وعلى مقربة منها جزائر صغيرة وكبيرة أهلها كلهم من المجوس وهم اليوم على دين النصرانية . ويصفه الأستاذ عنان بقوله : ويبدو من وصف طريق

الرحلة وأوصاف تلك الجزر أن القصر الذى قصده الغزال ورفيقه هو الدنمارك ويؤيد ذلك أن الدنماركه كانت فى ذلك الوقت مستقر ملك النورمان (المجوس) وكان ملكهم عندئذ يشمل الدنماركه وما حولها من الجزائر وقسما من اسكندناوة وألمانيا الشمالية وكان يجلس على عرش النورمان يومئذ أحداث من النصرانية فلقى السفير المسلم من ملك النورمان كل ترحاب وعطف وأفرد لاقامته وزملائه منزلا حسنا وقدم اليه الغزال كتاب الأمير عبد الرحمن وهديته من الثياب والآنية فوقعت لديه أحسن موقع ولقى الغزال من البلاط النورمانى كثيرا من الاعجاب والعطف واستهلته " نود " ملكة النورمان فراعة حسنها وشملته بعطفها فنظم فى حسنها شعرا رقيقا ومنه :

يانود يا ورد الشباب التى	∴	تطلع من أزرارها الكوكبا
ان قلت يوما أن عينى رأت	∴	شبهه لم أعد أن أكذبا

وخلاصة القول : أن الغزال عاد الى الأندلس بعد رحلة دامت عشرين شهرا وكان عوده عن طريق شنت ياقب ويقول ابن دحيه انه كان يحمل من ملك النورمان كتاب توصية وجوازا الى صاحب جليقية لكى يستطيع المسلم وزملاؤه اختراق المملكة النصرانية الشمالية فى طريقهم الى الأندلس . وقد اخترق الغزال بالفعل مملكة ليون وسار الى طليطله ومنها الى قرطبه والمرجح أن وصوله الى قرطبه كان سنة ٢٣٢ هـ أواخر سنة ٨٤٦ م .

هذا بالاضافة الى أن الأستاذ عنان ذكر أن الاستاذ العلامة ليفى بروفنسال اعتقد أن هاتين السفارتين اللتين اضطلع بهما الغزال الى القسطنطينية والى ملك النورمان هما سفارة واحدة هى التى قصد فيها الغزال الى قسطنطينية والى بلاط بيزنطه وأن رواية ابن دحيه عن السفارة الثانية انما هو فى الواقع تكرار للرواية الخاصة بسفارة القسطنطينية أو تحريف لها ويدل على تكرار شعر

الغزال فى الرواية عن روعة البحر وأهواله وانها لم تذكر عن مقابلاته للامبراطورة . ويدل أيضا على هذه الرواية الخاصة بالرحلة الثانية لم ترد فى أى مصدر آخر غير رواية ابن دحيه المذكورة وهى رواية متأخرة جدا ترجع الى القرن الثالث عشر الميلادى ومن ثم فان الأستاذ بروفنسال يبدى ريبة فى صحة هذه السفارة الثانية ويستند فى ريبه الى ما تقدم من القرائن بيد أننا نخالف صديقنا العلامة المرحوم فيما ذهب اليه ونعتقد بالعكس أن رواية ابن دحيه بالرغم مما يختلط بها من فقرات تنصرف الى رحلة قسطنطينية وتدل دلالة واضحة على أن سفارة أندلسية قد أوفدت الى ملك النورمان وأن ما ورد فى هذه الرواية من اشارات جغرافية وتاريخية تحمل على الاعتقاد فى صحتها . فأما من الناحية الجغرافية فان رواية ابن دحية تشير الى سفر الغزال من طريق شلب فى الغرب ثم جليقية فى الشمال ثم عودته عن طريق شنت ياقب وبيده جواز سفر من ملك النورمان الى صاحب جليقيه ومروره بطليطله فى طريقه الى قرطبه وليس من المعقول أن ينصرف مثل هذا البرنامج الى رحلة يقصد بها السفر الى قسطنطينية ومن جهة أخرى فان ر رواية ابن دحية تصف لنا بلاد المجوس والنورمان بأنها جزيرة فى البحر المحيط وعلى مقربة من جزائر صغيرة وكبيرة . وأما من الناحية التاريخية فان الرواية تقول لنا أن أهل هذه الجزائر هم من المجوس والمجوس فى الرواية العربية هم النورمان ، ثم تقول لنا أن هؤلاء المجوس كانو يومئذ قد بدأوا يدخلون فى دين النصرانية ، وأخيرا فان الغزال نفسه يقول لنا فى الشعر الذى نظمه فى الملكه تود أن قلبه قد تعلق بمجوسية تأبى لشمس الحسن أن تغربا " وأن ذلك قد وقع بأقصى بلاد الله فهذه القرائن كلها من جغرافية وتاريخية تحملنا على الاعتقاد فى صحة رواية ابن دحية بأن الغزال قد اضطلع بعد سفارة قسطنطينية بسفارة أخرى الى ملك النورمان وأن ما يقصه علينا من تفاصيل زيارته للبلاط النورمانى وملكته الحسناء انما هى وقائع صحيحة بعيدة عن

الريب والاختراع . هذا ما ذكره الاستاذ عنان وأضاف أن العلامة بروفنسال عاد وتحدث عن هذه السفارة الى ملك النورمان وهي عبارة عن خرافة وبحث أسطوره شعبية طغت بالتدريج على الحقيقة التاريخية "(١).

أما ما جاء في الاسلام في المغرب والأندلس على لسان الأستاذ الجليل ليفي بروفنسال أنه في صدد السفارة الاسلامية الى النورمان أنه قال : " ويؤخذ مما ذكره ابن دحيه المتوفى بالقاهرة سنة ١٢٣٥م في كتابه " المطرب في أشعار أهل المغرب " أن الأمير عبد الرحمن الأوسط قد دخل في مفاوضات مع حاكم هؤلاء المجوس غداة رحيل النرماند سنة ٨٤٤م كما أن الغزال ورفيقه في بيزنطه لابد أنهما تلقيا أمرا من جديد بالرحيل الى الشمال من أوربا بعد عودتهما من لندن ثوفلس لاحضار رسالة منه الى الأمير والظاهر أنهما قاما بهذه الرحلة التي ركبا فيها الأطلنطي ثم عادا الى أسبانيا بعد ذلك بعشرين شهرا . ولكننا ندهش اذ نجد أن المؤرخين القدامى العرب بما فيهم ابن حيان والمصادر التي يستند اليها والتي توسعت كثيرا برغم ذلك في مسألة النرماند سنة ٨٤٤م لم يشيروا اطلاقا الى هذه المحاولة الغريبة التي قام بها عبد الرحمن الأوسط ومع كثرة المعلومات المسهبة التي أوردها المؤرخون عن الغزال فانهم لم يسجلوا هذه البعثة الرسمية الجديدة التي عهد بها اليه الأمير لثقته فيه لهذا أميل الى الاعتقاد فيما يذكره بروفنسال بأن هذه السفارة الثانية كانت خيالية بحتة ، وأن رواية ابن دحية التي وثق فيها دوزى وترجمها كلها في بحثه عن " النرمند في أسبانيا " لم تكن سوى تأثير متأخر للرواية الواردة عن رحلة الغزال الى القسطنطينية ومن المناسب أن نقرر

---

(١) عنان : تراجم اسلامية ط ٢ ص ١٦٢ ـ ١٦٦ .

انتظارا لأمكان العثور على أدلة عن هذه الحقيقة أن لرواية ابن دحية تفاصيل تماثل ما ساقه ابن حيان فى صدر سفارة قرطبه للبلاط البيزنطى ومنها محرجات السفير فى مخالفته لقواعد البرتوكول الامبراطورى عند استقبال الحاكم ومنها القصيدة التى نظمها فى عاصفة هبت أثناء ذهابه ثم مقابلته للامبراطورة التى سألته بشغف وأعجبت به كل هذا نجده هنا وهناك ولا شك أن هناك تأكيدات أخرى فى رواية ابن دحية من ذلك أن الامبراطورة تلقب باسم نود ألا يمكن اعتبار هذا تحريفا لكلمة (تود) بالتاء وهو اسم الملكة ثيود ورا فى الرواية العربية ؟ ويعود الغزال عن طريق " سانتاجودى كومبوستلا " أوشنت ياقب وهى مدينة من الصعب أن نتصور مروره بها فى رحلته الى القسطنطينية بل على العكس من ذلك تعد الرواية ضربا من الخيال الذى يصعب قبوله وهذه الواقعة شأنها فى ذلك شأن ما هنالك من تماثل بين الروايتين المتعلقتين بالسفارة توحى لنا بأن مساعى امبراطور بيزنطه لدى قرطبه ثم نزول الملاحين الاسكندنافيين على الساحل الأندلسى مما انطوت ذكراه على قسط كبير من العناصر القصصية كل أولئك أدى الى امتزاج هذه العناصر والعقائد الشعبية فى أسبانيا الاسلامية حيث انتهى بها الأمر الى تشويه الحقيقة التاريخية شيئا فشيئا كما يحدث عادة (١) ٠

هنا قد أوردت النصين لكل من الأستاذين الفاضلين عنان ثم بروفنسال وقد عرضت ما جاء فى اختلافهما عن الرواية بشأن السفارة النورماندية فكان الأستاذ عنان يرجحها ويؤيد رواية ابن دحية فى حين بروفنسال يرفضها ويعتبرها نوعا من الخلط والالتباس بالسفارة البيزنطية وبما أن كلا من الأستاذين

---

(١) بروفنسال : الاسلام فى المغرب والأندلس ص ١١٢ ــ ١١٤ ٠

الفاضلين قد أديا من الحجج والأدلة ما يؤيد اعتقادهما فاننا ذكرنا النصين لكل منهما ولأنه ليس لدينا من المستندات ما يكفى لتغليب رأى على آخر أوردناهما وربما يكشف البحث عن وثائق جديدة تؤيد أحدهما ، ونأمل ذلك قريبا انشاء الله .

.. .. ..

نشاط الأسطول البحرى الأندلسى فى غرب المتوسط

لقد تعددت ضرورات بناء أسطول تجارى وحربى للأندلس منذ الفتح فقد رأينا أن العرب أثناء الفتح يجتازون المضيق على أربع سفن ليوليان . أما بعد الفتح والاستقرار فى الأندلس فنجد أن البحر قد فصلهم عن بقية العالم الاسلامى وخاصة المشرق منه على الرغم من الصعوبة فى العيش فى ظل العزلة عن المشرق وذلك للظروف السياسية التى كانت قائمة بين الطرفين . ولكن الذى جد من ظروف على الأندلس هى هجمات النورمانديين على اشبيليه ولا نريد تكرير ذكر غزو النورمان لأشبيليه هنا لأننا سبق أن ذكرنا هذه الغزوة بالتفصيل ولكن نستطيع القول بأن الأعمال التخريبية والهمجية والوحشية التى قام بها هؤلاء الغزاة قد عادوا فى نهاية الأمر مهزومين من قبل المسلمين وأميرهم عبد الرحمن الثانى . فكان نتيجة تراكم هذه العوامل أن شاهدنا نشاطا ملحوظا للبحرية الأندلسية فى المجالين الحربى والتجارى ففى المجال الحربى بدأ هذا النشاط فى حملتين احداهما ناجحة والثانية فاشلة فالحملة الناجحة انطلقت من الشواطىء الشرقية الى جزيرتى ميورقه ومنورقه وكان بين سكان هاتين الجزيرتين وبين المسلمين عهد يدفعون بموجبه للمسلمين جزية ويقدمون لهم النصح ويمتنعون عن أذاهم لكنهم استضعفوا شأنهم على ما يظهر بعد غزوة المجوس فنقضوا العهد . فوجه المسلمون حملة ضدهم مؤلفة من ثلاثمائة مركب عام ٢٣٤ هـ أخضعتهم وأعادتهم الى الالتزام بعهودهم السابقة . أما الحملة الثانية الفاشلة فانطلقت من السواحل الغربية عبر المحيط الأطلسى عام ٢٦٦ هـ / ٨٧٩م . وكان الدافع لها قيام ملوك أشتوريش فى هذه الفترة بتحصين ثغورهم الواقعة على حدود

المسلمين مما خلق مصاعب فى وجه الحملات البرية ضدها • بالاضافة الى تجربة الغزو النورمانى لجليقيه أثبتت عجز ملوكها التام عن صد الغزوات التى تأتيهم من ناحية البحر المحيط• ويرجح أن من أسباب هذا الفشل هو تركيز جهودهم الدفاعية وانتباههم الى الجنوب لما يهددهم من خطر اسلامى بشكل دائم لا الى الغرب وجهة البحر المحيط• هذا بالاضافة الى أن التضاريس تجعل عملية الهجوم من الغرب عن طريق الوديان والأنهار الواسعة أسهل من الهجوم المتجه من الجنوب الى الشمال• فتقف الوديان الكبرى والحواجز الجبلية بشكل معارض اذ لا يمكن الدخول اليها الا من مناطق معينة وخوانق يسهل الدفاع عنها فأمر الأمير محمد بانشاء المراكب فى قرطبه بعد أن صرح بامكانية النجاح فى الحملة ليتوجه بها الى البحر المحيط • فلما كملت المراكب توجهت للغزو فما لبثت أن تفرقت وتقطعت ولم يتجمع بعضها الى بعض ونجا القائد بروحه • وكان ذلك نتيجة طبيعية ومنطقية لعدم وجود تجربة سابقة للعرب فى الابحار فى البحر المحيط • (١)

النشاط البحرى التجارى ومراكزه :

كان الشاطىء الشرقى للأندلس مركزا للنشاط البحرى للأندلسيين خلال مراحل التاريخ الأندلسى ومنذ البداية كثر ابحارهم فيه وبالتالى عظمت معرفتهم له هذا ما يفسر تعدد نجاحهم فيه حيث استطاع بعضهم الابحار فيه واحتلال جزيرة كريت بعد هيجة الربض كما نجح البعض الآخر بمساعدة الاغالبة فى فتح صقلية أما فترة الازدهار فى الأندلس فقد كانت علاقاتها التجارية البحرية مقتصرة على العلاقات مع العالم الاسلامى وكانت هناك حركات غزو

(١) بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس ص ١٤٩ ـ ١٥٢ •

لهذه الشواطىء غير الاسلامية مثل جزر كورسيكا وساردينيا والشواطىء الايطالية الغربية بكاملها • فلم تكن السفن تسير فى عرض البحر بل كانت تسير بحـــذاء السواحل لذلك كان عليها أن تسير بحذاء شاطىء شمال افريقيا فهذا أدى الى اقتصار ازدهار الفعاليات البحرية الأندلسية على جزء من الشاطىء الشرقـــى للأندلس هو القسم الممتد من قرطاجنه cartagena شمالا الى الجزيـــرة الخضراء جنوبا فهذا القسم يؤلف الطرف الشمالى من قوس برى حول البحر يتكون طرفه الجنوبى من شاطىء شمالى افريقيا الممتد من سبته غربا الى بجاية شرقـــا اشتهرت فى هذه المنطقة من الساحل الشرقى بعض الموانىء بدور الصناعة مثـل دانيه حاليا " فالسفن واردة اليها صادرة عنها ومنها كان يخرج الأسطول الى الغزو وبها ينشأ أكثره لأنها دار انشاء " وأيضا لقنت Alicante حاليا وكانت على الرغم من صغرها تنشأ بها المراكب السفرية والحراريق " ثم أقامـــت فى بعض المدن والمراكز كمريه بجانه جماعات سميت بالبحريين كانت مهنتهـــا التجارة ومهاجمة السواحل الأوروبية فسموها الغزو لأنه يقع على أراضى غـــير اسلامية منطلقين من مراكز فى المغرب الأدنى لقربها من شواطىء ايطاليا وجزيرتى كورسيكا وساردينيا لأنه بداية الطريق لشواطىء الحوض الغربى للبحر الأبيض المتوسط وقد أشتهر مركز بونه أكثر من غيره كنقطة انطلاق لمثل هذه الغزوات فمنها كانت تخرج الشوانى غازية الى بلاد الروم وجزيرتى ساردينيا وكورسيكا وفيها تنشأ السفن والمراكـــب البحرية التى يغزى بها الى بلاد الروم والى هذه المدينة يقصد الغزاه من كـل أفق لأن مقطعها يقترب من جزيرة سردانيه بينهما نحو مجريين (١) •

---

(١) بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس ص ١٥٢ ، ١٥٣ وأنظر : ابن عذارى : ج ٢ ص ١٠٣ ، ١٠٤ •

الفصل الرابع

الاحوال الاقتصادية للاندلس فى عهد الامير عبد الرحمن الاوسط:

- التوسع التجارى مع المغرب .
- قيام دار الضرب الاندلسيه واصدار النقود .

الاحوال الاقتصادية للاندلس في عهد الاوسط :

ان الامراء الأمويين قد عملوا على ادخال بعض الثمار والبذور الى الاندلس من المشرق فكان الامير عبد الرحمن الداخل قد نقل الى منية الرصافة التي بناها في شمال قرطبه الغرسات وأكارم الشجر الغريبة والمختلفة من كل ناحية من الحبوب الغريبة التي اختيرت واستجلبت من الشام وغيرها فغرست في الاندلس وبفضل العناية والجهد تمت واصبحت اشجارا عظيمة مثمره اثمرت بغرائب الفواكه التي انتشرت بعد مده قليلة من استجلابها الى الاندلس ولعل انتشار الرمان السفرى في الاندلس هو مثال على كيفية انتشار هذه النباتات فيها لان اصل هذا الرمان يرجع الى رصافة الشام فحمل منه للامير عبد الرحمن الداخل لزرعة في منية رصافة الاندلس فأخذ منه احد القواد المدعو سفر بن عبيد الكلابي وزرعه بقرية في كورة ريه ٠ وبالغ في الاهتمام به حتى نسب اليه وقد تقدمت الناحية الزراعية تقدما ملموسا حتى عهد الامير عبد الرحمن الاوسط في الاندلس و كذلك يتضح اثر الفتح العربي الاسلامي والدولة الاموية في التقدم الزراعي حتى تلك الفترة فيظهر لدينا قيام نشاط تجاري واسع النطاق لم تعرفة الاندلس قبلا فازدادات الثروة وتضاعفت واردتها في زمن الامير عبد الرحمن الثاني دون فرض ضرائب جديدة وبما أن الزراعة في تلك الايام كانت اهم منبع للثروة ونظرا لاستحاله قيام نشاط تجاري واسع في الفترة الاموية دون الاعتماد على زراعة مزدهره لذلك نقول ان الزراعة ازدهرت في الاندلس منذ بداية الحكم الاموي فوصلت الى مرحلة متقدمه اعطت فيها نتائج جيده خلال فترة الاستقرار والازدهار كما انه يستنتج من بعض الاعمال التي قام بها عبد الرحمن الثاني ان الصناعة في بعض الفروع على الاقل كانت

متقدمه الى الحد الذى سمح ان ينشىء دارا خاصة للطراز تصنع فيها ملابس خاصة بكل مرتبة من مراتب اصحاب الخدمه . (١)

أما الطـــراز :

فكلمة الطراز لها معان كثيرة منها الكتابة الرسميه التى كانت تتوج أوراق الدوله او تطرز على الاقمشة التى تحتكرها الحكومة ، وقد كشفت الابحاث التاريخيه عن وجود نوعين من دور الطراز : طراز العامه : والمقصود بها المصانع الاهلية للنسيج وقد كانت تشرف عليها الحكومة اشرافا دقيقا . وطراز الخاصة : وكان ملحقا بقصر السلطان وعلى رأسه يشرف موظف كبير ويختص عادة بنسيج مايحتاجه السلطان وحاشيته . ومن المعروف ان صناعة النسيج كانت تحتكرها الحكومة . (٢) واذا بحثنا عن النسيج وجدنا ان اشبيليه عرفت بنسيج القطن حتى انها اشتهرت بصناعة نوع من الاقمشة يحول دون ان يبلل الانسان بالمطر وقت سقوطه Water Proof وانه كان فيها طراز ينسج فيه اسم السلطان وان المريه كان فيها ايام المرابطين من طراز الحرير ثمانمائه طراز . والواقع أن هذه المؤسسات التى كانت منتشرة فى طول البلاد وعرضها قد ساهمت فى تقدم صناعة النسيج فى العالم الاسلامى مساهمة كبيرة .

والمقصود بهذه الدور هو المناسج الحكومية التى كانت تؤسسها الدولـه

---

(١) بدر . دراسات فى تاريخ الاندلس . ص ١٤٨ / ١٤٩ انظر نفح الطيب ج ٢ ص ١٤ / ١٥ .

(٢) د . محمد عبد العزيز مرزوق . الفنون الزخرفيه الاسلاميه فى المغرب والاندلس ص ١٢٢ .

أو تشرف عليها لكى ينسج فيها ماتحتاج اليه من اقمشه وما يحتاج اليه السلطان وحاشيته ٠

وقليلا مانجد ان المادة التاريخيه التى تلقى الضوء على هذه المؤسسات الحكومية انها قد جمعت او أنها موجوده بسهوله بل اننا نجدها متناثرة ومن عصور مختلفة تكاد تكون مختصه بمصر دون غيرها من بلاد العالم الاسلامى كما يرجح الدكتور مرزوق ان هذه الصوره هى بعينها التى كانت فى البلاد الاسلاميه الاخرى وان من اهم جوانب هذه الصوره ان الطراز باعتباره مؤسسة حكومية للنسيج كان يصنع فيه كل ماتحتاج اليه الدوله من خلع واعلام واقمشة للهدايا وكسوه للكعبه وقد كان يشرف على هذه المؤسسة موظف كبير من رجال الدوله يسمى ناظر الطراز او صاحب الطراز ، كان من اهم واجباته مراعاة جودة النسيج والتأكد من وجود اسم الخليفة على ماتخرجه دور الطراز ٠ (١)

وقد دخلت دور الطراز الى الاندلس مع عبد الرحمن الداخل كما يقول ابن عذارى فى البيان المغرب ، كما يذكر ان عبد الرحمن الناصر قد عين مملوكه " خلت " ناظرا على الطراز ٠ وقد استمرت دور الطراز قائمه فى الاندلس الى مابعد الدوله الامويه اى أيام الدولة العامريه وقد ذكر الدكتور مرزوق مدينة واحده من مدن الاندلس هى المريه ومدى ماكانت لها من عناية بهذه الصناعة ، والتى كان بها عدد كبير من دور الطراز بلغ ثمانمائه حيث لم يقف انتاجها عند حد نسيج الانواع المحليه من الاقمشة بل كانت تنتج انواعا كثيره من الاقمشه الاجنبيه التى ذاعت شهرتها فى العالم الاسلامى فى العصور الوسطى مثل الاصبهانى والجرجانى وكلا هما من المنسوجات التى

---

(١) د ٠ مرزوق ٠ المرجع السابق ص ١٢٣ ٠

اشتهرت بها مدينة اصبهان والسقلاطون وهو نوع من المنسوجات الحريريه التى اشتهرت بها فى الاصل بلاد اليونان ومنها انتقل الى البلاد الاسلاميه فكان فى مصر فى العصر الفاطمى وفى العراق فى العصر العباسى . وكذلك

الديباج وهو نوع من الاقمشه الحريريه التى كانت معروفة فى الشرق قبل الاسلام . (١)

ثم استمر نسجه بعد ظهور الاسلام . وكان يصنع من الحرير وفى نسجه تدخل خيوط الذهب او الفضه وقد اشتهرت المريه بصنع الكثير من الحلل والستور وغيرها . كذلك بالعتابى المستمد فى الاصل من حى العتابيه ببغداد فحذقه الاندلسيون حتى اشتهرت به المريه . (٢) وقد اثر فى هذا الفن بالاندلس الصناعات المشرقيه بابتداعاتها الرائعه تأثيرا كبيرا بحيث جعلت من اسبانيا لسانها الناطق باسمها فى اوروبا .

وكانت الاتجاهات البارزه لهذا الفن فى مختلف انواعه من صناعة الاقمشه ذات الزخرفه المنسوجه الى الحلل البغداديه وصناعة الاقمشه المخططه والملونه الى فرع آخر هو الموشى فى طرف النسيج ولا يكاد يفوته تطريز .

أما الاقمشة ذات الزخرفه المنسوجه فهى تتسم بنفس الخصائص من حيث

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٤ .
(٢) المرجع السابق ص ١٢٤ / ١٢٥ .

المتانه فى طريقة صناعتها وان كانت تفوق غيرها من مختلف الانسجه فى التلوين والمقاومة بفضل استخدام الحرير بدلا من الصوف مع دقة العمل الفنى ٠ وقد بلغ النشاط الخاص بهذه الصناعة اوجه الفنى على عهد الخلافه القرطبيه فى مصنع البلاط الذى زوده عبدالرحمن الاوسط بعناصر مشرقيه ٠ (١)

التوسع التجارى مع المغرب :

العلاقات الخارجيه لدولة الاماره فى فترة الازدهار :

ان الاستقرار الداخلى فى هذه الفترة كانت من نتائجه ان توفرت للدوله بعض الجهود التى يمكن توجيهها نحو الخارج ، فكان النشاط التجارى قد ساهم فى زيادة معرفتها بشئون العالم المحيط بها واوضاعه هذا من جهة ومن جهه اخرى فقد ساعد فى نفس الوقت بتعريف العالم بها لذلك نجد علاقات الامراء الامويين لم تعد مقتصره على تلك النواحى التى كانت لهم مع مسيحى الشمال بل اتسع ميدان اتصالاتهم ليشمل شمال افريقيا حيث بسط امراء الاندلس نفوذهم على بعض دول المغرب ، ثم اتصالاتهم الولى الوديه ببيزنطه ثم اتصالاتهم ايضا الوديه مع النورمان (الدنمارك الحاليه) ٠

أما دول شمال افريقيا المعاصره للامارة الامويه فى الاندلس فهى :

١ ــ دولة الادارسه فى مراكش (١٧٢ هـ ــ ٣٧٥هـ) ــ (٧٨٨ ــ ٩٨٥م) :

فى عهد الخليفة العباسى الهادى عام ١٦٩هـ/ ٧٨٥م) وقعت موقعه فخ عند مكه وقتل فيها الحسين سليل الحسين بن على بن ابى طالب وهو الثائر على الدوله العباسيه ٠ فكانت لهذه الموقعه نتائج بعيده الاثر فى العالم

(١) مانويل جوميث مورينو ٠ الفن الاسلامى فى اسبانيا ص ٤١١ ٠ انظر الصور فى نفس المرجع فى الصفحات التالية ٤١٢ ، ٤١٣ ٠ كذلك تجد مئزر هشام بن الحكم الذى اشار اليها كل من مورينو ومرزوق ٠

الاسلامى بوجه عام وتاريخ العلويين بشكل خاص · حيث هرب ابناء عم الثائر بعدها وهم يحيى بن عبدالله الى بلاد الديلم · وادريس بن عبدالله الذى وصل بعد ثلاث سنوات الى المغرب الاقصى فلجأ لشيخ احدى قبائل البرانس البربريه المنضم لاراء المعتزله ومن المعروف ان البربر كانوا دائما مستعدين لنصره اى ثائر على السلطة العباسيه فاسرعت قبائل اخرى عدا مكناسه تنتمى الى زناته ووزاعه للانضواء تحت رايه ادريس الثائر · وبذلك اسس دولة الادارسه هناك من سنة ١٧٢ هـ الى ٣٧٥هـ · اى لمدى قرنين من الزمان ظلت تحكم تلك المناطق فى مراكش · (١)

٢ـ دولة الاغالبه فى افريقيا (تونس) فاتحى صقليه (١٨٤هـ ـ ٢٩٦هـ) ٨٠٠ـ ٩٠٩م :

وبعد نشوء دولة الادارسه بقليل نشأت الى جوارها دولة اخرى فى ولاية افريقيا (تونس الحاليه) فكانت بها اضطرابات دائمة فطلب عامل الزاب ابراهيم بن الاغلب من هارون الرشيد ان يوليه على افريقيا متعهدا بالتنازل عن المائه الف دينار التى كانت تدفع من مصر الى افريقيا · كما عرض ان يبعث فى كل سنة باربعين الف دينار للخليفة فقبل الرشيد به ولان الاموال التى سوف تصله سوف تحقق له ربحا ماديا يكفيه موئنه تجهيز الجيوش لاخماد ثورات هذه الديار وفى نفس الوقت تنشأ دولة شبه مستقله تكون حاجزا بين املاكه واملاك الادارسه لتصرفهم اذا املحا ولو التوسع وبذلك تأسست دولة بنى الاغلب عام ١٨٤هـ وعاشت قرنا واكثر تعاقب على عرشها احد عشر اميرا اولهم ابراهيم الاغلب وآخرهم زيادة الله الثالث الذى ازال الفاطميون حكمه · ومن احداث حكمهم توسعهم البحرى فى صقليه وايطاليا الجنوبيه وترصدهم لحركات الادارسه فى المغرب ·

---

(١) بدر ـ دراسات فى تاريخ الاندلس ص ٢٠٧ / ٢٠٨

والى جانب هاتين الدولتين الكبيرتين فى المغرب قامت فى المنطقة الفاصله بينهما او بين احداهما والاندلس عدة دويلات صغيره انشأتها بعض شخصيات الفاتحين الاول او من الخوارج الاباضيه والصفريه بعد ان تحطمت ثوراتهم فى المشرق خلال الفترة الاخيره من العصر الاموى . (١)

٣ــ الدوله الصالحيه منذ أو بعد الفتح حتى ٤١٠ هـ/١٠١٩م :ــ

أسسها صالح بن منصور الحميرى فى جزء من منطقة الريف لمراكش الحاليه وقد وصل منذ ايام الفتح فى عهد الوليد بن عبدالملك واطاعته قبائلها من صنهاجه وغماره بعد ان دخلت فى الاسلام بمساعيه وفى عهد حفيد المؤسس سعيد بن ادريس بن صالح تأسست مدينة ناكور عاصمه الدوله وتبعد خمسة اميال عن مرساها المقابل لمدينة مالقه الاندلسيه. (٢)

٤ــ دولة برغواطـة :

هى دولة قديمه اسست فى اوائل الربع الثانى من القرن الثانى الهجرى وكان ذلك عندما هزم ميسره منزل احد اتباعه المنهزمين واسمه طريف من ولد شمعون بن يعقوب بن اسحق بمنطقة تامسنا وتعنى ببهلجه زناته البسيط الخالى فتشمل هذه المنطقة الاراضى الممتده على ساحل المحيط الاطلسى من الرباط الى ماوراء الدار البيضاء حتى مصب وادى ام الربيع . فاستطاع طريف استماله اهل المنطقة بتظاهره بالزهد والتقشف واستهواهم بمهارته فى الحيل والسحر فقدموه عليهم فاصبحت شاله (هى من ضواحى الرباط حاليا)

---

(١) بدر . دراسات فى تاريخ الاندلس ص ٢٠٩

(٢) نفس المرجع ص ٢١٠ .

عاصمة لهم . اما اصل طريف فيقال انه بربرى من مصموده وآخرون يقولون انه يهودى اندلسى من وادى برباط ، ويقولون ان اسم برغواطه ماهو الا تحريف لبرباطى نسبة الى بلده فتناوب ابناؤه من بعده على الحكم الى أن استأصل المرابطون شأفتهم فى اواسط القرن الخامس الهجرى . (١)

٥ـ الدولة المدرارية فى سجلماسة (١٤٠ـ٣٤٧) ـ ٧٥٧ ـ ٩٥٨م :

تقع سجلماسه (تافيلالت حاليا) على حافة الصحراء المتاخمه للمغرب فلم يكن فى غربيها وقبليها معموره ولكنها تقع بجوار منبع نهر يفترق عندها الى نهرين . (٢) ماجعل توفر المياه فيها الامر الذى جعلها سوقا ومحطة للقوافل التجاريه ، حيث نزلت فيها جماعات من الخوارج الصفريه من مكناسه وبايعت لابن يزيد أو (مزيد) الاسود وكان غنيا يملك ماشيه كثيره يمد بها المراعى ببلاد القبله . وفى حوالى سنة ١٤٠ هـ/٧٥٧م . اختط عيسى مدينة سجلماسه وبعد ذلك استقر الحكم بيد الاسره المدراريه واول امير فيها هو أبو القاسم سمعون المكناسى البربرى الاصل الاندلسى المولد . كان حدادا من جاليه ربض قرطبه ولقب بالمدرار واصبح لقبه اسما للدوله التى توارثها ابناؤه واحفاده . والمهم فى هذه الدولة انها تطورت تطورا اقتصاديا فكانت اول الطريق الى بلاد السودان وغانه . ولذا اصبحت محطة للقوافل ومركزا للتبادل التجارى بين سائر بلاد المغرب والاندلس من جهه وبلاد غانه من جهة ثانيه . وفى سجلماسه تتم مبادلة الملح الذى تغلو أسعاره فى بلاد السودان وقطن الاندلس بالذهب . ولذلك ارتقت الاعمال التجاريه فى سجلماسه

---

(١) بدر ـ دراسات فى تاريخ المسلمين فى الاندلس ص ٢١٠.
(٢) نفس المرجع ص ٢١١/٢١٢ .

الى درجة ان اصبح التعامل بالصكوك لكميات كبيرة من الاموال شيئا شائعا ومعروفا . هذا بالاضافة الى ان دولة المدراريين سيطرت على مدينة درعة الغنيه بالحديد فتأخذ منه الخمس فاصبحت جباية هذه الدولة فى اوائل القرن الرابع الهجرى (٤٠٠,٠٠٠) اربعمائه الف دينار . وهذه الدولة معروفه بانها خارجيه صفريه حيث قاتل امراؤها فى سبيل مذهبهم حتى جاء الفاطميون اواخر القرن الثالث الهجرى فأبقوا بعض امرائها فى الحكم كدعاة لشيعه الفاطميين . لكن احد المالكيين من اسرة حكم سجلماسة انتزع الحكم منهم وتسمى بالخلافة وامير المؤمنين ولقب نفسه بالشاكر لله . هاجمه جيش فاطمى وقضى على الدوله عام ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م . (١)

٦ـ الدولة الرستمية (١٦١ ـ ٢٩٦هـ) ٧٧٨ ـ ٩٠٨م :

هى الدولة الخارجيه الثانيه فى المنطقة ومؤسسها عبد الرحمن بن رستم ابن بهرام كان مولى للخليفة الراشد عثمان بن عفان اذ يرجع نسب ابناء هذه العائله بعده الى ملوك الفرس . أما عبد الرحمن فكان من رجال احد الخوارج الكبار الذين مدوا سلطانهم من طرابلس حتى القيروان وعندما قتل الزعيم الخارجى فى موقعة له مع والى الخليفة العباسى المنصور فى سنة ١٤٤ هـ ٧٦١م هرب عبد الرحمن بأهله وماخف من ماله من القيروان فنزل من جماعته من الاباضية فى موقع تاهرت فى المغرب الاوسط حيث بنوا هناك وأسسوا لهم مدينة وسكنوها واصبحت لهم دولة خارجيه فخوارجها كانوا من الصفريه والاباضية ، وانضمت تحت لوائها جماعات المعتزله الذين تسموا باسم الواصلية نسبة لواصل بن عطار

---

(١) بدر ـ دراسات فى تاريخ الاسلام فى الاندلس ص ٢١١ الى ٢١٣ انظر ابن حوقل صورة الارض ص ٩٦/ ٩٧ .

المعتزلى الشهير فكان تجمعهم على مقربة من تاهرت • ويقال ان التقارب السياسى كان يرافقه تقارب فكرى فى بعض النقاط بين المعتزله والاباضيه فى الشمـــــال الافريقى فتعاقب ابناؤه واحفاده على الحكم من بعده على الاماره حتى عـــام ٢٩٦هـ/٩٠٨م • حيث قضى عليها الشيعه الفاطميون • وقد توثقت العلاقــة بين هذه الدوله وبين المدراريه الخارجيه الصفريه فارتبطت العائلتان بربـــاط المصاهره ولكن بمرور الوقت واتساع رقعتها وقوتها بدت وكأنها ذات سيــادة على دولة المدرارين فكانت شبه تابعه لها • (١)

العلاقة بين الامارة الامويه فى الاندلس وبين دول شمال افريقيا :

ان علاقة دول شمال افريقيا يمكن ان نقسمها الى قسمين فى علاقاتهـــا بدولة الامويين فى الاندلس فالقسم الاول يتكون من الدولتين الكبرى الاغالبـــه فى المغرب الادنى والادارسه فى المغرب الاقصى اما علاقة الامويين بهما فقـــد اتسمت بالتجاهل الممزوج بالحذر والخشية من توسعهما . هذا على الرغم مـــن مساعدة مراكب اندلسيه الاغالبه فى عمليات فتح صقليه فهى تابعة لجماعـــات البحريين الاندلسيين الذين يقومون بالغزو فى حوض المتوسط الغربى فلم تكـــن الامارة الامويه لها عليهم اية سلطة • ويقال ان السبب فى قيام مثل هذه العلاقـة بين الامويين والاغالبه هو ان الاغالبه على الرغم من انهم مرتبطون بالوراثـــه بالدولة العباسيه بكثير من الروابط ودفع مبلغ معين من المال سنويا الـــى العباسيين كما يطلب من الخليفة العباسى الموافقة فى ارتقاء امير جديد منهـــم مثلا بالاضافة الى تكييف سياسة الاغالبه وفق السياسة العباسيه • لذلك نجـــد

---

(١) المرجع السابق • ص ٢١٣/٢١٤ •

الامراء الامويين يتجهون فى سياستهم نحو الاغالبه اتجاه الحذر والخشية ٠
أما بالنسبة لدولة الادارسه فلم تقم بينها وبين الامويين فى الاندلس أية اصطدامات حتى هذه الفترة من تاريخهم فى الاندلس على الرغم من تجاورهما وتوفر فرص الاحتكاك بينهما والعداوه التقليديه بين اسرتيهما وكان مرد ذلك انهما تخشيان عدوا واحدا يتمثل فى العباسيين الذين يسعون ضد هاتين الدولتين دائما ففى الاندلس قامت الفتن عدة مرات تحت ظل الراية السوداء ٠ أى راية العباسيين وفى المغرب الاقصى قتل المولى راشد مدبر دولة الادارسة فى عهد انشائها وذلك بمؤامرة من الاغالبه احلاف العباسيين فأعتبروا الحادث كشاهد على اخلاصهم لاسيادهم ٠

أما القسم الثانى من دول الشمال الافريقى فيتألف من الدول الصغرى التى كانت جميعها صديقة للامويين رغم انها كانت تدين بمذاهب مخالفة للسنه السائده فى الاندلس باستثناء الدولة الصالحيه لكن المصلحة السياسية المشتركه بين كل واحده من هذه الدول ودولة الامراء الامويين كانت هى الرائدة ٠ وكانت على رأس هذه الدول فى علاقاتها بالامويين الدولة الصالحيه فى ناكورة التى تخشى كدوله صغيره الادارسه المحيطين بها ٠ وكانت هذه الدويلة ايضا قريبه من شواطئ الامويين فمن الخطر على الامويين ان يحتلها اعداؤهم الادارسه فيستغلونها كنقطة انطلاق ضدهم لذلك نجد علاقتهم بالامويين ظلت ثابته ٠ (١)

أما دولة برغواطه فى كانت فترة الازدهار للامارة الامويه فى الاندلس فى حرب مع الادارسه المحيطين باراضيها لذلك كان من مصلحتها الاعتماد

---

(١) ابن عذارى ٠ البيان المغرب جـ ١ ص ١٧٦ ، ١٧٧ ٠

على الامويين وكل حاكم لها يوصى ولى عهده قبل وفاته بموالاة الامويين فى الاندلس فلم يمانع الامويين على الرغم ممايظهر فى هذه التبعية ان برغواطة فيها مايشوبها ويبعدها عن الدين الاسلامى الا انهم كانوا يخشون توسع دولة الادارسة وفى المغرب الاوسط حيث الرستميون اصحاب اكبر دولة خارجيه فى المغرب وجدوا أن دولتهم محاطة بدولتين كبيرتين هما الاغالبه من الشرق والادارسه من الغرب فلم يجدوا السلامه فى الاعتماد على الامراء الامويين الذين كانوا على غير وفاق مع الدولتين . ظهرت بداية التقارب فى أول سنه اعتلى فيها الامير عبد الرحمن عرش الاماره فى الاندلس حيث ارسل الرستمى أولاده الى الامير عبد الرحمن لتهنئته وتجديد روابط الولاء التى كانت تربط بين الاسرتين الامويه والرستميه فاستمرت علاقات الود بين هؤلاء وبعد موت عبد الرحمن الثانى وارتقاء الامير محمد عرش الاماره . نجد مظاهر الصداقة القريبه من التبعيه متجليه فى لتهنئتهبالانتصارات وتبادل الهدايا وتصدير المنتجات الزراعية من الدوله الرستميه الى قرطبه بالاضافة الى ارسال الجيوش المرتزقه من البربر لجيوش امراء قرطبة . وهجرة بعض افراد الاسرة المالكه الرستميه الى قرطبة لتولى مناصب رفيعه هناك . وبما أن دولة المدراريين كانت تابعة للرستميين فقد فكانت علاقتها بالامويين شبيهه بعلاقات الرستميين بالامويين .(١)

المعاملات التجارية مع شواطىء المغرب :

كان الاندلسيون يحملون الى البلاد الافريقيه منتجاتهم الصناعية الراقية التى يحتاجها اهل المغرب بالاضافة الى منتجاتهم الزراعية التى لاتوجد بالمغرب هذا بالاضافة الى ماياتيهم أوماياتى الاندلس عن طريق

---

(١) بدر ـ المرجع السابق ص ٢١٤ الى ٢١٦ .
ابن عذارى : البيان المغرب ص ١٧٦ / ١٧٧ .

المشرق فيرسل الى المغرب وفى الاسواق المغربية مثل بضاعة العبيد البيض (الصقالبه) الذين منهم الخصيان ممن جلب الى الاندلس . (١)

أما أهم الاشياء التى كانت تأتى من المغرب الى الاندلس فهى : الحبوب وبعض منتوجات زراعية اخرى اشتهرت بها المغرب كفستق قفصه بالاضافة الى العبيد السود يؤتى بهم الى الاندلس والى سائر ديار الاسلام عن طريق المغرب اذا كانت سوق تجمعهم زويلة فى اقصى جنوب ليبيا . (٢)

وبذلك كانت حركة النقل التجارى ناشطة جدا بين الاندلس وشواطىء المغرب وعلى الاخص شواطىء المغرب الاوسط والاقصى تبدأ من بجاية حتى سبته لانها مقابلة للمراسى الاندلسية . (٣) وكانت اعداد الاندلسيين الاتية : الى المراسى الافريقيه كبيره فيندر ان يذكر الجغرافيون العرب مرسىً من مراسى المنطقة التى اشرنا اليها من الشاطىء المغربى دون أن يذكروا وجود الاندلسيين فيه . وكانوا موجودين فى اوقات موقته احيانا وهى التى يقصدون فيها الاسواق الموسميه فى بعض المناطق مثل اصيله فكانت تقام هناك سوق جامعة ثلاث مرات فى السنه فى العيدين وعاشوراء وفى كثير من الاحيان كان بعض الاندلسيين يقيم اقامة دائمة مختلطا بالسكان فى المدن احيانا او يساهم مع السكان الاخرين احيانا اخرى فى بناء مراكز جديدة . فى حين كان يعيش الاندلسيون فى مدن يلتمسون الحمايه من بعض هؤلاء السكان مقابل حصه معينه من الارباح او كميه من المال . فمثلا فى مليله كانوا يقترعون على من يدخل عندهم من التجار فمن اصابته قرعه الرجل منهم كان

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٣ .

(٢) ابن حوقل صورة الارض ص ١٠٦ .

(٣) بدر ـ المرجع السابق ص ١٥٤ .

تجره على يديه ولايصنع شيء الا تحت نظره واشرافه فيحميه عمن يريد ظلمه ويأخذ منه الاجر على ذلك . وكثيرا ماتقوم الجاليات التجاريه الاندلسيه ببناء مدن جديده وحدها حينا وبالاشتراك مع غيرها حينا آخر . فأصيله كانت فى الاصل رباطا اقيم فيه السوق فاشتهرت فى الاندلس وغيرها وبعد أن كان الاندلسيون يأتون اليها موقتا الى ان ينتهى السوق لم يلبثوا مع غيرهم ان خيموا فيها ثم بنوا شيئا فشيئا الى ان عمرت وأقاموا فيها اقامة دائمة . كما بنى الاندلسيون مدنا خاصة بهم فى مدن المغرب الاوسط حيث كانت سفن البحريين تشتى فى بعض الاماكن من هذه الشواطىء ثم بعد ذلك تنتقل فى الصيف الى الاندلس الى ان بنوا حصونا امام المراسى فأقام بعضهم أقامة دائمة مثل مدينة تنس الحديثة (بين وهران والجزائر) التى اقامتها جماعة من البحريين الاندلسيين من اهل البيره وتدمير عام ٢٦٢هـ / ٨٢١ ــ ٨٢٢م . ويظهر من اسمائهم ان قسما منهم كانوا مسلمين وآخرين ليسوا كذلك . ورغبة من هؤلاء فى توسيع مدينتهم وربما طلبا للسلامه والحمايه منهم وبهم فسمحوا لمن جاورهم بأن يأتوا اليهم حيث شاركوهم فى منازلهم واموالهم .(١)

---

(١) المرجع السابق . من ص ١٥٤ / ١٥٥ .

قيام دار الضرب الاندلسية واصدار الدراهم والفلوس :

فمن الاحوال الاقتصادية للاندلس قيام دار الضرب الاندلسيه وقبـــــل التحدث عنها أود أن ألقى نظرة سريعه على النقود العربيه بصفة عامه منـــــذ البدايه فى العالم الاسلامى الى عهد الامير عبد الرحمن الاوسط فى الاندلـس لان الدور الذى تلعبه النقود فى مضمار النشاط البشرى هو عصب الحيـــــاة فيها فالاساس الذى تلعبه النقود لم يتغير منذ اختراعها حتى الان فـــى الوقت الذى لجأ الناس الى استعمالها وحده للحساب ووسيطا للمبادلـــة و أداة لاختزان القوة الشرائيه ، وقاعدة للقيم المستقبله . هذا من جهـــــة ومن جهة اخرى فان النقود وثائق هامه يمكن الاعتماد عليها فى استنبــــاط الحقائق التاريخيه ، سواء مايتعلق منها بالاسماء او بالعبارات الدينيـــة المنقوشه فهى سجل للالقاب ، والنعوت التى تلقى الضوء على كثير مــــن الاحداث السياسيه والتى تثبت او تنفى تبعية الولاة او السلاطين والبلاد للخلافة او للحكومات المركزيه فى التاريخ الاسلامى . (١)

ومن اجل ذلك فقد اصبحت النقود العربية الوثائق الرسميه الصحيحـــه التى لا يسهل الطعن فى قيمتها وبالاضافة الى ذلك فهى تعتبر مستندات الوحده السياسيه والاقتصادية فى العالم العربى والاسلامى ، منذ ان كانت دمشـــق وبغداد والقاهره مركز الاشعاع الاقتصادى ففى سوريا تم على يدى الخليفــــة الاموى عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ) تم تأميم دور السك وتعريب النقـــود التى تتداولها جميع الشعوب الاسلاميه ، وبذلك استقلت النقود العربيـــة

---

(١) د . عبد الرحمن فهمى النقود العربية ماضيها وحاضرها ص ٤ / ٥ .

استقلالا ذاتيا عن غيرها حيث لم تعد تدور فى فلك النقود البيزنطيه أوالفارسيه اوترتبط باسمارها واوزانها • هذا بالاضافة الى أن مصر والطرق التى حملت مشعل الاصلاح النقدى الذى اضاءته العاصمه الامويه دمشق فأسهمت القاهره وبغداد فى ضرب النقود العربية ونشرها خلال العمليات التجاريـة فى الخليج العربى وحوض البحر المتوسط كما تهتم الشريعة الاسلاميه بالنقود فى ميدان العبادات والمعاملات وذلك لاتصال النقود بالزكاة والصداق والوقف والعقوبات والديه وغيرها •[1] ونود ان نلقى نظره على بعض الالفاظ المتضمنه للنقود مثل : السكه •

وقد شرحها الدكتور عبدالرحمن فهمى بقوله : " يعبير لفظ " السكـه " عن معان متعدده تدور كلها حول النقود التى تعاملت بها الشعوب العربيه من دنانير ذهبيه ودراهم فضيه وفلوس نحاسيه فيقصد به حينا تلك النقوش التى تزين بها هذه النقود على اختلاف أنواعها واحيانا اخرى يعنى قوالب السك التى يختم بها على العمله المتداوله • كما يطلق ايضا على الوظيفة التى تقوم على سك العمله تحت اشراف الدولة غير أن المعنى الشائع هو اطلاق كلمة " السكه " على النقود العربية التى تضرب فى دور السك والتى اصبحت وسيلة التعامل الرئيسية فى العصور الوسطى بين مختلف شعوب العالم •[2]

أما الدينـار : Denarius - Aureus.

فهو لفظ مشتق من اللفظ اليونانى اللاتينى

وهو اسم وحدة من وحدات السكه الذهبيه عند العرب ،فعرفها العرب وتعاملوا بها قبل الاسلام وبعده • وقد اشار اليها القرآن الكريم فى سورة آل عمران آية ٧٥ • (ومن اهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من إن تأمنه

---

(١) د • فهمى • المرجع السابق ٥/٦ •

(٢) د • فهمى • المرجع السابق ٧/٨ • (معنى السكه هى الختم على النقود بالطبع من حديد ينقش فيه اسم الخليفه •

بدينار لا يؤده اليك) • على ان الاصلاح النقدى الاول الذى قام به الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان سنة ٧٤هـ لم يمس عيار هذه السكه الذهبيه وانما عمل على ضبط وزنها عن طريق صنج زجاجيه لاتتحول الى زيادة أو نقصان • وأقدم الدنانير العربية التى تحمل صورة عبد الملك بن مروان مؤرخة سنة ٧٤ هـ ، ودنانير اخرى مشابهه ضربت فى سنة ٧٦ هـ سنة ٧٧ هـ وفى هذه السنه الاخيره تم تعريب الدينار الاسلامى فاختفت الصور من نقوشه وظهرت عليه العبارات التى تشير الى شهادة التوحيد والرسالة المحمديه وتاريخ الضرب ، وقد ظلت مضاعفات الدينار وكسوره مستعملة فى جميع البلاد الاسلاميه منذ فجر الاسلام • (١)

الدرهم :

هو وحدة من وحدات السكه الاسلاميه الفضية وقد اشتق اسمه من الدراخمة اليونانيه • أما استعماله فى المعاملات فقد استعاره العرب من الفرس حيث كانت الاقاليم الشرقية من العالم الاسلامى تتعامل بالدراهم ، والتى كانت تتبع قاعدة الفضه باعتبار الدرهم الفضه هو نقدها الرئيسى وكان للدرهم العربى مضاعفات كما كانت له اجزاء لتسهيل العمليات التجاريه • (٢)

الفلس :

لاتعنى كلمه فلس دائما عمله نحاسيه وذلك على الرغم من أن استعمالها الشائع منذ فجر الاسلام هو فى هذا الغرض الضيق • ولفظ الفلس مأخوذ من اليونانيه كما ذكر الدكتور فهمى ، وقد استعار العرب تلك السكه

---

(١) د • فهمى • المرجع السابق ص ٩/٨ •
(٢) د • فهمى • المرجع السابق ص ١٠ •

عن البيزنطيين وكانت تسمى Follis ولكن العرب لم يتقيدوا بـوزن هذا النوع من السكه البيزنطيه لان هذا الوزن كان عند الفتح العربي لسوريه ومصر في غايه الاضطراب فضربوا فلوسا عربيه فاختلفت وزانها وقيمتها باختلاف الاقاليم التى ضربت فيها . والاصل في ضرب هذا النوع من النقود النحاسيه ان تكون عملة تساعد على اجراء العمليات التجاريه البسيطه ، ولكن مع ذلك اهتم العرب بنقوشها واوزانها حيث صنعوا لضبط هذه الاوزان وتحديدها صنجا زجاجيه خاصه مقدرة بالقراريط والخراريب . (1)

واذا تحدثنا عن فجر النقود العربية نجد انه لم يكن للعرب قبل الاسلام نقود خاصه بهم فكانت المعاملات التجارية تجلب من الخارج بكل النقود المتداولة في شبه الجزيرة العربية ومن المعروف ان القرشيين كانت لهم رحلتان تجاريتان رئيسيتان اشار اليهما القرآن الكريم . وهما رحلة الصيف الى سوريا ورحله الشتاء الى اليمن فكانت ترد الى شبه الجزيرة العربية قطع كثيره من العملات الفضيه من الاقاليم الشرقيه وخاصه ايران والعراق ، بالاضافة الى الدنانير الذهبيه من الشام والحميريه من اليمن ، أما الدراهم الفضية فهي دراهم الفرس الساسانيين . ولما جاء الاسلام أقر الرسول صلى الله عليه وسلم النقود فزوج عليا كرم الله وجهه ابنته فاطمه على (٤٨٠) اربعمائه وثمانين درهما . كما فرض الرسول (ص) زكاة الاموال بهذه النقود السائده حيث جعل في كل خمس اوقيات من الفضه خمسه دراهم . ولما اقر الرسول (ص) هذا النوع من النقود عمل الخليفة ابوبكر بسنته لاستعمال النقود

---

(1) د . فهمى . المرجع السابق ص ١١ .

الجاريه بين المسلمين ولم يغير منها شيئا ، وفى عهد الخليفة عمر بن الخطاب بعد فتحه بلاد الفرس أقر النقود الساسانيه فى ايران والعراق بلغتها وحروفها البهلويه وشاراتها وشعائرها غير الاسلاميه وقد ضرب الخليفة عمر بن الخطاب الدراهم فى سنة ١٨ هـ على نقش الكسرويه وشكلها واعيانها ولكنه زاد عليها عبارة " الحمد لله " وفى بعضها محمد رسول الله وفى البعض الاخر " لا اله الا الله وحده " .

أما فى خلافة عثمان بن عفان فقد ضرب الدراهم ونقش عليها عبارة " الله اكبر " ونجد أن الدرهم العربى على الطراز الساسانى يختص أمام اصلاح الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان للنقود فيصبح درهما اسلاميا عربيا(١) ومن ثم كان ضرب السكه العربية فى حد ذاته ثورة قلبت النظام الاقتصادى العالمى فى صالح العرب ، فأصبح يعتمد اساسا على الدنانير والدراهم الاسلاميه التى وصلت مع التجار العرب الى أقاصى آسيا واوربا فى العصور الوسطى وراجت فى الاسواق العالميه حتى لم يكن يقبل فى التعامل غيرها مما اضطر الكثير من الملوك الى ضرب عملاتهم على طرازها كى تقبلها شعوبهم .(٢) أما التاريخ على الدنانير الاندلسيه العربية اللاتينيه واجزائها فكان يحسب على اساس الاندفتيون كما ذكر الدكتور فهمى عن تاريخ بعض القطع التى سجل عليها الاندفتيون العاشر وهو يعنى سنة ٩٣هـ . والحادى عشر وهو يعنى سنة ٩٤هـ . وبعض القطع الذهبيه العربية اللاتينيه سجل عليها التاريخ الهجرى بالكتابه الكوفيه منذ سنة ٩٨هـ الى جانب دار السك الاندلسيه وفى سنة ١٠٠هـ يمكن القول بان السكه الاندلسيه قد اتجهت الى التعريب

---

(١) د . فهمى . المرجع السابق ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ .
(٢) د . فهمى . موسوعة النقود العربية وعلم النميات ص ٦ .

الكامل شأنها فى ذلك شأن السكه الافريقيه وان كان اول الدنانير الاسبانيه المصريه يرجع الى سنة ١٠٢هـ . (١)

كما يحلل الدكتور فهمى أن هذه القطع العربيه المتفاوته التاريخ تؤكد وجود فجوه فى تاريخ النميات الاسبانيه فيما بين ٩٥هـ ، ٩٨هـ وهى الفترة التى حكم فيها ولاة من اسرة موسى بن نصير . كما توجد فجوه اخرى فيما بين ٩٨هـ حين ضرب آخر دينار عربى على الطراز اللاتينى . وسنة ١٠٢هـ حين ضرب اول دينار على الطراز العربى الخالص ، وبعد عامين أى سنة ١٠٤هـ كان ظهور أول درهم اندلسى معرب واستمر بعد ذلك ضرب السكه العربية فى عصر الولاه بشكل متقطع حتى سنة ١٢٨ هـ . حين نجح عبدالرحمن بن معاوية الاموى فى الفرار من المشرق الى الاندلس ودخولها فى ذى الحجة سنة ١٣٨ هـ (١٤ مايو سنة ٧٥٦م) حيث اسس الدوله الامويه بالاندلس. (٢)

وفى عصر الاماره الامويه كانت النقود تقتصر على العملات الصغيره كالفلوس البرونزيه اما الدنانير الذهبيه فكانت نادره التعامل وتضرب فى الخارج اما فى الشرق او فى شمال افريقيا . وفى بعض الاوقات يتم البيع والشراء على اساس المقايضه والتبادل بالسلع وغيرها . ومنذ بداية عهد الامير عبدالرحمن الاوسط الذى اتصف عهده بعصر الازدهار الحضارى والاستقرار النسبى اصبحت تضرب النقود فى الاندلس حيث اصبح اول من ضرب نقودا اندلسيه ثابته باسمه ووضع لها نظاما للسكه فانشأ فى قرطبه اداره جديده وخصص لها دورا معينه وخاصه بها . لانها كانت قبل ذلك نادرا ماتضرب بالاندلس ولكن مقتصرة على

---

(١) د . فهمى . موسوعة النقود العربية وعلم النميات ص ٦ .
(٢) نفس المرجع ص ٨٥ / ٨٦

النقود او العملات الصغيره كالفلوس البرونزيه . (١)

وبذلك فقد اعتبر الامير عبد الرحمن الاوسط اول من احدث بقرطبة دارا للسكه دار ضرب النقود وضرب الدراهم باسمه حيث لم تكن فيها دارا منذ ان فتحها العرب . (٢)

وأحب ان أورد هنا بعض النماذج التى اقتبستها من كتاب موسوعة النقود العربية (٣) والتى كانت فى عصور مختلفة فى الاندلس من ضرب النقود الاسلاميه .

عصر ولاة الاندلس : ٩٢ _ ١٣٨ هـ (٧١١ _ ٧٥٦ م)

دراهم ضرب الاندلس ١٠٥ هـ

مركز	مركز
لا اله الا	الله أحد الله
الله وحده	الصمد لم يلد و
لا شريك له	لم يولد ولم يكن
	له كفوا احد

---

(١) الشعراوى . الامويون امراء الاندلس ص ٢٨٧ .
(٢) حموده . تاريخ الاندلس ، ص ١٥٠ .
(٣) فهمى . موسوعة النقود العربيه ص ٨٤٥ .

هامش

بسم الله ضرب هذا
الدرهم بالاندلس سنه
خمس ومئــــــــه

هامش

محمد رسول الله ارسلـــه
بالهدى ودين الحـــق
ليظهره على الدين كلـــه
ولو كره المشركون (١)

وأما عصر ابى المطرف عبد الرحمن الثانى بن الحكم ٢٠٦ هـ ــ ٢٣٨هـ :

دراهم ضرب الاندلس ٢٢٥هـ

مركز : (٢)

هامش :

بسم الله ضرب هـــذا
الدرهم بالاندلس سنـــه
خمس وعشرين ومئتيـــن

المركز : (٣)

مركز وهامـــش

هامش :

بسم الله ضرب هـــذا
الدرهم بالاندلس سنـــه
تسع وعشرين ومائتيـــن

---

(١) د • فهمى • موسوعة النقود العربية ص ٤٥ ٨ •

(٢) انظر اللوحه فى آخر الكتاب هذا مصوره عن موسوعة النقود العربية للدكتور فهمى رقم (١) •

(٣) انظر فى اللوحات آخر البحث الرقم (١) •

ويلاحظ ان كتابات هامش الوجه محصوره بين خطين بارزين وتوجد دائرة صغيره فوق حرف الكاف فى كلمه (لاشريك) بالسطر الثالث من كتابات مركز الوجه كما توجد نقطه فوق حرف الواو فى كلمة (اولم) بالسطر الثالث من كتابات مركز الظهر . (١)

هذا ماجاء فى موسوعة النقود العربية عن النقود والدراهم التى ضربت خلال فترات مختلفة فى الاندلس ومن ضمنها عهد الامير عبدالرحمن الاوسط وبهذا اكون قد بذلت اقصى ما استطيع من الجهد للحصول على الوثائق العلميه لتغطية هذه النقطه بالذات . وقد اورد الدكتور السيد عبدالعزيز سالم قوله : كانت دار السكه فى عصر الاماره تقع لصق باب العطارين من خارج مدينه قرطبه العتيقه ، وأول من انشأ دار السكه فى قرطبه وضرب الدراهم باسمه الامير عبدالرحمن الاوسط ، ولم تكن فى الاندلس دار للسكه منذ أن فتحها العرب . وكما هو معروف ان هذا الامير هو اول من فخم السلطنه فى الاندلس من امراء بنى أميه . والحقيقة ان اهل الاندلس كانوا قبله يتعاملون بالعملات الامويه القديمه والعملات العباسيه ، فاصبحت دار السكه الاميريه التى اسسها عبدالرحمن الاوسط تسك فلوسا يتعامل الناس بها كل ستين فلسا بدرهم اما فى سنة ٣١٦ هـ فقد امر الخليفة عبدالرحمن الناصر باقامة دار جديدة للسكه فى داخل مدينة قرطبه لضرب الدنانير والدراهم الاندلسيه تولى خطتها الاحمد بن موسى بن جدير وخصصها لضرب العملات الذهبيه والفضيه الخالصه ثم نقلها من قرطبه الى الزهراء بعد أن اسس هذه المدينة الخلافيه . (٢)

---

(١) د . فهمى . المرجع السابق ص ٨٥٤ .

(٢) د . السيد عبدالعزيز سالم . قرطبة حاضرة الخلافه فى الاندلس ج١ ص ٢١٥ .

الفصل الخامس

" الحياة الاندلسيه العمليه في عهد الاوسط "

* اقبال المجتمع الاندلسى على العلوم والآداب العربية
* طرق انتقال الثقافة من المشرق الى الاندلس .
* نهضة العلوم الدينيه وعلوم اللغه والادب والتاريخ والعلوم البحته وخاصة الفلك والطب .

اقبال المجتمع الاندلسى على العلوم والآداب العربيـــه

تطور الثقافة الاندلسيه منذ الفتح حتى فترة ازدهار عصر الاماره :

ان عرب الاندلس الذين غادروا المشرق فى اواخر القرن الاول ومطلع القرن الثانى الهجرى كانت الاغلبية منهم جندا للحرب ولم يكونوا اهـــلا لنقل أو حمل الثقافة والعلم معهم الى هناك حيث نجد فى الصميل بن حاتـــم الامى احد زعمائهم مثلا واضحا على مستواهم الفكرى هذا بالاضافة الى أن زمـن ارتحالهم الى الاندلس كان يعتبر قبل ان تتطور الثقافة العربية فى المشـــرق بالذات ونستطيع القول بأن ثقافة الفاتحين للاندلس من العرب المحاربيـــن اقتصرت على معارف بسيطة منها ماكان متعلقا بالدين ، ومنها ماكان موروثـــا عن المعارف البدويه مع وجود عدد كبير منهم قادر على نظم الشعر حيث ينـــدر وجود زعيم لهم لاتنسب اليه بعض أبيات شعريه • لهذا لم يتوفر لهؤلاء الفاتحين التأقلم بثقافة الارض الجديدة القوطيه المسحيه نظرا لضعف هذه الثقافـــــه وضيق افقها واقتصارها على المجال الدينى المسيحى بصورة عامه • هـــذا بالاضافة الى الاضطراب السياسى الذى عاشته الاندلس خلال عصر الولاة وأوائـــل عصر الاماره خلقت فيها جوا لايلائم اى تقدم فى مضمار الثقافة عند عامـــــة الناس وخاصتهم لانهماكهم ولانشغالهم بالنزعات الدمويه التى سيطرت علـــى مسرح الاحداث لذلك نجد الاندلسيين اقتصر اقتباسهم من الثقافة فى هـــذه الفترة على ماهو ضرورى لمايهم امور حياتهم وفق احكام الدين الاسلامـــى فكان اقتباسهم بالمشرق اما بواسطة الوفود التى يرسلها الامراء كمـــا حدث حينما ارسل الحكم الربضى وفدا الى المشرق فحمل له كتاب الحســـاب الهندى عند العرب باسم السندهند فدخلت معه الارقام الهنديه الى الاندلـس

ومنها انتقلت الى اوروبا بسرعة فائقه . (١) هذا من جهة ومن جهة اخرى فاننا نجد الاسبان قد احسوا بالفرق بين حكم العرب وحكم القوط حيث رأوا تسامح الفاتحين وثقافتهم فى نشر العدل بين الناس مما اثلج صدور الاسبان هذا بالاضافة الى أن العرب قد أبقت على السكان الاصليين فى بعض مناصبهم مثل قضائهم وادا راتهم كما قلدوهم بعض الوظائف المرموقه مما جعل الاسبان يعجبون بهؤلاء الفاتحين فاحبوهم محبة خالصة بعد أن رأوا الفرق الشاسع بين المدينه التى يحملها المسلمون وماكان للقوط من الثقافة المتأخره حيث كانت اقرب الى الهمجيه . (٢) وقد كان الكثير من نصارى قرطبه يخدمون فى الجيش الاسلامى جنودا اوضباطا بالاضافة الى أن الكثير منهم قد وصل الى وظائف هامه فى البلاط والقصر الملكى وقصور اكابر المسلمين وبذلك اصبح تأثير المجتمع الاسلامى وعظمته ولغته وتقاليده فى نفوس النصارى واضحا حيث كان يأسر الشباب النصرانى منظر العظمة الماديه والحضارية التى تفوقت بها قرطبه المسلمه على طرقبة النصرانيه وما لهذه العظمه من المظاهر الادبيه والفنيه التى بثها عبد الرحمن بحبه للشعر والفلسفه والموسيقى فظهر ذلك التأثير جليا فى الشباب النصرانى الذى كان يكتب ويتكلم العربية محتقرا بذلك دراسة اللغة والآداب اللاتينيه لما فى ذلك من خطر شديد على وطنيتهم ودينهم . (٣) الى أن كان النصف الاول من القرن التاسع الميلادى حيث اصبحت الافكار والتقاليد الاسلاميه قد انتشرت بين المستعمرين الاسبان وقد اشار الاستاذ محمد عبدالله عنان : نقلا عن مؤلف سيمونيت (٤) الذى

---

(١) احمد بدر ــ المرجع السابق . ص ١٧٩ / ١٧٠

(٢) على حموده : تاريخ الاندلس السياسى والعمرانى ص ٢٥٥ / ٢٥٦ .

(٣) عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ص ٢٦٩ .

(٤) انظر مؤلف سيمونيت الفخم :

وصف الذعر الشديد الذى اصاب الاشراف الكرماء البواسل الذين كانوا يحتفظون بالعاطفه المسيحيه والوطنيه الاسبانيه . ثم اضاف كيف اصبح الشباب النصرانى يمتلئون حياة وقوة وفصاحه يتقنون اللغة العربيه ويبحثون بشغف عن الكتب العربية فيدرسونها بعناية ويمتدحونها بحماس هذا فى حين انهم يجهلون جمال الآداب الكنسيه . (١)

ويتضح لنا بعد وصف الاسبان واقبالهم على العلوم والآداب العربية الشديد انه لم يمض قرن حتى اخصبت القرى وكثرت المزارع وتزاحم السكان فى المدن فاصبحت قرطبة عاصمة الخلافة الاندلسيه وهى بذلك تشبه عواصم أوربا اليوم حيث تنار بالمصابيح ليلا مبلطه شوارعها بالاضافة الى نظافة شوارعها التى تنظف يوميا وبذلك تعتبر قرطبه أول مدينة فى العالم تمتاز بهذه الصفات والمميزات . فاصبحت عاصمة علم وصناعة وفن وتجاره حيث كانت تضم مليون نسمه وبها ستمائة مسجد وستمائة حمام ومائتا الف دار وثمانون الف قصر ودور قرطبة ثلاثون الف ذراع وفى ضواحيها ثلاثة آلاف قرية فى كل واحده منبر وفقيه كما كان بالربض الشرقى مائه وسبعون امرأة كن يكتبن المصاحف بالخط الكوفى . (٢)

هذا من جهة ومن جهة اخرى فاننا نستطيع ان نصف المجتمع الاندلسى وتكوينه المنقسم الى : ابناء الاسبان الذين دخلوا فى طاعة المسلمين صلحا ودخلوا فى الاسلام واقاموا فى اماكنهم التى كانوا فيها . ثم ابناء الاسبان الذين دخلوا فى الاسلام عنوة فاصبحوا بحكم الفتح اسرى ثم اسلموا وكذلك

---

(١) عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ص ٢٦٩/ ٢٧٠ .
(٢) على حموده : تاريخ الاندلس السياسى والعمرانى ص ٢٥٥/ ٢٥٦ .

ابناء المستعربين الذين اسلموا بعد الفتح بالاضافة الى ابناء النصارى الذين اتت بهم الفتوح والغزوات ثم اعتنقوا الاسلام فاستقروا نهائيا فى الاندلس. وكان المجتمع فى الاندلس ايضا يتألف من العرب ومعظمهم من الجند الفاتحين وكان الفرد منهم بعد حمله اعباء الفتوحات الاولى واستقرا فى البلاد المفتوحه كان شخصا ممتازا سريع التقليد واقتباس ماينا سبه ويفيده ويتصف بالالفه والبساطه لايعيش بجانب قوم حتى يأخذ منهم ويعطيهم ويصاهرهم وتمتزج دمائه بدماؤهم ويشركهم فى أصله - وبجانب الاصل البدوى الصحراوى كان يحب اللين والترف ويتذوق الجمال لذلك نجد العرب لم يخربوا مدائن الاندلس فظلت المدن الاسبانيه عامره تتطور بمرور الايام هذا بالاضافة الى جماعه (المسالمة) وهم الاسبان الذين اعتنقوا الاسلام . أما الاسبان الذين بقوا على دينهم وسموا بأهل الذمة فكانوا يعرفون باسم (العجم) وهؤلاء تمتعوا بالحريه الدينيه وتسامح العرب معهم ومن بين عناصر السكان كان (المولدون) وهم المولدون من اباء مسلمين وامهات اسبانيات ونشأوا على الاسلام فكانوا يمثلون الغالبية العظمى من سكان الاندلس وهناك ايضا (المستعربون) وهم الاسبان النصارى الذين عاشروا العرب وتعربوا وتمتعوا بالحرية الدينيه . فكان للاستعراب التأثير الواضح من الثقافة العربيه وقد اصبح هؤلاء المستعربون مولعين بالتراث العربى من أدب وشعر وقد كان دور المستعربين دورامهما حيث اصبحوا العنصر الفعال فى حياة الاندلس وكان من العوامل الهامه فى نقل الحضارة العربيه الى اسبانيا المسيحيه ، فلم يوجد هناك انفصال جغرافى ولاعنصرى بين المسلمين والمسيحين فكان المستعربون لمعرفتهم للغتين العربيه واللاتينيه الحديثه أداة اتصال بين شطرى اسبانيا فكانوا منذ الفتح العربى لم ينقطعوا عن الهجرة الى الاراضى المسيحيه وكان من شأن هذه الهجرات انتشار الثقافة

الاسلاميه والعربيه بين أهل الشمال والمسيحين وعن طريق المستعربين انتقلت اليهم عادات وتقاليد اسلاميه وكثر الاخذ عن التراث العربى • (١)

وقد استطعنا بذلك أن نلقى الضوء على تداخل الاسلام والمسيحيه فى شبه الجزيرة الاييريه فقد كان تداخلا حقيقيا مستمرا فى اسبانيا فى العصور الوسيطة سواء فى تداخل الحدود الاسلاميه أم فى خارجها وما من مكان كانت العلاقات الدائمه ضروريه بين الاسلام والمسيحيه اكثر منها فى اسبانيا العربيه • وقد ذكرنا فيما قبل عن تسامح العرب تجاه أهل الذمه وهم معظم سكان اسبانيا الذين احتفظوا بدياناتهم بكامل الحقوق الامامه شعائرهم وممارستها خلال القرن الاول من حكم المسلمين لهم وأما بعد هذا القرن فنجد اعدادا كبيره من النصارى دخلت الاسلام كان البعض منهم يهدف الى الاستفاده من نظام مالى أفضل ومابقى منهم فهى نسبه كبيره ايضا من الرعايا المسيحين فى المدن الاندلسيه تشكل وحدات مزدهره لها حقوقها وانظمتها الاداريه الخاصه والعامه وكانت لها الحريه فى اقامة كنائس لها واديره وكان لها رئيس مسئول يسمى دسبنسر Depensar وجابيها الخاص سبنسر Censor • بالاضافة الى قاضيها الذى يطبق القانون القوطى القديم لكن تحت اشراف الادارة الامويه • اما عن الاضطهادات التى يذكرها معظم المؤرخين المستشرقين التى واجهتها هذه الفئات من أهل الذمه فان السبب فيها مايذكره المؤرخ الجليل ليفى بروفنسال بأنها كان يسببها دوما مسيحيون متهوسون يرفضون التراجع عنها

---

(١) انظر الخربوطلى • العرب والحضاره ص ٢٩٨ الى ٣٠٠ •

بينما ينكرها اخوانهم المسيحيون ابناء دينهم وهم مثل اصحاب الرتب الكهنوتيه والاساقفه عليهم لانهم معترفون بصورة دائمه على أن هؤلاء المتهوسون مخطئون لذلك نجد أن هناك اختلاطا وديا وثيقا ومتصلا بين مختلف عناصر السكان . (١) وبعد أن القينا الضوء على المجتمع الاندلسى ككل وتكويناته البشريه السكانيه من عرب واسبان وقسمنا الاسبان الى فئات مختلفة ارتبطت هذه الفئات وامتزجت بعضها ببعض وبالعرب بصفة خاصه وكونت المجتمع الاسبانى عامه وتداخلت هذه العناصر السكانيه وكونت مع بعضها البعض حضاره اسلاميه مشرقه زاهره خلدت عبر القرون والاجيال وذلك باقبال هذا المجتمع على العلوم والاداب العربيه خصوصا فى عهد الامير عبد الرحمن بن الحكم الذى يعتبر اديبا حسن التثقيف وكاتبا بليغا مشرق البيان عالما بالشريعه والفلسفه والحكمه مجيدا للنظم نصيرا للعلوم والآداب يجمع حوله اكابر العلماء والادباء والشعراء مثل العلامه الرياضى والفلكى عباس بن فرناس ، ويحيى الغزال وشاعره الخاص عبد الله بن الشمر الذى كان صديقه منذ ولايته للعهد وكان بارعا فى الادب والشعر والمنطق والتنجيم ، بالاضافة الى عباس بن ناصح الجزيرى شاعر ابيه الحكم . وعبد الله بن قرلمان بن بدر مولى الامير عبد الرحمن الداخل . فكان من جلسائه وخاصته وكان اديبا بارعا وشاعرا مجيدا وغيرهم . (٢)

ومما سبق نستطيع أن نرى أن الامير عبد الرحمن استطاع أن يفخم

---

(١) بروفنسال . حضارة العرب فى الاندلس . ص ٧١/٧٢ .
(٢) عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ص ٢٨٠/٢٨١

امارة الاندلس وان يكسوها بأبهة الجلالة والعظمه وساعده على تنفيذ ذلك كثرة الخيرات وهدوء الاحوال وانتشار الامن فى البلاد مما ادى الى انتعاش الحياه الادبيه والعلميه والفكرية والاقتصادية فى الاندلس وهكذا كان للامير عبدالرحمن الاوسط اثر بالغ فى تشجيع اقبال المجتمع الاندلسى على العلوم والآداب العربيه لانه امتاز بثقافة واسعه وعلم غزير حيث يجمع المؤرخون على أنه كان اكثر الامراء الأمويين علما وثقافة لهذا كان بلاط عبد الرحمن الثانى حافلا بالشعراء والفنانيين والعلماء وقد سبق ذكر ذلك فيماقبل • (١)

وخلاصة القول أن الحضارة الاسلاميه فى الاندلس تدين الى مجموعتين من الناس : الاولى هم العرب ومنهم المفكرون الذين نزحوا من الشرق الى الاندلس بعد موجة الفتح وذلك لطبيعة الارض الخضراء التى اجتذبتهم كما شجعهم بالترحاب امراء الاندلس • اما المجموعة الثانيه فهى التى نشأت فى الاندلس نتيجة المصاهره والارتباط بالشعب الاسبانى • هاتان المجموعتان كونت فيما بينها حضارة راسخه عظيمة كان لها اثرها فيما بعد فى حضارة اوروبا اليوم •

---

(١) الشعراوى • الاموين امراء الاندلس ص ٢٨٠/ ٢٨١
(٢) احمد شلبى • موسوعه التاريخ الاسلامى ج ٤ ص ٨٣/ ٨٤ •

طرق انتقال الثقافه من المشرق الى الاندلس

الحقيقه ان طرق انتقال الثقافه من المشرق الى الاندلس هى نقطة اصبحت نتيجة مسببات سابقه تلك المسببات سبق ذكرها فى فصل سابق على مضى من بحثى وبالتحديد فى الفصل الاول وفى نقطة التأثيرات العباسية فى حضارة الاندلس فى عهد الاوسط وقد تحدثت فى هذه النقطه وفصلت مدى التأثيرات العباسيه فى الاندلس حيث قدمت الفعاليات الاقتصادية التى نشطت فى هذه الفترة للاندلس امكانية واداة نقل تمثل التأثيرات المشرقيه الوارده من المجتمع العباسى الذى دخل مرحلة الاوج فى الرقى والتقدم فقد خلقت للاندلس الامكانيات والقدرة على اقتباس عادات المجتمع العباسى الشرقيه الراقيه فى الملبس والمأكل التى لايمكن ان تنتقل الى مجتمع بلغ مستوى من الرفاه المادى موازنا او مقاربا لمستوى المجتمع العباسى هذا بالاضافة الى النشاط الاقتصادى فى الاندلس خلال هذه الفترة أوصل الاندلس الى هذا المستوى • كما ان نشاط طرق المواصلات مع ازدياد تنقل التجار بين البلدين كون الاداة التى سهلت نقل هذه المؤثرات فعرفت ابناء المجتمعين على بعضهما مما أدى الى انتقال فئات من المجتمع العباسى الراقى الى الاندلس المهم فيها وفى مجال نقل العادات فئتان وهما فئة الجوارى وقد ذكرناها سابقا ثم فئة المغنيين ويأتى على رأسهم زرياب الذى ادخل على الاندلس تأثيرات حضاريه عديده • هذا بالاضافة الى طلاب العلم الذين يرحلون من الاندلس الى بغداد لتعلم العلوم المختلفة لما عرف عن بغداد انها مركز العلم والثقافة والحضارة اضف الى ذلك رسل الامراء الامويين واهمهم الامير عبدالرحمن الاوسط الذى بدأت فى عهده هذه الظاهره تتضح حيث

كان يرسل رسله الى المشرق عامةً وخاصة بغداد ولا يتوانى فى مدهم بكل مايستطيع من بذل الاموال بسخاء لشراء الكتب القيمة والنادره هناك وكل مايظهر من جديد فى مجال العلوم المختلفة واستجلابها من بغداد الى الاندلس ٠

اذا هناك نقطتان مرتبطتان بعضهما بالبعض الآخر ولكن لكل منهما مايميزه عن الآخر كما انهما مرحلتان متصلتان الاولى منهما سبب ٠ والثانيه نتيجة ذلك السبب٠وبناء على ذلك نجد سوءالا يطرح نفسه فيقول :

- هل المسالك الحضاريه التى وصلت من المشرق الى الاندلس واجهت عقبات وصعوبات من جهة حكام الاندلس الامويين ؟
- وهل هوءلاء القائمون على الحكم فى الاندلس استطاعوا ان يزكوا انتقال هذه الحضاره ؟

أم وقفوا ضدها على الرغم من وجود العداء السياسى الصريح بين الحكومتين العباسيه فى المشرق والامويه فى الاندلس ؟
نجيب على الاسئله قائلين :

أن المسالك الحضاريه التى وصلت من المشرق الى الاندلس لم تجد فى طريقها اى صعوبات او عقبات من قبل حكام الاندلس الامويين بل على العكس رحبوا بها أجل ترحاب وفتحوا لها اذ رعتهم بالتشجيع لانهم يعلمون تماما بأن المشرق غنى بالتراث الحضارى العميق وانه قمة العالم الزاخره بالمعارف والعلوم وقد أرادوا أن تكون امارتهم فى الاندلس تحاكى بغداد وتقف فى مصافها الحضارى لانها فى مقدمة الدول الكبرى فى العالم فى ذلك الحين لذلك نجد القائمين على الحكم فى الاندلس وخصوصا الامير عبدالرحمن الاوسط

فهم قد زكوا المسالك الحضاريه المشرقيه على الرغم من وجود العداء الذى كان قائما بينهم وبين العباسيين فى المشرق اذ لم يقف الامراء الامويون منعزلين عن المشرق منذ عهد الامير عبدالرحمن الداخل الذى استجلب الرمان السفرى الذى نسب الى من جلبه وهو سفر من الشام ، وسار ابناء واحفاد الامير عبدالرحمن الاول على منواله حيث وسعوا فى تشجيعهم وترحابهم بالمشرقيين والقادمين من المشرق خصوصا فى نهاية عهد الامير الحكم الاول بن هشام ومنذ بداية عهد ابنه عبدالرحمن الثانى الذى اصبح المتوجه بالنظر الى الشرق اوضح واكثر حيث لم يعد انتقال الثقافة من المشرق الى الاندلس مقتصرا على ماينقله الحجاج والوفود الرسميون بل تعداهم الى الطلاب الوافدين على المشرق يطوفون بشتى مراكز العلم فيه فقد قضى بعضهم امدا من حياتهم هناك لمدى خمسة وعشرين عاما • هذا بالاضافة الى انفاق الكثير من اموال البعض الآخر فى شراء الكتب التى حملوا منها الى الاندلس اعدادا كبيره مقابل ما حمله غيرهم من العلم والرواية كذلك ما كان يحمله التجار من الكتب القيمه ضمن تجارتهم •

أما الجوارى اللواتى كن من مقتضيات الترف الذى ظهر فى هذه الفترة فقد تعددت انواعهن فى المشرق لكى تكون ملائمة لكل الاذواق حيث زود بعضهن بالكثير من معارف العصر من موسيقى وشعر واخبار وحديث كجاريتى الامير عبدالرحمن المدينتين اللتين اشرنا اليهما سابقا بالاضافة الى عايده المدنيه ايضا التى كانت سوداء من رقيق المدينه والتى قال عنها بعض الحفاظ انها تروى عشرة الاف حديث عن مالك بن أنس وغيره من العلماء •

هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد بدأ رواج العلم فى الاندلس وسخاء امرائها على المبدعين فى الفنون والعلوم المختلفة فى الوقت الذى

صادف انتشار الاضطرابات فى المشرق وتسلط القواد الاتراك على الحكم الذين كانوا لايقيمون للثقافه وزنا لبعدهم عن ميدانها ولانهم اغراب عنهم لايفهمونها مما أدى الى بدء حركة الانتقال لاهل العلم من المشرق تلك الحركه التى بدأت فى فترتنا هذه فاستمرت فى السير خلال قرن كامل واخيرا كانت دعوة الفاطميين الباطنيه فى المشرق ترسل بدعاتها الى شتى اصقاع العالم الاسلامى فكان من جملة من ورد منهم الى الاندلس فى هذه الفترة علماء حملوا معهم من المشرق بعض الكتب الهامه ومن هؤلاء العلماء العالم الرياضى ابو اليسر ابراهيم بن احمد السبيانى . (١)

ونظرا لبهاء العاصمة قرطبة وجمالها نجد أن ابن حوقل يسميها ببغداد الثانيه . اما اسم الرصافه هذا فلم يكن اختياره مطلقا للدلالة على جملة من القصور القائمه على مداخل قرطبه نفسها من عمل المصادفه المحضه او المطابقة الصرفه ذلك أن الامير عبد الرحمن الاول هو الذى اطلقه بنفسه على احدى مؤسساته المفضله لكى يحفظ هكذا فى قلب امارته التى هاجر اليها ، لتكون ذكرى للوطن الذى اضطر الى مغادرته والعرش الذى اقصى عنه وهذا دليل صريح ان لم تكن ادله كثيره غيره على وجود " تقليد سورى " تأصل فى اسبانيا فى ذات الوقت الذى كان فيه امير اموى من الشرق يخلق مملكه . (٢)

هناك براهين شتى على اهتمام مؤسس المملكة العربية فى اسبانيا

---

(١) بدر ـ دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ١٧٦/١٧٧ .

(٢) بروفنسال . حضارة العرب فى الاندلس ص ٣٩ / ٤٠ .

اهتماما ثابتا فى منتصف القرن الثانى الهجرى لكى يضع دولته واطارها الاجتماعى على منوال سوريه الامويه لتكون فى ابعد مدى تقليدا شرقيا ، بالاضافة الى ذلك فان التشابه الجغرافى قد سهل تحقيق تلك الصورة فكانت مدعاة لمقارنات عديده أدبيه وشعريه بصورة خاصه مابين اوراق الفيفاس الاندلسيه الخضراء وبين الغوطة الوارقه فى مشارف دمشق وبين نداء الحنين الى نخيل الواحات السوريه وحور "البساتين" على ضفاف العاصى ومن جهة اخرى فان عرب المشرق بعد ان تمركزوا فى اسبانيا من جديد قد حافظوا فيها على الطابع العربى الاصيل فى شكله بقى مدة طويله . (١) وعلى كل حال فان الحقد على العباسيين قد ألف بين شمل التجمعات العربيه الاصل وبين النظام الاموى فى قرطبة فى العصور الاولى من فترة الامارة الاسلاميه بالاندلس وعندما كانت تقوم ثورة فى اسبانيا ضد العرب فانها تكون نتيجة لدعاة العباسيين هناك لكن سرعان ماانصرف العباسيون عن الاهتمام بضم اسبانيا الى ممتلكاتهم . الا أن الشرق العباسى اخذ يتدخل تدريجيا بطريقة غير مباشره فى نظام الحياة فى اسبانيا العربيه تحت ستار الثقافه فى القرن التاسع الميلادى ولم يهدف هذا التدخل لازالة التقليد السورى الذى كان دائم الفعالية وانما لادخال كثير من الاتجاهات الحضارية فى بغداد . وفى هذه الفترة حققت اسبانيا المسلمه والمتأثره الى حد بعيد باثر الشرق وحدتها السياسيه والدينيه وذلك باتباع المذهب المالكى الذى استمر بها بصورة نهائيه الى نهايتها فلم تحيد عنه واصبح رسميا لديها وقد حل محل مذهب الاوزاعى فى عهد الامير الحكم الاول . (٢)

---

(١) برفنسال . المرجع السابق ص ٤١ .

(٢) برفنسال . المرجع السابق ص ٤٢ / ٤٣ .

على أن الامير عبد الرحمن الثانى قد كشف افاقا جديده كل الجده عن ازدهار ثقافى كان البعض يعتقد انه حدث متأخرا مائه عام على الاقل بينما هو فى الواقع قد بدأ بالظهور فى شبه الجزيره منذ بداية النصف الاول من القرن التاسع الميلادى بتأثير مباشر من الحضارة العربيه فى الشرق • لذلك فان الامير عبد الرحمن الثانى يظهر من خلا لها فى ملامح حامى العلماء وصديق الادباء والفنانين خصوصا وانه هو نفسه شغوف بكل مايتصل بعلمى الفلك والتنبوءات حتى انه اوفد قبل أن يتولى الاماره عالما من عنده (أى من قرطبه) وهو عباس بن ناصح الى العراق باحثا عن الاثار العلميه المنقوله الى العرب عن اليونان والفرس واستنساخها له • حيث كان هذا الامير يجد لذة خصوصا فى دراسه الكتب القديمه فى الفلسفة والطب ولانه يريد أن يشبع رغبته فى استطلاع المستقبل فقد احاط نفسه بجماعة من العلماء وخصوصا علماء الفلك اذعين لهم رواتب ضخمة واخذ يراقب معهم السماء ومجموعاتها الكوكبيه للتوصل الى استكشاف طوالعها حتى فى اتفه ظروف الحياه اليوميه • وبذلك نجد هذا الامير قد وزع وقته مابين مراقبه اعمال عديده تشمل الاعمال العمرانيه التى استفادت منها قرطبة بعد حكمه ، وبين الصيد فى الوادى الكبير بواسطة الصقور ، وبين دراسة السماء وبين شئون الدوله وبين الحلقات الادبيه والموسيقيه والتى كان انعقادها حتى ذلك الحين يعد نادرا جدا فى عاصمه بنى اميه فى اسبانيا • (1)

وعلى هذا فان الفضل فى تنظيم مملكة قرطبة على المثال العباسى

---

(1) بروفنسال : المرجع السابق ص ٤٥ / ٤٦ •

يعود الى الامير عبد الرحمن الثانى وليس الى سميه وهو عبد الرحمن الثالث (أو الناصر) كما كان يسود الاعتقاد به الى وقت قريب . والذى لم يتول الحكم الا بعد قرن من الزمان بعد جده هذا الامير عبد الرحمن الثانى .

ومن أجل ان لايبقى امير قرطبه متخلفا عن خلفاء بغداد الذين وصفهم له العيون العائده من المشرق فى تنسيقهم المتشابك لمرافق الدوله لذلك نجد الاوسط يتبع طريقتهم دون ان يرى فى العداوة التقليدية بينه وبين العباسيين مايعيقه او ينفره من أن يسير سيرتهم . وهكذا نرى ان نظام الادارة فى قرطبه قد اصبحت مباد ؤه منذ النصف الاول من القرن الثالث الهجرى صورة منقوله مباشرة عن نظام الاداره العباسى .

هذا بالاضافة الى أن تصنيف " خدام " الامير بالمعنى القديم لهذا التعبير يشير الى تقليد ماكان لدى خلفاء بغداد تقليدا مدهشا ومع مايختلف من التقاليد الاسلاميه السابقه فهى مختلفة لانها تشير بعادات الفرس وملكه الساسانيين . فكان تشبهها من امراء قرطبة العباسيين حيث صنعوا خصوصا على عهد الاوسط دارا للنقود ، كما استعمل الخاتم الرسمى وأسس دارا للطراز وسبق الاشارة اليه فنظم مصانع تنتج أقمشة وسجادا من جميع الوجوه بأجمل مصنوعات الشرق فى القرون الوسطى ولم يكن لخلفائه مايفعلونه سوى تثبيت هذا التقليد الذى أسسه هو فبقى كما هو بكامله على النحو الذى نقل فيه عن المشرق . (١)

على أن النصيب الذى فاز به الشرق الاسلامى فى تكوين الثقافة الاندلسيه فى القرن التاسع الميلادى كان عظيما وملموسا ودليل ذلك أنه كل

---

(١) برفنسال . المرجع السابق . ص ٤٦ / ٤٧ .

ماكان يأتى وافدا من بغداد او من المدن الكبرى الاخرى فى الامبراطوريه العربية فى ذلك الوقت كان يستقبل فى قرطبة باعجاب او بامتثال على الاقل كما يذكر الاستاذ بروفنسال . والملاحظ أنه كان نتيجة المنازعات الداخليه التى كانت فى عاصمة العباسيين أن اصبح لها ردود فعل فى قرطبة حيث سهلت انتقال الكنوز الملكيه التى بددت على اثر نهب قصور بغداد الى اسبانيا ولذلك فان عقدا شهيرا كان يخص زبيده زوجه الرشيد قد بيع فى اسبانيا لحساب الامير الاسبانى الذى قدمه بدوره الى الاميره شفاء . هذا احد الامثله على ذلك وان دل على شىء فانما يدل على المبلغ الذى بلغته الخزينه الاسبانيه من الثروه والعظمه فلم يتردد التجار فى تحمل السفر الطويل الخطر الى اسبانيا ليقدموا الى سيد البلاد نوادر الاشياء واثمنها . (١)

وهكذا كانت الطرق متعدده لانتقال الشىء الكثير من المشرق الى الاندلس سواء الثقافة العلميه او غيرها من الثقافات الحضاريه والاجتماعية التى كانت تأتى من الشرق ويستقبلها الاندلس وامراؤه بكل ترحاب واعجاب كما مارسوا كل تقليد شرقى اتى اليهم الى أن اصبحت بلادهم فى مصاف الدول الكبرى رقيا وحضارة وقوة وثروه ماديه عظمى أثرت فيما بعد فى ثقافة اوروبا الحاليه حيث اصبحت قبلة العلم وقمته للاوروبيين الذين كانوا يأتون اليها من كل صوب لينهلوا منها مااستطاعوا حتى كونوا حضارتهم الحاليه المعروفه والتى نفخر بأن تكون اسبانيا المسلمه فى السابق هى منارة العلم

---

(١) بروفنسال . المرجع السابق ص ٤٥ الى ٤٨ .

واشعاعه الاول لاوروبا الحاليه • هذا وقد كون القرنان الثانى والثالث للهجرة فى المشرق العباسى نشأة العلوم اللغويه والادبيه والعقلية وتكاملها حيث اختلط العرب بغيرهم من سكان البلاد المفتوحه فى مختلف المجالات فأقبل هؤلاء على تعلم اللغه العربيه فى وقت نشأ فيه اللحن فى نطق العرب نتيجة للاختلاط فكل هذا ادى الى قيام حركة جمع اللغه وتصنيف المعاجم واستنباط قواعد اللغه واوزان الشعر • اما فى مجال الفكر الدينى فظهرت تيارات فكريه متعدده نتيجة لعوامل متعدده ظلت تعمل عملها منذ ايام الخلفاء الراشدين.ظهرت هذه العوامل اولا فى الانقسام السياسى حول الخلافه فى مواجهة العرب المسلمين لظروف حياتية جديده مباينه للحياه فى مواطن الاسلام الاولى ، ثم دخول الثقافات الاجنبيه من هنديه وفارسيه ويونانيه • هذا بالاضافة الى اعتناق بعض من الناس للاسلام ما زالوا هم يحملون فى عقولهم مفاهيم دينيه سابقه وضعت فى قوالب فلسفيه يونانيه • كما كان بعضهم يبطن نيه الدس على الدين • وقد ادى هذا كله الى أن تأثرت الاحزاب السياسيه فانقلب بعضها من فرق سياسيه الى دينيه كما انتشر اختلاف الحديث على الرسول (ص) مما دعا الى قيام حركة علمية هدفها استخراج الحديث الصحيح وبذلك استطاعت ان تسير موفقه نحو الهدف بفضل المنهج العلمى الدقيق الذى وضعته وسارت عليه • (١) هذا بالنسبة للعلوم العربيه فى المشرق الاسلامى • أما فى المغرب او الاندلس فقد انشأ الاندلسيون فى كل ناحية المدارس وخزائن الكتب واقاموا فى العواصم الجامعات التى هى مواطن العلم الوحيده فى اوروبا زمنا طويلا • حتى اصبحت قرطبه مدة ثلاثة قرون

---

(١) بدر • المرجع السابق • ص١٦٧/ ١٦٨ •

اكثر مدن العالم القديم حضارة لكثرة عنايتهم بالعلم وحرصهم على استجلاب العلماء اليها من كل فج وصوب وخصوصا من المشرق الاسلامى وبذلك اصبح المجتمع الاندلسى مقبلا على العلوم والتعلم فهو اصبح على درجه كافيه من الغنى يستطيع أن ينفق فيها الناس على تعليم انفسهم وابنائهم حيث توفرت لهم وسائل ذلك من مال وفراغ فتحرك اصحاب الهمم منهم لطلب العلم وكان مثلهم الاعلى امراء تلك الفترة واهمهم الامير عبدالرحمن الثانى الذى كان عالما بالشريعة والفلسفة وقد شبهه البعض بالمأمون العباسى فى طلبه للكتب الفلسفيه وفى نفس الوقت كان مولعا بالسماع الذى يفضله على جميع لذاته .

أما ابنه الامير محمد الذى أنشأ نواة مكتبة القصر التى ستصبح بعد قرن من هذا التاريخ فى عهد الحكم الثانى واصبحت واحده من كبريات المكتبات فى العالم ان لم تكن اكبرها فى ذلك العصر ، وهو قد اقطع احد العلماء الواردين من المشرق اقطاعا وعنه روى الحديث . مما أدى الى تطورات ملائمه فى عهد هؤلاء الامراء ومن هذه التطورات انتقال صناعة الورق اليهم بعد انتشارها فى المشرق أيام الخليفة العباسى هارون الرشيد ، واقامة مراكز لصناعته عندهم فى كل من شاطبه (Jativa) حاليا وطليطله ومنها ايضا ازدياد الاحتكاك مع المشرق مع تعاظم النشاط التجارى وتحسن وسائل المواصلات البحريه وتعتبر العراق فى المشرق حسب تعبير بعض الاندلسيين " دار هجرة الفهم وذويه ومراد المعارف واربابها " ومن ذلك تعدد وتكاثر طرق انتقال الثقافة منه .[1] وبهذا اصبحت قرطبه اشبه بمجامع علميه وقاعات خزائن كتب كأنها دور حكمه فيها معامل كبيره خصت بالناسخين والمجلدين

---

(١) بدير، المرجع السابق ص ١٧٥/١٧٦ .

والمذهبين والنقاشين • وكان الامير عبدالرحمن الثانى عالما اديبا وشاعرا يعرف علوم الفلاسفه • كما كان لملوك الاندلس غرام باصطفاء كبار العلماء للوزاره يشتملون على الدوله ويدبرون امرها ومنهم من برز فى السياسة والاداره وقياده الجيوش كما برز فى العلوم والادب •

وبذلك ترجم عرب الاندلس كتب اليونان واللاتين فكان لهم من ذلك حظ لايقل كثيرا عن حظ خلفاء العباسيين فى الشرق • كما نجح عرب الاندلس فى دراسة الرياضيات والفلك والطبيعيات والكيمياء والطب فكانت لهم المخابر والمصانع فلم يقل نجاحهم فى الصناعة والتجاره عن دوله راقيه اليوم • فكانوا يبعثون بحاصلات المعادن من معامل السلاح والحرير والجوخ والجلد والسكر والورق الى افريقيه وسائر المشرق على ايدى تجار من اليهود والبربر •

وجدير بالملاحظه ان اهم مالاسبانيا من اعمال الرى فى الوقت الحاضر هى من صنع العرب فهم ادخلوا زراعات منوعه فاصبحت الاندلس جنة كبرى بفضل ثقافتهم العاليه فتناولت اهتماماتهم جميع فروع العلوم والصناعه والفنون وكانت مشاريعهم كثيره حيث انشأوا الطرق والجسور والفنادق للسياح • وبنو المستشفيات والجوامع والرباطات وكان الامويون فى المغرب كالعباسيين فى المشرق • (١)

---

(١) محمد كرد على • الاسلام والحضاره العربيه ص ٢٦٠/٢٦٢ •

نهضة العلوم الدينيه وعلوم اللغه والعلوم الانسانيه والعلوم البحته :

ان الاندلس الاسلامى خلال القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى كان قد مر بحلقة انتقال ذات اهمية كبرى فى تاريخه وهى مرحلة استقرار وانشاء وتجديد فى كل ناحيه من نواحى حياته المختلفه على أن اهم فتره منه فى هذا التطور كله هو الثلث الاول من القرن تقريبا الذى حكمه الامير عبد الرحمن الاوسط ذ والحجه ٢٠٦ ربيع الثانى ٢٣٨ هـ مايو ٨٢٢م سبتمبر ٨٥٢م اذ كان من المعروف عن هذا الامير انه رجل " هادىء الطبع يميل الى اللين فلعل اهم تلك الصفات النعومة التى تظهر وكأنها سذاجه وساطه حين نراه يحتاج لاخذ رأى ابن الشحر المنجم فى بعض الاحيان او يطلب رضا محظيته طروب • او يبعث مع ندمائه ووزرائه ورجال بلاطه هذا المترف اللين نجده مقابل ذلك يقظا واعيا يتصرف بتفكير وحكمه ويحسب لكل شىء حسابه • فقد ورث عرشا مستقرا وبلدا هادئا الى حد ما حيث يعتبر هدوء عظيما اذا قيس بالاضطراب الذى ملأ امارة ابيه كلها •

ولو رجعنا الى تراجم ابن حيان فى " المقتبس " من بينها تراجم مفصله حافله بالقصص القصيره عن هذا الامير (عبد الرحمن الاوسط) وعن حاشيته ووزرائه ورجال دولته لانجد فيها مظهرا من مظاهر الاسراف فى الاستمتاع والتنعم او الاضمحلال الخلقى • (١)

على أن الحياه العلميه فى الاندلس فى عهد الاوسط كانت حياة واسعة

---

(١) مؤنس • شيوخ العصر • ص٣٦ / ٣٧ / ٣٨ •

ومختلفة وشاملة ان اشملت ميادين واحقولا كثيره يخصنا فى هذا الفصل منها نقطة هى نهضة العلوم الدينيه وعلوم اللغه والادب والتاريخ والعلوم البحته خاصة الفلك والطب .

لذلك نجد انفسنا مضطرين للتحدث عن كل واحده من هذه العلوم على حده وسنبدأ الكلام عن نهضة العلوم الدينيه فى الاندلس فى عهد الاوسط .

نهضة العلوم الدينيه :

كان لابد من نتيجة الحركة العلميه فى البلاد ان يكون هناك اتجاه مواز لهذا الانتقال الحضارى العام حيث اصبح من الطبيعى ان تتخضع مفاهيم الناس فى الاندلس وتتطور فهم ساوا ان العلم والدراسة يؤديان بصاحبهما الى رياسه دينيه ودنيويه كبرى فكان من الطبيعى ان تطمح نفوس الطلاب الى شىء ابعد مدى مما طمحت اليه نفوس فقهاء الاجيال الماضيه من الاقتصار على موطأ مالك ومدونات تلاميذه ومختصراتهم . فنجد المختصرات كثيره والفقهاء كثيرين والمنافسه لهذا محدوده الميدان والمدى ، ثم أن اعداد الطلاب كثرت حيث اجتهد الشيوخ يعلمون فى ظل بلد اندلسى فكان تعاسم بعضهم او معظمهم مقتصرا على ذلك المنهج المحدد الذى يعتبر صغيرا مملا لاى طالب ذى ذهن واسع وقلب طموح ، وكانت مدرسه الحديث فى المشرق (الحجاز والعراق ومصر) قد ازدهرت فى ذلك العصر واخرجت محدثين علماء من الطراز الاول من امثال سعيد بن منصور واحمد بن حنبل وابى بكر ابن شيبه ، ويحيى بن معين .

ومعنى محدثين اى الذين اتجهوا الى دراسة الاصل الثانى من اصول

العقيدة والتشريع الاسلاميه وهو الحديث وهذا الاتجاه كان مباشرا بـــدون الاكتفاء بالمسانيد والمصنفات المتداوله والمعترف بها فاذا كان الفقيه المالكـــى مثلا يقبل الاحاديث الوارده فى الموطأ على انها احاديث صحاح غير مشكـــوك فيها فان المحدث يتجاوز احاديث الموطأ الى اسانيدها ومصادرها . ثـــم يذهب مباشرة الى المحدثين المعاصرين ليسمع منهم بنفسه ويستمع الى نقدهـم لاسانيد الحديث وآرائهم فى رجالها وحكمهم عليها من ناحية الصحة أو الضعف .

وهذا الاتجاه للحديث اتجاه قديم اصيل له تاريخه واعلامه وهو الاصـــل الذى نشأت عنه المذاهب الفقهيه مثل مالك وأبى الحنيفه والشافعى واحمـــد بن حنبل الذين يعتبرون من حيث المبدأ محدثين قبل ان يتجهوا الـــى التشريع ويصبحوا محدثين فقهاء . اما الذين تابعوا مذهب احد هؤلاء واكتفوا بتقليد آرائهم فى الاحكام الفقهيه فهم يعتبرون فقهاء فقط أى أنهم مطبقـــون للاحكام التى اصدرها اصحاب المذاهب مسلمون بصحة ما اعتمدوا عليه من الاحاديث وسلامة القواعد التى اتبعوها فى استخراج الاحكام وابداء الاراء . فوجـــد هناك خلاف بين الفقهاء والمحدثين حيث كان الفقهاء مسلمين بصحة ما بيـــن ايديهم ولا يريدون أن يصل الى اذهان الناس اى شك لان فى هذا الشـــك اضعافا لمقامهم كفقهاء يرجع اليهم او كقضاة يطبقون احكاما المفروض انهـــا قائمة على اسس سليمه اى ان المحدث كان بحكم طبيعة علمه فى مرتبة فوق مرتبة الفقيه ومهددا لمكانته فى المجتمع وربما لمعيشه ايضا لذلك اجتهد الفقهاء من المحدثين فى اضعاف مركزهم .

وجدير بالملاحظة ان الخط الفاصل بين الفقيه والمحدث لم يكن واضحـــا محددا دائما ومعظم المحدثين فقهاء الى حد ما فى حين ان معظم الفقهـــاء لم يكونوا محدثين . لكن هذا الخط الفاصل كان اكثر وضوحا فى الاندلـــس

منه فى المشرق لان الدوله كانت تؤيد فقهاء المالكيه وتأييد هؤلاء لهـا جعلها تسلم بالموطأ وما فيه من فائده لقبول الناس للنظام السياسى القائـم فاصبحت الدوله تعتمد فى اقامة جاهها الروحى على الفقهاء • وقد ذهب هؤلاء الفقهاء فى تأييدهم لهذه الدولة الى أن وضعوا احاديث نبويه تؤيـد احقيه بنى اميه بالحكم وبقاءهم فيه الى الدجال) ولكن ليس معنى ذلـك ان الاندلس قد خلت فى ذلك الحين من المحدثين فقد وجد دائما مالكيـون نظروا الى الموطأ على انه (مسند) والى مالك على انه محدث • وقد مضـوا فى دراسة احاديث مالك دراسه مستقله عن الاحكام والاراء التى رتبها مالـك عليها واستمروا فى هذه الناحيه دون أن يثيروا استنكار الفقهاء ونتيجة لذلـك نجد حبيب ابن الوليد المعروف بدحون الذى يقال انه كان ينتسب للبيـت الاموى وقد كان مولعا بالحديث انه لقى فى المدينه اثناء رحلته الى المشـرق جارية ضليعة فى الحديث حيث كانت تحفظ عشرة الاف حديث سمعتها من مالـك فتزوجها بدحون هذا وعاد بها الى الاندلس فانجبت له غلاما اسمته بشـرا اصبح فيما بعد كذلك محدثا •

وكان لابد لنهضه الحديث فى المشرق ان تجد لها صدى فى الاندلـس لان المجتمع الاندلسى نفسه قد ارتفع مستواه الفكرى ولم يعد يقتنـع بعلم الفقهاء المحدود • فى نفس الوقت الذى رسخت فيه اقدام البيت الامـوى الذى اثبت رجاله انهم اهل للحكم والولايه والثقة فى نفس الوقت ضعفت الدولـة العباسيه فى المشرق • فاصبحت الدوله الامويه لم تعد فى حاجة ماسـة لتأييد الفقهاء وان كان لابد من ايجاد رجال دين يؤيدونها فانها لاترضـى ان يكونوا الا من النوع الذى يناسب مفهوم الناس للعلم وذلك فى النصـف الثانى من القرن الثالث الهجرى والحقيقة ان بعد يحيى بن يحيى وأصبـغ بن خليل وعبد الملك بن حبيب لم يعد فقيه فى الاندلس يطمح الى مثل مكانهـم

الا اذا كان من طراز جديد . ومن كبار المحدثين الذين اشتهرت بهم مدرسة الحديث بالاندلس هما : محمد بن وضاح وبقى بن مخلد :ـ

كان محمد بن وضاح بن بزيغ (٢٠٢ ـ ٢٧٢) ـ (٨١٧ ـ ٩٠٠) أول من تنبه الى ذلك من شباب طلاب العلم فى الاندلس (الطراز الجديد من الفقهاء) فقد درس دراسة واسعة على شيوخ عصره فى الاندلس ورحل الى المشرق سنة ٢١٨هـ / سنة ٨٣٣م وسمع كثيرا من عدد كبير من شيوخ الحديث . وبعد ان عاد الى بلده وجد نفسه بحاجة الى علم اكثر وسماع اوفى فرحل مرة اخرى الى المشرق وفى هذه المره سمع اكثر فلم يغادر محدثا كبيرا الا ذهب اليه واخذ عنه حتى بلغ عدد شيوخه فى هذه الرحله خمسه وسبعين ومائه . ثم رحل الى الاندلس بعد ان جمع من العلم بالحديث شيئا عظيما . وقد وصف بانه كان "عالما بالحديث بصيرا بطرقه متكلما على علله ، كما كان كثير الحكاية عن العباد ، ورعا زاهدا فقيرا متعففا صابرا على الاسماع محتسبا فى نشر علمه" (١)

هذا الرجل وهب حياته للحديث والاصول فلم يطلب بعلمه وظيفة أو كسبا ماديا ولم يتعلم محمد بن وضاح الفقه أو العربية على الرغم من أن الفقه كان وسيلة الناس الى الوظائف . والعربيه التى كانت وسيلة الظهور فى المجالس والمجامع وتأليف الكتب وكان محمد بن وضاح قد اصبح من طليعة هذه الحركة الكبرى التى ستشمل الاندلس شيئا فشيئا وقد كانت له علاقة ولاء بالبيت الاموى وكما يذكر الاستاذ مؤنس أن هذا الارتباط أقعد هذا الشيخ من أحداث تغيير حاسم فى تاريخ العلم فى الاندلس لانها فرضت عليه ان يكون محافظا تقليديا

---

(١) مؤنس . شيوخ العصر ص ٤٤ .

ولذلك كان ورغم حماسه للحديث فقد كان مالكيا إن لم ينكر شيئا مما كان المالكيون يقرونه ومن لك يمكن اعتبار عمله دور انتقال من مدرسة الفقه الى مدرسة الحديث وكان معاصر ابن وضاح ، بقى بن مخلد (٢٠١ ـ ٢٧٦هـ / ٨١٦ ـ ٨٨٩م) الذى قام بالانتقال الفعلى وادخل مدرسة الحديث فى الاندلس وكان بقى على قدر من الملكات الخلقيه والذهنيه التى كانت كفيلة بان تجعله من كبار الشيوخ ٠ وقد كان متمكنا من نفسه فى علمه حيث انشأ لنفسه مذهبا خاصا فلم يتبع المالكيين ولا الشافعيين رغم انه يعتبر ممن حاولوا ادخال فقه الشافعى وكتبه الى الاندلس ٠ وقد افنى زهرة شبابه فى طلب العلم حيث رحل الى المشرق رحلتين امضى فى الاولى منها عشرين عاما وفى الثانيه اربع عشرة سنه فسمع فى الرحلتين من شيوخ بلغ عددهم ٢٨٤ رجلا وقد سمع من كل شيوخ ابن وضاح وزاد واستوسع حتى سمع عن ابى مصور صاحب الشافعى وابراهيم بن محمد الشافعى واحمد بن محمد بن حنبل وغيرهم وعاد الى الاندلس بزاد من العلم لم يدخل به احد من قبل وجانب سماعه الموطأ والمسانيد الكبرى من عالم حامليها دخل الاندلس بكتاب الفقه الكبير لمحمد بن ادريس الشافعى ومسند ابى بكر بن ابى شيبه فى الحديث وكتاب التاريخ لخليفة بن خياط وكتابه فى الطبقات وسيرة عمر بن عبد العزيز للدورقى فكانت هذه كتبا جديده على الاندلسيين وكان بعضها جديدا ايضا على المشارقة انفسهم فلم تظهر لدى المشارقه أية معارضة لقراءتها وروايتها ومناقشتها فى حلقات الدروس ٠ أما الاندلس فقد كان شيئا آخر مختلفا عن غيره من بلاد الاسلام (مثل المشارقه) لانهم تعودوا استقبال الجديد من المؤلفات فى ميدان الحديث والفقه وما فيهما من مذاهب جديده بحماس شديد حيث يعكفون على دراستها ومناقشتها والبحث فيها عن المحاسن والعيوب ٠ اما فى الاندلس فقد ارتبط الامراء والفقهاء المالكيون برباط متين من المصالح المشتركه ، فكانت

الدولة تحصل على تأييد لها من الفقهاء حينما يوجد خارج على سلطانها وبالمقابل كان الفقهاء يجدون هذا التأييد حينما يجدون اى مخالف لمذهبهم الفقهى . ولم يكن بقى من مخلد رجلا هادئا مسالما مثل صاحبه ابن وضاح فلم يكتف بالدعوه لدراسة الحديث كما فعل إبن وضاح بل أصبح يوضح للناس فضائل الرجوع الى الآثار بدل الاكتفاء بتقليد رأى مالك كما اخذ يقرأ على الناس مسند إبن أبى شيبه ويشرحه ليثبت رأيه فيه كما قرأ كتاب الامام الشافعى فأقبل الناس على دراسة الحديث وعلى دروسه بصفه خاصه فظهر من الطلاب اذكياء وجدوا انفسهم امام مستوى جديد من العلم . (١)

ومن الطبيعى أن يقف كبار الفقهاء المالكيين فى وجه ادخال مذاهب فقهيه جديده اما من ناحية الحديث فقد بلغ عداؤهم لعلم الحديث الى حد قول واحد منهم " لأن يكون فى تابوتى رأس خنزير أحب الى من أن يكون فيه مسند ابن أبى شيبه " وربما يعود السبب فى ذلك الى تمسكهم بموطأ مالك المحتوى على أحاديث رتبت حسب ابواب الفقه ولكن مالك لم يتبع فى تدوين احاديثه المنهج الذى جاء به هذان العالمان (ابن وضاح - وابن مخلد) وخاصة ابن وضاح فى محاولة تطبيقة سواء من ناحية الاسناد او قواعد القبول والفرض والتصنيف الى درجات من ناحية الصحة فكان هذا موجودا فى المدينة ولذلك كان الفقهاء الاندلسيون المالكيون المهاجمون لعلم الحديث جاهلين به .

وقد وجد بقى من مخلد الحماية من الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط بعد عهد أبيه وأذن له بتعليم ما أتى به وسمع منه هو بنفسه ، فاتيح لبقى

---

(١) مؤنس . شيوخ العصر . ص ٤٤ / ٤٧ .

ابن مخلد ان ينتج الكثير من مصنفاته منصفه الكبير الذى رتبه على اسماء الصحابه ثم رتب حديث كل صاحب على اسماء الفقه وابواب الاحكام فهو مصنف ومسند . فقد روى عن مائتى رجل واربعة وثمانين رجلا ليست فيهم عشرة ضعفاء وسائرهم اعلام ومشاهير . ثم الف كتاب آخر فى التفسير .

وعلى الرغم من عنف الهجوم الذى شنه الفقهاء الاندلسيون على بقى بن مخلد وادخاله لبعض كتب الشافعى الا أن بقى كان من ناحية فقهيه كان متحيزا لايقلد احدا . (١)

نتائج سيطرة آراء مالك واصحابه فى الاندلس :

فمن المعروف على أثر عودة بعض العلماء الاندلسيين من المدينة الى قرطبة الذين تابعوا تعاليم مالك بن أنس فنقلوا الى أمير قرطبة المودة التى يكنها عالم المدينة العظيم للامارة الامويه وقد كان لاعتناق أسبانيا العربية لهذا المذهب تأثير رئيسى بعيد المدى على مستقبلها. فقد حررت الدولة الامويه من الولاء الدينى للعباسيين . وقد شهدت أسبانيا منذ إعتناقها المذهب المالكى نشوء مدرسة دينيه سرعان ماتجاوزت شهرتها حدود العالم المغربى وقد عمل على انتشارها أعلام من المجتهدين مثل عبد الملك بن حبيب صاحب الوديعه ومحمد العتبى . (٢)

ولم يقتصر سير الاندلس وراء الفقهاء المدينيين على امور الفقه فقط بل انعكس هذا على امور اخرى. فمن القراءات السبع المشهوره شملت الاندلس

---

(١) بروفنسال . حضارة العرب فى الاندلس ص ١٧٨ / ١٨٠ .
(٢) بروفنسال . المرجع السابق ص ٤٣ / ٤٤ .

قراءة نافع قارئ اهل المدينة ، وينسب لمالك بن انس قوله " قراءة اهل المدينة سنه قيل له قراءة نافع . قال نعم " . وتطور الامر الى تقليد الاندلسيين للمدينيين فى نقط المصحف وشكله . (١)

هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد تحدد الموقف السائد فى الاندلس تجاه علم الكلام والمتكلمين برأى مالك واصحابه فيه . وعلم الكلام هذا هو الدفاع عن الحقائق الايمانيه ببراهين عقليه . (٢) ويقول مالك بالنسبة لمن يعتمد ايمانه بالدين على الجدل " أرأيت ان جاء من هو اجدل منه ابدع فى دينه كل يوم لدين جديد " وقد جد لاصحاب الكلام تركيز الاعتقاد فى صفات الله واسمائه وصبها فى قوالب المنطق اليونانى فاذا وجدوا آية من الآيات القرآنيه الكريمه تخالف مقتضيات ذلك المنطق لجوأ الى التأويل .

وكان فقهاء المالكيه فى الاندلس يرون أن " ليس فى الاعتقاد كله فى صفات الله واسمائه الا ماجاء منصوصا فى كتاب الله اوصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمعت عليه الأئمه وماجاء فى اخبار الاحاديث فى ذلك كله أو نحوه يسلم له ولايناظر فيه " ولذلك فان مالكا واصحابه اعتبروا أهل الكلام هم أهل الاهواء والبدع ولذلك فصيرهم النار لاتؤخذ عنهم الرواية ولاتقبل لهم شهادة فى الاسلام ويؤدب على بدعته بأن يدعى للرجوع الى السنه والجماعة فان رجع قيل منه وإن أبى ضربت عنقه . (٣)

---

(١) بدر . المرجع السابق ص ١٧٣ / ١٧٤ .
(٢) ابن خلدون ـ المقدمه ص ٨٢١ .
(٣) بدر . دراسات فى تاريخ الاندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة ص ١٧٣/١٧٤ .

ونتيجة لهذه الاراء تكون فى الاندلس رأى عام معاد لعلم الكلام ولم يستطع الامراء والخلفاء التسامح مع هؤلاء رغم شهرتهم بالتسامح مع الجميع .

وكان نتيجة الابتعاد عن الجدل فى شئون الدين وعدم الاعتماد على النظر والقياس كحجج فى شئون الدين ان تحدد موقف الفقهاء الاندلسيين فى الجدل مع أهل الذمه . فيدعونهم الى الاسلام فان اسلموا كف عنهم وان رفضوا ودفعوا الجزيه كف عنهم وقبل منهم . أما ان يناظروا على ان لا يحتج عليهم بالكتاب ولا بالسنه فهذا لا يجوز ولذا اندهش الفقهاء الاندلسيون أن يشاهدوا فى مجالس اهل الكلام فى العراق حضور اناس من شتى الاتجاهات والديانات والمعتقدات ويتعاملون على قدم المساواة ويتناظرون بحجج العقل وما يحتمله النظر والقياس فرأوا فى ذلك ذهاب حرمة الاسلام فامتنعوا عن حضور هذه المجالس .(١)

---

(١) الحميرى . ص ١٠١ _ ١٠٢ .
بدر . دراسات فى تاريخ الاندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة ص ١٧٤ / ١٧٥ .

نهضة علوم اللغه والادب :

نتيجة للاوضاع السياسيه والدينيه كان الوضع اللغوى والادبى فى الاندلس على الرغم من العرب الفاتحين لدى قلة بالنسبة لمجموع الناس الا أنهم كانـــوا هم الحكام ولذلك فان لغتهم هى لغة الاداره كما انها لغه الدين الاسلامـــى الذى اعتنقه عدد كبير من السكان وهذا ماجعل سيطرة اللغة العربيه تسيــــر بمرور الزمن وتستمر فى المجال الثقافى وتأخذ من اللغه اللاتينيه الفصحى أهلها هذا مادعا رجال اهل الكنيسه الاسبانيه ان يكثروا من الشكوى والتألم .

أما اللاتينيه العاميه او الرومانيـه التى يذكرها الكتاب العرب مــــرة باسم اللاطينيه او العجميه لم يصبها ما اصاب اللاتينيه الفصحى من انكمـاش وانحسار وبذلك تعتبر الرومانسيــه لغه شارع متداوله الى جانب العربيـــــه ويفهمها كل الناس . كما ان اكثر الناس المثقفين ثقافة اسلاميه عربيه عاليـــه مثل القضاة وغيرهم كانوا يعرفون اللغه الرومانسيه واننا نستنتج هذا من القصـــة التى يرويها الخشنى وهى كمايلى :

ان والد نصر الفتى المسيطر فى بلاط الامير عبدالرحمن الاوســـــط وكان اعجمى اللسان " جاء الى القاضى وهو متصرف الى داره فصاح علـــــى البعد بالعجميه : كلموا القاضى يثبت على اكلمه فقال القاضى : بالعجميـــه ان القاضى قد ادركه السامه من طول الجلوس للقضاء " .

وبعد هذا العصر نجد الشعراء يستخدمون الرومانسيه للتعبير عــــن الكلمات البذيئه اثناء هجوهم فى حضرة الخليفة . واخيرا اصبح كل عناصـــر السكان يتكلم بها الى جانب العربية لدرجه انها اصبحت شيئا طبيعيا ولاتعتبـــر شاذه عن القاعده العامه . كان تكلم العرب فى الاندلس باللغه الرومانسيـــه

الى جانب لغتهم العربيه نتيجة طبيعية ومنطقية لانهم اختلطوا باكثرية تحيط بهم تتكلم بهذه اللغه وقد تم هذا الاختلاط فى محاولات متعدده كان منها العمل والسكن وصورة اكمل فى البيت والزواج بدأ ذلك منذ الفتح الاسلامى للاندلس حيث نرى بن موسى بن نصير وقواده يتزوجون بالنساء من علية القوت فظلت هذه العاده واستمرت فى العصور التاليه • حتى اصبح ان امهات الامراء كلهن اسبانيات • ومما لاشك أن العربى حين تكلمهم بلغة اخرى الى جانب لغتهم ادى الى وجود لغة عربية عاميه مختلطة بالرومانسيه اداة التعبير فى الزجل الاندلسى مما جعلها خطرة على اللغة الفصحى فأوجد ضرورة حفظ كلماتها الاصلية . هذا بالاضافة الى اقبال السكان الذين لا يعرفون الفصحى على تعلم اللغه العربية اوجب وجود قواعد لتسهل عليهم التعلم هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان الاوضاع فى العراق وهى حركة جمع اللغه والادب الجاهلى وتصنيف المعاجم واستنباط قواعد النحو كانت من جملة الاسباب لتكرر فى الاندلس خصوصا بعد ان اصبح طلاب العلم الاندلسيون قد جعلوا العراق قبلتهم الاولى لطلب العلم وحمل مايستطيعون من كتب او روايات الى بلادهم الاندلس

وتعتبر هذه الفترة فى الاندلس هى فترة الازدهار من عصر الاماره وقد شهدت النتاج المشرقى من علوم اللغه والنحو مع علوم الدين وتم هذا النقل منذ ان كانت عملية جمع اللغه والشعر القديم واقامة قواعد النحو قد بدأت خطواتها الاولى وكان منهم من ادرك الاصمعى واخذ عنه مباشرة ولم يكتف بان يكون ناقلا بل سار على طريقة المشارقة بأن داخل الاعراب وحمل ماتجمع له من شعر وروايه •

ثم كتب فى هذا المجال • ومن المشاهير فى هذا المضمار محمد بن عبد السلام

الخشنى الذى امضى فى العراق خمسة وعشرين عاما فأخذ بالاضافة الى علوم الدين ، علوم اللغه والنحو الشعر الجاهلى عن طبقة المشاهير كالاصمعى وابى عبيده معمر بن المثنى وسيبويه ومع هذه الروايات ، وحمل كتبا من بغداد مثل كتب ابن سلام حمل كل هذا الى الاندلس على الرغم من انها سبقته الى الاندلس بالاضافة الى جودى بن عثمان النحوى المتوفى سنة ١٩٨هـ . الذى قام بلقاء الكسائى والفراء اثناء رحلته للمشرق وهو أول من ادخل الى الاندلس كتاب الكسائى .

هذا بالاضافة الى دخول المعاجم المصنفه فى المشرق الى الاندلس فى هذه الفتره منها كتاب العين وكتاب العروض للخليل بن احمد الفراهيدى وقد اهداه تاجر للامير عبد الرحمن الثانى وقد صعب فهمه لدى رجال البلاط ففسره عباس بن فرناس (١) وقد برع فى اللغه العربية وعلومها الكثير من رجال الاندلس وعلت شهرتهم واصبحت لديهم الرياسة احيانا فى اللسان العربى ومن هؤلاء ابن سيدة صاحب المخصص والمحكم . وابن مالك صاحب الالفيه التى لقيت فى الشرق والغرب اهتماما كبيرا من الشيوخ والطلاب حيث كان كل من يحفظها ويدرسها يرغب فى التفوق والبراعة فى اللغه .

ومن أئمة اللغه الاندلسيين ابن خروف وابن الحاج الذى برع فى لسان العرب وفى العروض . كذلك ابوعلى الاشبيلى المعروف بالشلوبين وابوحيان الغرناطى وبجهد هؤلاء الائمة بالاضافة الى جمال وسحر اللغه العربيه انتشرت هذه اللغه انتشارا واسعا فى اسبانيا حتى اصبحت لغه الناس جميعا وهجرا

---

(١) بدر ــ دراسات فى تاريخ الاندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة ص ١٨٠ الى ١٨٤.
انظر الزبدى طبقات النحويين ص ٢٩١ ــ ٢٩٢.

اهل اسبانيا اللاتينيه لغتهم الاصليه واشتغلوا باللغه العربيه وآدابهـــا فهم لايكتبون بغيرها حتى أن احد علمائهم المشهورين شكا ذلك وقال اننـــا نحب قراءة الشعر والقصص العربيه وندرس المسائل الدينيه والفلسفه الاسلاميه باللغة العربية لنتعلم لغه وثيقة وعباره بليغه ولايكاد يوجد عندنا من يقرأ الكتاب المقدس باللغة اللاتينيه كما كان شبابنا الاذكياء لايعرفون غير لغه العـــرب وآدابها لانهم يقرأون الكتب العربيه ويدرسونها بهمه عظيمه ويدعوهم كثرة اطلاعهم على تلك الكتب الى الاعجاب بآداب العرب فاذا حدثتهم عن كتاب من الكتـــب اللاتينيه سخروا منها وقالوا انها لاتستحق عنايه قارىء او مستفيد ونتيجـــة ذلك هجر المسيحيون لغتهم فلا تكاد تجد فى الالف منهم واحدا يمكنـــه ان يكتب رساله باللاتينيه اما اذا ارادوا ان يكتبوا باللغة العربيه فان كثيـــراً منهم يكتبون بعبارات بليغه واسلوب منمق وقد يفوقون العرب انفسهم فى ذلـــك حتى فى الشعر ونظم القوافى . اما فى القرن التاسع وفى بدايته كانت اللغـــه العربيه هى لغة الوثائق الرسميه ، وقد ترجم قسيس من اهل اشبيليه التـــوراه الى اللغة العربية لتلاميذه ، فغضب منه زميل له واتهمه بنشر اللغة العربيـــة فدافع القسيس عن نفسه بأن هذه هى الوسيلة الوحيدة لتعليم التلاميذ . وقـــد استمرت هذه الطريقة زمنا طويلا فى قرطبة وطليطله حتى بعد عهد الفونـــس السادس على طليطله سنة ١٠٦٥ م . وقد ذكر الشلبى " أن ادب اهل اسبانيا مأخوذ من ادب العرب ومتأثر به ولاشك ان الاسبانيين مدينون للعرب بلغتهـــم وآدابهم ومعارفهم الفلسفيه ". (١)

---

(١) شلبى . موسوعه التاريخ الاسلامى جـ ٤ ص ٨٩ الى ٩١ .

وفى باب الادب اشتهرت فى شبه الجزيره الايبيريه اسماء مازالت تلمع عند المشارقه حتى الان ومن هذه الاسماء سواء من الكتاب او الشعراء الاندلسيين

ابن عبد ربه مولى الامويين فى قرطبة فى القرن التاسع وبداية القرن العاشر صاحب العقد الفريد وهو عباره عن منتخبات تأثر فى اختيارها الى حد كبير بعيون الاخبار لابن قتيبه ولم يفرد فيه للثقافه الاندلسيه المجال الذى تستحقه . وكذلك ابو على القالى وهو عراقى الاصل اقام فى اسبانيا وبجانب انه اديب فقد كان على سعة من العلم لا مثيل له حيث اصبح مربيا للحكم الثانى . (١)

هذا بالاضافة الى ابن بسام مؤلف الذخيره فى محاسن اهل الجزيرة والفتح بن خاقان مؤلف كتاب القلائد . والحجارى مؤلف المسهب فى فضائل المغرب . وابو عامر بن شهيد مؤلف التوابع والزوابع والحميد مؤلف كتاب جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الاندلس . وابن الخطيب مؤلف الاحاطة فى اخبار غرناطة .

ومن الشعراء الممتازين يحيى الغزال وابن هانئ وابن الخطيب ايضا وابن زيدون والمعتمد بن عباد وغيرهم كثير وفى الاندلس ظهرت الموشحات والازجال وكلها لها طابعها وجمالها . (٢)

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان " مقامات " الحريرى الذائعة الصيت قد نالت منذ حياة مؤلفها شهرة فائقة فى اسبانيا . وبعد قرن من الزمان

---

(١) برفنسال . حضارة العرب ص ٥٧ .
(٢) شلبى . موسوعة التاريخ الاسلامى جـ ٤ ص ٩١ .

شرحها وفسرها الشريشى وهو اندلسى من مدينة Jerez .

أما بالنسبة للاشعار العربية القديمه كالمعلقات والدواوين الستفقد لقيت فى اسبانيا من يشرحها من النابهين كان اهمهم يوسف الاعلم فى سانتا ماريا دى الفارفا وهى مدينة صغيره تقع حاليا على ساحل البرتغال الجنوبى ، وهى غير بعيده عن القسم القديم من سلفس الاندلسيه التى اشتهر سكانها فى القرون الوسطى بالفصاحه .

وقد قام الافليلى Al-ifdili — فى قرطبه بشرح لشعر المتنبى فى مطلع القرن الحادى عشر .

وبذلك يتضح لدينا الى أى مدى اثرت دائرة المشرق والكلاسيكيه العربيه فى جميع العصور على الاهتمامات الجديه لاسبانيا العربيه وتبدو هذه الدائره وكأنها تفسح المجال لظهور بوادر اكثر اصالة فى الفكر الاسبانى فكانت متينه الاثر فى غالبية الطرق الادبيه التى ساهمت اكثر من غيرها فى شهره الثقافة العربيه فى اسبانيا واصبحت للشعر دراسة متطوره حديثه فيها اناة ودقة علميه فيما بعد كما كانت للشعر مواضيع عديده فهى ليست مستيلهمة ومستوحاه من طبيعة ذات جمال من نوع خاص فحسب وانما من الحب والصداقة والمديح والهجاء واللذه والالم والتفاؤل والشعر المنجع بالحياه . وكلها نابعة من العصور الماضيه للاسلام فى اسبانيا وخاصة فى القرن الحادى عشر . غير أن هذا الشعر يعتبر فى اجماله شرقيا كلاسيكيا الى حد بعيد ويبدو لنا ذلك الشعب الذى تمرن على اللغة العربية الفصحى وهى لم تكن لغة آبائه ولا اجداده قد برع فيها. غير أن هذا الشعب كان يشعر احيانا بلا شك أنه مأسور برضاء خاطره وبدون ان يفك هذا الاسر تخلص منه فى

الوقت المناسب ليستنشق الهواء وهكذا تحرر من قالب الشعر التقليدى الطاغى فابتكر الاطارات الاكثر مرونه للزجل والموشحات لكى يضمنها بطلاقة تلك المواضيع العفويه لالهامه الغنائى وقد لاقت فى البداية نجاحا عاما فى المشرق حيث وجدت شهره فائقه . (١)

وعلى أى حال نستطيع القول بأن مسلمى اسبانيا كانوا فى جميع العصور التى حكمهم فيها المسلمون تعتبر من بينهم نسبه مئويه عامه تتكلم لغتين معا وتستعمل بلا تمييز العربية والرومانيه سواء فى منازلهم أو على الطريق العام . ولا جرم أن المسلمين الجدد كانوا يشكلون فى هذه النسبة المتكلمة اللغتين الغالبيه غير أن العرب يأنفوا أو يمانعوا فى استعمال اللغه الرومانيه سواء فى احاديثهم الخاصه أم فى صالونات منازل الامراء انفسهم فاصبحت على كل مستويات المجتمع .

وقد تغلغلت الرومانيه فى العربيه العاميه فى شبه الجزيره وتوجد فى المعاجم العربيه اللاتينيه التى وضعت فى اسبانيا فى العصور الوسطى وكذلك فى الكلمات العديده المتبقيه من اصل رومانى فى التعابير العربية فى شمال مراكش والمدن الكبرى ذات التقليد الاسبانى مثل ماس وتطوان وطنجه . وكما يذكر بروفنسال قوله : ويكفى ان نستعرض اعمدة القواميس التى عملت اسبانيا المسيحيه على تأليفها ايفاء لمآرب المبشرين عندما شرعت فى ارجاع المقاطعات المسترده من اسلامها لكى نقدر مدى الاثر الذى خلفته اللغة الرومانيه فى تكوين اللهجات التى تكلمها المسلمون فى شبه الجزيره بعد أن نترك بالطبع التعابير الدينيه المسيحيه التى هى نفسها عربيه صرفه فى اكثرها .

---

(١) بروفنسال . حضارة العرب ص ٥٨ الى ٦٠ .

ثم يذكر ان دراسة هذه الاستعارات تقدم لنا قيمه فى فقه اللغه قد بررت هذه الاستعارات اللغويه على الاثر العميق الذى مارسته الثقافه العربية الاندلسيه على السكان المسيحين فى الكتله الايبيريه بكاملها حيث أن اللغه الاسبانيه قد اشتقت من حيث جوهرها من اللهجات الايبيريه اللاتينيه التى كانت تشكل الرومانيه الاسبانيه قد وجدت نفسها مضطره طيله مرحلة نموها وحتى القرن الحادى عشر على الاقل الى أن تأخذ من العربية كل ما كان ينقصها حتى ذلك الوقت للتعبير عن المفاهيم الجديدة •

واذا نظرنا الى اصطلاحات التنظيم المدنى او العسكرى فى اسبانيا سواء فى العصور الوسطى أو فى العصر الحديث فاننا نجد فيها عددا كبيرا من المفردات ذات الاصل العربى ففى مراتب الجيش يطلق على رتبه الملازم حتى الآن Alferez وهى الكلمة العربية التى تعنى الطليعه والموءخره هى Zuga وهى الكلمة العربيه الساقه • كما انها مازالت مفردات التحصين كلها تقريبا هى نفسها التى كانت فى العصر الاسلامى • وكذلك فان العربيه تحتل فى تعابير البناء مكانا كبيرا فالمعمارى يسمى Albanil من الكلمة العربية البنا • والمدسه Tabia. من العربية الطابيه ويسمى الاجر Adobe من العربيه الطوب الى غير ذلك من التعابير • قد استعمل مسيحيو اسبانيا الكلمات التى تدل على المناصب المدنيه مثل كلمتى صاحب المدينه وصاحب الشرطة وغيرها من مفردات تشمل الحياة اليوميه ومازالت العربيه باقية حتى الان فى لغة الريف الصحيحه فى مفردات بعض المصطلحات الزراعيه • كذلك اصطلاحات الرى الا الشاذ منها مثل النوريا Noria وهى كلمة انتقلت من الاسبانيه الى الفرنسيه ولم تكن غير الكلمة العربية ناعوره • (١)

---

(١) بروفنسال • حضارة العرب ص ٧٩ الى ٨٣ •

نهضة العلوم الانسانيه :

أخذ الاندلسيون علومهم الانسانيه وخاصة علم التاريخ من المشرق كما هى العاده فى اخذهم من كافة المعارف والعلوم المختلفة ، وكان ما أخذوه من اخبار تاريخيه تعتبر مختلطة فى كثير من الاحيان مع المعلومات الدينيه وكان ذلك يتم اما عن طريق حفظها فى الصدور او بحملها لكتب حيث شملت هذه الاخبار مواضيع متعدده منها تاريخ وقصص الانبياء والاسرائيليات التى نشرها بعض أهل الذمه الذين اسلموا ، بالاضافة الى اخبار الخلفاء الراشدين والامويين وكذلك اخبار فتح الاندلس وذكر امرائها .

أما الاماكن التى استقوا منها هذه الاخبار فكانت المدينه مركز دراسات الحديث والسيره بالاضافة الى مصر التى كانت على طريق الاندلسيين والمحطة التى يحطون فيها رحالهم ليستريحوا فيها على هذا الطريق ، هذا وقد اقام فيها عدد من اتباع موسى بن نصير الذين دخلوا الاندلس اذ يعتبرون من المصريين ، وبذلك انتشرت هناك الاخبار المختلفة والمتناثره لفتح الاندلس سواء عن هؤلاء او عن بعض ابنائهم وتلاميذهم او عن بعض الجند الذين اشتركوا فى الفتح ثم تتلمذوا على ايدى شيوخ مصريين . وقد ضمنت هذه الاخبار الشئ الكثير من الخرافه وتفاصيل اسطوريه كثيره ، وربما يعود السبب فى ذلك الى من اخذها ثم رواها عن القصاص .

اما بالنسبة للكتب التاريخيه التى سجلت الروايات دخولها للاندلس فمنها ماكان له صلة بالحديث مثل كتب الرجال والطبقات والسير وقد ادخل منها الى الاندلس بقى بن مخلد كل من كتابى خليفة بن خياط فى التاريخ والطبقات وكتاب سير عمر بن عبد العزيز للدورقى ومنها كتاب عن فتح الاندلس

الذى ألفه المصرى بن عفير واستمر فى الاندلس مستعملا حتى الفترات الاخيره من تاريخها .

ومن مؤلفات الاندلسيين المقتبسه من الانماط التاريخيه التى تعرفوا عليها كثيره ومؤلفيها ايضا منهم :
يحيى ابراهيم بن مزين (ت ٢٥٩ هـ) ٨٧٢م . ألف كتابا " عن رجال الموطأ " وتحدث ضمن موضوعاتها عن فتح الاندلس اما ماعدا ذلك فهى مختلفة عن بعضها فى المحتوى كما يذكر د . احمد بدر فقسم قد صيغ شعرا وعرض الفتح على الطريقة المعهودة فى الانحاء الاخرى فى الاماكن الأخرى من العالم الاسلامى لكتب الفتوح وتتعدى ذلك لتصبح تواريخ محليه فتذكر الـولاه والامراء وسنوات حكمهم حتى زمن المؤلف . (١)

ومن هذا تؤلف الارجوزه ومنها الارجوزه المشهوره لتمام بن عامر ابن علقمه (١٩٤ ـ ٢٨٣هـ) وهو احد الوزراء للامير عبدالرحمن بن الحكم ويذكر د . بدر انه يرجح ان الشاعر يحيى الغزال قد سار على هذا الطريق قبل تمام بن عامر . والغزال قد اشتهر بالسفارات التى قام بها لعبدالرحمن الثانى وقد كتب ارجوزة عن فتح الاندلس ذكر فيها فتح الاندلس كما فصل فى المعارك التى دارت بين العرب المسلمين واهلها وعدد الامراء عليها واسماءهم ويقول ابن حيان انها موجوده فى عصره وهو الخامس الهجرى .

ويوجد قسم آخر من كتب الفتوح بحث فى التركيب القبلى للموجة العربيه

---

(١) بدر . دراسات فى تاريخ الاندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافه ص١٨٥ .

الفاتحه التى أتت فى حمله موسى بن نصير فقط . وكما يذكر د . بدر أنه يوجد سفر صغير فى هذا الموضوع نسب الى محمد بن موسى الرازى (٢٧٣هـ/٨٨٦) جد عائله المؤرخين المشاهير فى عصر الخلافة حيث كان هذا الجد تاجرا مشرقيا له اتصال بالامير محمد لانه عمل لديه فى التجسس على اوضاع المشرق اذ كان هذا الامر مهما لدى الامير فألف كتابا أسماه "بكتاب الرايات" ذكر فيه دخول موسى بن نصير الى الاندلس وكم راية دخلت معه من قريش والعرب ، كما وضح فيه سائر البيوتات من الذين لم يدخلوا برايات ، كما ذكر موضع اجتماع موسى بقادته حملة الرايات فى مكان من الجزيرة الخضراء لم يتركه موسى حتى امر بتخطيطه واتخاذه مسجدا سمى بمسجد الرايات . وقد ناقش الاستاذ بدر موضوع كتاب الرايات هذا عن طريق كل من المؤلفين الفاضلين بروفنسال ومؤنس فذكر :

ان بروفنسال فى العصر الحديث ينفى ان يكون كتاب الرايات هذا للرازى بحجة عثوره على نص لحفيد الرازى هذا - يذكر فيه احوال جده كلها دون اى اشارة لوجود كتاب له عن اى موضوع تاريخى لكنه يعترف بأن فى مخطوط النص خرق فى بعض الاماكن . ويستطرد د . بدر ويتساءل يقول : هل ورد ذكر لذلك فى مكان الخرق ؟ كما ينفى نفس المستشرق ان يكون قد ظهر تأريخ فى هذه الفترة معتمدا فى ذلك على جملة لحفيد صاحب كتاب الرايات هذا يعزو فيها انشاء هذا الفن فى الاندلس لابيه وقلة اهتمام الاندلسيين به قبله . لكن جملة الحفيد يمكن تفسيرها بأن التاريخ ربما أقتصر فى نظره على تلك الاعمال التى تنظم احداث الماضى كلها ضمن اطار حولى محدد ومفصل اما تراجم الرجال ومجموعات الاخبار عن حادثة ما فلا يمكن اعتبارها تاريخيا او بدايات للتاريخ . بينما يرى الدكتور مؤنس

أن هذا الكتاب (الرايات) كتاب هام وأن ما ألف من رسائل فيما بعد عن منازل العرب فى الاندلس يرجع الفضل فيه الى ما دونه الرازى فى هذا السفر الصغير بالنسبة لاوسع مؤلف تاريخى ظهر فى فترة (ت ٢٣٨ أو ٢٣٩ أو ٨٥٣ . ٨٥٤ م) فكان لعبد الملك بن حبيب :

وهو من موالى سليم فكان حافظا للفقه على مذهب المدنيين وله فى الفقه مؤلفات تعتبر من الامهات عند الاندلسيين ٠

وقد حصل على معلوماته التاريخيه عن طريق ما سمعه فى بلده أولا ثم ما سمعه فى مصر والحجاز ، وقد لقبه بعض معاصريه بعالم الاندلس وعندما سئل عن عدد الكتب التى ألفها أجاب بأنه ألف الفا وخمسين كتابا وكان بعضها فى التاريخ ومن كتب التاريخ كتاب فى الطبقات للفقهاء والتابعين ٠ وله كتاب آخر بعنوان " التاريخ " ويذكر الدكتور بدر أنه مخطوط ومحفوظ فى مكتبة البودليانا باكسفورد حيث يحتوى على (٦٢١) صفحه ويرد فى الصفحه الاولى مضمون الكتاب كتاب فى ابتداء خلق الدنيا وذكر ما خلق الله فيها من ابتداء خلق السموات وخلق البحار والجنة والنار وخلق آدم و حواء وما كان من شأنهما مع ابليس وعدة الانبياء الى محمد صلى الله عليه وسلم ٠ وعدة الكتب المنزله وعدة الخلفاء إلى حين إستفتاح الأندلس وما وجد فيها من الذهب والفضه والجوهر والياقوت والزمرد والامتعه وما أخذ منها وعدة ملوكها ومن وليها ومن يليها ٠ كما ذكر شئ من الحدثان وما فى بعض البلدان وكم عمر الدنيا وما مضى منها وما بقى الى أن تقوم الساعة ٠

وهذا يدل على أن الكتاب فى التاريخ العام حتى فتح الاندلس وبعد ذلك يأتى التفصيل فى تاريخ هذا البلد ٠ كما أن الكتاب يتضمن دراسة النواحى السياسيه كما يحتوى فصولا عن الفقهاء الذين عاشوا فى مكة والمدينه أيام الصحابة

كما ذكر فضائل بعض الشخصيات قضاة قرطبه •

اما مصادر ابن حبيب الاساسيه فى هذا الكتاب فقد كانت المدرسه المصريه اذكر منهم الليث بن سعد وعبدالله بن وهب • ويرجح الدكتور بدر أن الواقدى مصدره الاساسى عن السيره وتاريخ الخلفاء الراشدين والامويين • كما يضيف أن عددا من مشاهير المؤرخين الاندلسيين الذين عاشوا فى القرن الرابع كالرازى اعتمدوا على ابن حبيب ونقلوا عنه • هذا بالاضافة الى أن كتاب ابن حبيب يعتبر واحدا من اقدم ماالفه العرب فى التواريخ العامه • (١)

---

(١) بدر — دراسات فى تاريخ الاندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة ص ١٨٥ الى ١٨٦ •

نهضة العلوم البحته : (الفلك والطب) :

الفلك : أوعلم الهيئه :

ان ابن خلدون قد عرفه بأنه علم ينظر فى حركات الكواكب الثابته والمتحركه (١) اذ هو يحتوى على ماهو مهم وضرورى لتحديد القبله وتعيين مواقيت الصلاه . كما كانت الفتره التى قبل فترة الازدهار هذه من يلم بهذه الامور الضروريه . اما فى هذا العصر فقد اشتهر مسلم الليثى المعروف بصاحب القبله بدراسة هذا العلم على الاسس العلميه المعروفه آنذاك عند اليونان من اهتمام بشكل الارض واختلاف المناخ من بقعه الى اخرى فى الارض بالاضافة الى ذلك من التنبوء بمصير الناس وارزاقهم من حركات النجوم اى أن علم الفلك كان لايزال مختلطا بالتنجيم . (٢)

وكان الامير عبدالرحمن الثانى يبرز فى ملامح حامى العلماء وصديق الادباء والفنانين خصوصا وانه هو نفسه شغوف بكل مايتصل بعلمى الفلك والتنبوءات لدرجه أنه ارسل قبل توليته الحكم عالما من قرطبة وهو عباس بن ناصح الى العراق يتتبع الآثار العلميه المنقوله الى العرب عن اليونان والفرس واستنساخها له . لان الامير عبدالرحمن يجد لذة خاصه فى دراسة الكتب القديمه فى الفلسفة والطب ولكى يشبع رغبته فى استطلاع المستقبل فقد احاط نفسه بجماعة من علماء الفلك وعين لهم رواتب ضخمه فكانوا يراقبون معه السماء ومجموعاتها الكوكبيه للتوصل الى استكشاف طوالعها حتى فى الظروف التافهة للحياة اليوميه . وبذلك يتضح لنا أن هذا الامير قد وزع وقته بين مراقبات كثيره سواء من الاعمال العمرانيه وبين الصيد الى غير ذلك من الاعمال الهامه وغيرها التى تهم أمور دولته وبين دراسة

---

(١) ابن خلدون — المقدمه ص ٩٠٥ .

(٢) بدر . المرجع السابق ص ١٨٩ .

السماء وبين شئون الدوله وبين الحلقات الأدبيه والموسيقيه .(1)

هذا ويحفل تاريخ العلوم الاسلاميه بمختلف العبقريات التي استطاعت ان تحقق اروع الغزوات في ميادين العلوم المحضه كالطب والكيمياء والرياضيات والفلك والنبات والحيوان وغيرها فتفتحت بذلك الطريق للاجيال اللاحقه من علماء العصر الحديث ويعتبر عباس بن فرناس القرطبي عبقرية علمية وادبيه اسلاميه فذه لانه لم يكتف بمعالجة البحوث العلمية التي كانت موجودة في عصره ولكنه لجأ الى انواع فريده لم يفكر فيها احد قبله فهو فيلسوف وعالم رياضي وطبيعي وكيميائي وفلكي من الطراز الاول كما هو موسيقى بارع واديب وشاعر وهو بالاضافة الى ذلك أول عالم حاول ان يغزو الجو وأن يخترع اداة للطيران . كما ساهم اخيرا بقسط بارز في ثراء قرطبة الحضاري العظيم .

فقد درس في قرطبه من بدايه شبابه فبرع في الفلسفه والكيمياء والطبيعة والفلك . وكان ظهوره منذ ايام الحكم بن هشام امير الاندلس المتوفي (سنة ٢٠٦ هـ ٨٣٢ م) ثم عاصر من بعده ابنه الامير عبد الرحمن الاوسط ثم حفيده محمد بن عبد الرحمن

ظهر في ميدان العلوم البحته وهذا الميدان هو الميدان الحقيقي الذي تفتحت فيه مواهبه المدهشه فاندفع واجتهد في معالجة البحوث الطبيعية والكيمائيه والفلكيه فلم يقتصر في معالجتها كغيره على النواحي النظريه والتجريبيه لكنه استمر واندفع الى الميدان العملي حيث وصلت تجاربه في ميدان الكيمياء الصناعية الى اختراع صنع الزجاج من الرمال ومن الرمال والحجاره فكان لذلك شهرة عظيمة كانت له فيما بعد نتائج عمليه عظيمه . هذا بالاضافة الى أنه

---

(1) بروفنسال . حضارة العرب . ص ٤٦ / ٤٧ .

عكف على الدراسات والبحوث الرياضيه والفلكيه فتوصل الى اختراع عدد من الآلات الفلكيه الدقيقه منها آلتان الاولى واسمها " ذات الحلق وهى عبارة عن عدة حلقات متداخله فى وسطها كرة معلقة تمثل حركة الكواكب السماويه " وهذه كانت فى عهد الحكم (٢٠٦ ـ ٢٣٨هـ) وقدمها له ابن فرناس بأبيات شعريه ، اما الثانيه فهى آله المقياس الزمنى سماها ابن فرناس " بالميقاته " ورفعها الى الامير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ ـ ٢٧٣هـ) وقال فيها ابيات شعريه ايضا

وأشهر ما اقترن باسم ابن فرناس محاولته اختراع آله يستطيع الانسان ان يطير بها فى الجو ، وقد قام بالفعل بتجربته الخطيره امام اهل قرطبه " فكسى نفسه بالريش ثم مد لنفسه جناحين على وزن وزنه .. " ثم صعد الى ربوة عالية بناحية الرصافه واندفع فى الهواء طائرا " فحلق فى الجو حتى وقع فى مكان مداره على مسافه بعيده " وبذلك اصبح ابن فرناس متفردا فى ميادين الاختراعات العلميه على هذا النحو المدهش . ومن اجل ذلك فقد اثار هذا العلامة الفذ ببحوثه واختراعاته العلميه الفريده حسد الفقهاء وشكوكهم كما اثارت بحوثه الكيميائيه والفلكيه فى دار الريش الفرس فى قرطبه ظنون العامه ودهشتهم مما جعلهم يعتقدون انه جن او طار عقله وانه يتمتع بقوى شيطانية خارقة مما جعل سعاية اعدائه من الفقهاء وغيرهم الى اتهامه بالكفر والزندقه واتيان الخوارق الشيطانيه ونتيجه لذلك اعتقل وقدم للمحاكمة . (١)

وبما أن ابن فرناس كان يزاول علما لم يكن مطروقا فكان الناس يسمونه السحر وكان العلماء امثاله مضطهدين فى اوروبا فكانوا يقتلونهم ويحرقونهم كما كانت نظرة الناس الى كل من يشتغل فى علم الكيمياء والطبيعيات أنه رجل ساحر شرير أما دراسة

---

(١) عنان : تراجم اسلاميه شرقيه واندلسيه ص ٢٦٦ الى ٢٦٩ .

ابن فرناس لعلم الفلك انه قام بتجارب عمليه وتوسع فى دراسته لها حيث رسم فى بيته شكل القبة السماوية وقسمها الى بروج ومنازل للشمس وللافلاك على مدار السنه وحاول ان يبين اختلاف الفصول واوجه القمر وكان يمثل ذلك بآلات مدبره ، كما كان يدعو الناس لزيارته فى معمله وليجرى تجاربه امامهم فكان من هؤلاء الزائرين من يحاول الاستفاده والفهم ومنهم من يسخر منه ويصفه بالجنون (١) كما كان قد قيل انه مثل فى بيته بشكل السماء كما ذكرت سابقا وانه ابدع فى تمثيلها وقد فصلت ذلك التمثيل ولكن الذى يراه يخيل لنفسه انه يرى النجوم والغيوم والبروق والرعود كما تنسب اليه صنع أول آله منقاله على غير رسم ومثال . (٢)

وكان الامير يعشق علم الفلك والتنجيم ويشغف بدراسته وكان من ضمن العلماء الفلكيين بالاضافة عباس بن فرناس عبد الله بن شمر وعبد الواحد بن اسحاق الضبى فكان هؤلاء بمثابة اساتذه للامير فى هذا الفن فكانوا من المقربين لديه حيث يصرف لهم رواتب دائمه وكثيرا ماكانت له معهم قصص ونوادر عديده . (٣) ومن بين هؤلاء العلماء المشهورين فى علم الفلك ابراهيم بن يحيى النقاش المعروف بابن الزرقيالى فهو الذى قدر فترة الخسوف خسوف الشمس وحدد مدتها وابتكر اسطرلابا حديثا حدد فيه البعد بين المجموعتين الشمسيه والنجوم وكذلك البعد بين الارض والقمر وتذكر الابحاث الحديثة انه ثبت أن الفرق ضئيل جدا بين ماوصل اليه الزرقيالى وبين ماوصل اليه العلم الحديث . (٤)

---

(١) العبادى . المجمل فى تاريخ الاندلس . ص ٨٩/ ٩٠
(٢) بدر . المرجع السابق ص ١٩٠/ ١٩١ .
(٣) عنان . دولة الاسلام فى الاندلس ص ٢٨١/ ٢٨٢ .
(٤) الشلبى . الموسوعة ص ٨٥ .

الطب :

نهضت الاندلس نهضة كبرى فى رعايتها للعلوم العقليه وخاصة الطب والموسيقى والرياضه والفلك وغير ذلك وقد اعتمد عرب الاندلس فى أول امرهم على جماعة من النصارى فى مجال الطب على الرغم من ان هؤلاء لم يحققوا سواء فى الطب أو فى غيره من العلوم الاخرى الشىء الهام لانهم كانوا يعتمدون على كتاب قديم بايديهم اسمه الابريشيم (تفسير الجامع أو المجموع) ولكن عندما مارس بعض من الاندلسيين هذه المهنه لم يكن منهم من استوعبها وانما هدف هؤلاء قراءة الكنانيش (جمع كناش) وهى مجموعات من الوصفات الطبيه ليستعجلوا بذلك ثمرة هذه المهنه ليستفيدوا بها فى خدمة الملوك فى اسرع وقت ٠ (1) ونبغ فى الطب بالاندلس مجموعة كبيرة من الرجال والنساء ومن هؤلاء احمد بن عباس من اهل قرطبة فقد غير فى علم الادويه لانه كان يضبطها او بعضها مالم يضبطه احد فى عصره حيث ألف كتابا عظيما لامثيل له ٠

وممن اشتهر بالطب بنو زهر من اعيان اشبيليه فتوارثوا هذا العلم جيلا بعد جيل حيث كان اولهم مروان ابن عبد الملك فسار من بعده على نهجه ابو العلاء وحفيده ابو مروان كما اشتهر من نساء الاندلس بالطب ام الحسن بنت القاضى ابى جعفر الطنجالى وكانت امرأة واسعة الاطلاع كثيرة المعارف اجادت عدة علوم اما فى الطب فكانت ابرز واشهر ٠ كما اشتهرت بالطب ايضا اخت الحفيد ابن زهر وابنتها فكانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة كما كان لها خبرة جيدة فيما يتعلق بمداواة النساء كما كانتا تقومان بمداواة نساء المنصور لان المنصور لا يقبل سواهما ٠

---

(1) بدر ٠ المرجع السابق ص ١٩١ ٠

وقد سبقت الاشاره بأن الاطباء المسلمين كانوا يتشاورون لدى المسلمين فى الاندلس . ولكن الوضع انقلب فقد اصبح الاطباء المسلمون يمارسون اعمال الطب فى بلاط المسيحيه حتى ان الامير عبدالرحمن الناصر قد استجاب لطلب ملك باقار حيث ارسل له طبيبا مسلما عالجه من السمنة المفرطة [1] أما فى ايام الامير محمد بن عبدالرحمن الاوسط فقد بدأت دراسة الطب تجرى على الاسس العلمية التى وضعها اليونان حيث اخذت عنهم من الكتب التى الفها مشاهير الاطباء اليونانيين مثل ابقراط وجالينوس . ويعتبر اول الاندلسيين العاملين فى هذا المضمار كان احمد بن اياس الذى ينسب اليه بسون . [2] حمدين أو احمد وهو تألف من مائه من العقاقير كلها نباتيه ومع أن اساتذه حمدين فى الطب مجهولين الأ أن صلته بالثقافه اليونانيه يذكرها ابن جلجل الحرانى الذى وصل من المشرق والذى ادخل الى الاندلس معجونا لاوجاع الجوف فكان يبيع السقيه منه بخمسين دينارا . كما كان حمدين واحد من خمسة اطباء اخذوا العلم عنه . ويعرف ان حران كانت مركزا سريانيا عريقا فى الثقافه والعلم حيث اشتهر من السريان كثيرون ترجموا الكتب اليونانيه الى العربية اما مباشرة الى العربية او من خلال الترجمات السريانيه لهذه الكتب . [3]

---

(١) شلبى . موسوعة التاريخ الاسلامى جـ ٤ ص ٨٦ .

(٢) بدر المرجع السابق ص ١٩٢ .
يورد اسمه بهذا الشكل عند صاعد الطليطلى ص ١٢٠ أما ابن جلجل طبقات الاطباء ص ٩٣ فيذكره حمدين

(٣) بدر . دراسات فى تاريخ الاندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة ص ١٩١ .

الفصل السادس

اعمال عبد الرحمن الاوسط العمرانيــــــــــــه :ـ

- توسيع المسجد الكبير بقرطبة ٠
- عمارة المساجد فى احياء قرطبة ومرسيه ٠
- عمارة القصور والمناظر ٠
- انتشار عمارة القصور الريفيه ٠
- عمارة قناطر المياه ٠
- استكمال عمارة الاسوار بقرطبة ٠

أعمال عبد الرحمن الاوسط العمرانيه

منها توسيع المسجد الكبير بقرطبه :

سبق أن ذكرت كيف ان عصر الامير عبد الرحمن الاوسط يعتبر عصر انتقال بالنسبة للاندلس حيث انتقل من حال البداوة الى حال الحضارة والرقى والاستقرار مضافـــا الى ذلك الرخاء المادى الذى شمل الاندلس خلال القرن الثامن والذى ظهـــرت نتائجه على أيام عبد الرحمن وبذلك نجد أن المدن قد عمرت وزاد الخير فى الريـــف فكثر سكانه بالاضافة الى تطور مدائن الاندلس التى بدأت تأخذ الهيئه الحضاريـــة العمرانيه والتى تميز بها هذا البلد بقيه عصوره الاسلاميه وقد اهتم الامير عبد الرحمن الثانى بالبناء لانه يعتبر من مظاهر الترف الذى شاع فى عصر الازدهار حيث قـــام ببناء المبانى فى كل ناحيه كما يقال انه بنى مساجد جامعه فى كثير من مـــدن الاندلس واليه تنسب الزياده الكبيره الاولى فى مسجد قرطبه الجامع ، ثم مسجـــدا آخر يعتبر من اجمل مابنى فى الاندلس وهو مسجد عديس فى اشبيليه الذى تحـــول الان الى كنيسه لكن آثاره مازالت باقيه الى اليوم . (1)

<u>لمحه عن الجامع الكبير فى عهد الامير عبد الرحمن الداخل وماقبله منذ التأسيس :</u>

ونحن بصدد التحدث عن المسجد الجامع الكبير بقرطبه وتوسيعه يجب أن نذكر للقارئ لمحة مبسطه عن بداية هذا المسجد وبداية بنائه وتأسيسه اذ بدون بدايـــة ولا تأسيس لاتكون هناك توسعه ولا تطور بدون تلك البداية ولذلك التأسيس كانت تلـــك البدايه منذ فتح المسلمين بقياده مغيث الرومى لمدينه قرطبه حيث اختار المسلمـــون

---

(1) العبادى . المجمل فى تاريخ الاندلس ص ١٠٢

اقامة مسجدهم الجامع فى جانب من كنيسه قرطبه الكبيره المعروفه بشنت بنجنت St. Vincent التي كانت تقع داخل مدينة قرطبه بالقرب من السور الجنوبى الذى يحيط بها امام باب القنطره . وذلك شاطر المسلمون نصارى قرطبه فى هذه الكنيسه حيث اقاموا فى هذا الجزء الذى اخذه مسجدا بسيطا ساذج البناء حيث بنى وأسس قبلته حنش الصنعانى بيديه . وطبيعى ان يقنع الفاتحون بهذا المسجد البسيط لانهم اولا محاربون وثانيا انهم حديثو عهد بالبلاد وليس لهم معرفه بفن البناء . وسرعان ما تمضى السنين ويتكاثر عدد المسلمين الوافدين الى حاضره الاندلس فيضيق مسطح بيت الصلاة عن الاتساع لجموعهم الكثيفه حيث اصبح الجامع لا يتسع لتلك الاعداد العظيمه فاصبحوا يعلقون فيه سقيفه تلو الاخرى فكان ارتفاع هذه السقائف يقل تدريجيا لارتفاع مستوى سطح الارض كلما اتجهنا شمالا . وذلك لان ارضيه الجزء القبلى من المسجد كانت منحدره نحو النهر . وكان المسجد فى الجزء الشمالى من الكنيسه لذلك كان تعليق تلك السقائف فى الجهه الشماليه ايضا وليس من الجهه القبليه حيث يوجد المحراب لذلك فقد سبب كثرة السقائف وانخفاضها مضايقات كثيره للمصلين لدرجه انه فى بعض الاحيان لا يستطيع المصلى منهم النهوض فى اعتدال لقرب السقائف من الارض فكانت هذه المشكلة قائمة اثناء دخول الامير عبد الرحمن بن معاويه الاندلس فشاهد ما يعانيه المصلون من هذه السقائف وضيق بيت الصلاة فعزم على حل المشكلة وذلك بضم الارض التى تشغلها الكنيسه الى الجامع وبناء مسجد جامع جديد متسع لجميع المصلين ويتناسب مع عظمه دولته فأرسل يستدعى رؤساء النصارى بقرطبه وساومهم فى بيع نصيبهم من الكنيسه واجزل لهم العطاء ولبى طلبهم فى بناء كنيستهم شنت اصلح خارج الاسوار عام ١٦٨ هـ/٧٨٤ م فادخل ارض الكنيسه فى الجامع وكان ذلك بعد هدمها وهدم المسجد القديم وبنى جامع قرطبه باسلوبه الجديد عام ١٦٩ هـ (٧٨٥م) فتم بناؤه واسواره فى عام ١٧٠هـ (٧٨٦م) ونفقاته بلغت ثمانين الف دينار . وينقسم

---

(١) معنى بيت الصلاة هو رواق من اروقه القبله وهو القسم المسقوف انظر السيد عبد العزيز سالم تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص ٢٢٢ الى ٢٨٧ .

الجامع الجديد الى قسمين : قسم مسقوف وهو بيت الصلاة . وقسم مكشوف هو الفناء او الصحن . اما بيت الصلاه فتشمل تسعه بلاطات تتجه عموديا على جدار القبله ممتده على اثنى عشر عقدا (قوسا) لكل بلاطه . وهذه العقود تقام على اعمدة من الرخام . وكان سقف المسجد يتألف من لوحات خشبيه مسطحه مصفوفه عرضا ومثبته فى عوارض خشبيه طوليه وعرضيه وتكسوها زخارف هندسيه ملونه ومنقوشه من دوائر وفصوص ومسدسات ومثمنات . وكان يعلو هذا السقف المسطح هياكل مسنمه هرميه الشكل تمتد على امتداد البلاطات تاركه فيما بينها قنوات مقعره لتجرى فيها مياه الامطار ويحيط بالاسقف من الداخل ازار خشبى منقوش بالايات القرآنيه كما عقدت بين العمد الرخاميه على رأسها عقود متجاوره على شكل حدوة الفرس تقوم مقام الاوتار الخشبيه وظيفتها ربط الاعمده فيما بينها كما اقيمت فوقها عقود نصف دائريه تحمل الجدران التى تتكىء عليها الاسقف ولتزيد من ارتفاع السقف وتستند العقود على كوابل ملفوفه مؤلفه من ثلاثه او اربعه فصوص متراكبه الواحد فوق الاخر ويكون جميع العقود العليا والسفلى اللونان الاصفر الشاحب والاحمر نتيجة لتناوب الحجاره والآجر بحيث يتألف من هذا التعاقب سنجه حجريه وثلاثة صفوف متلاحمه من الآجر الاحمر تؤلف سنجه اخرى ويتكون العمود من رأس رخامى (تاج) وبدن وقاعده من الرخام وكان بعض هذه القواعد مدفونا فى أرضية المسجد والبعض الاخر ظاهرا فوق مستوى سطحها على نحو غير مستقيم وجميع اعمده المسجد الذى اقامه عبد الرحمن الداخل القديمه قوطيه أو رومانيه اخذوها من الكنائس الخربه واستخدموها فى المسجد الجامع . كما يتوج الجدران الخارجيه اكساب المسجد صفة القلاع فنجد صفوف العقود ترتكز مباشره على جدار القبله . وكان صحن الجامع مفروشا بالاشجار وتوفى الامير عبد الرحمن الداخل قبل ان يتم بناؤه فلم يقم فيه مئذنه ولا سقائف لصلاة النساء . فاتمه ابنه هشام واقام مئذنه بلغ ارتفاعها نحو ٢٠ مترا . كما اقام فى نهاية المسجد سقائف لصلاة النساء . (١)

(١) السيد عبد العزيز سالم . تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص ٢٢٢ الى ٣٨٧

المسجد الجامع في عهد عبد الرحمن الاوسط :

عندما تولى الامير عبد الرحمن بن الحكم الاماره بعد وفاة أبيه الحكم بن هشام (٢٠٦ ـ ٢٣٦ هـ/ ٨٢٢ ـ ٨٥٢م) رفع من شأن قرطبه وجعلها عاصمه تليق بالاماره . وقد تكاثرت اعداد السكان في قرطبه حيث توافدوا عليها من كل صوب حتى ضاق بالمسجد الجامع وكانت بلاطات المسجد الذى بناه عبد الرحمن الداخل تسعة فأنشأ عبد الرحمن الاوسط بلاطين (رواقين) زائدين عليها ممتدين معها من بداية شرقها وغربها وكان ذلك في سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣م) فاصبح عدد بلاطات المسجد احد عشر بلاطا فاتسع به المسجد حيث اوصل هذين البلاطين في سقيفتين ثم اوصلهما بالسقائف التي كانت معده في جوف المسجد القديم لصلاة النساء ثم عقد على كل سقيفه تسعه عشرة ساريه . كما ابتنى الامير عبد الرحمن في موءخرة الصحن سقيفه جوفيه نظمها بالسقيفتين اللتين ابتناهما على حافتي الصحن بشرقيه وغربيه . وفي سنة ٢٣٤ هـ (٨٤٨م) زاد الامير عبد الرحمن بن الحكم في بيت الصلاه بجامع قرطبه اول زياده في عمقه واتساعه وهي ذات اهميه عظمى فاجريت فيه وهي الزياده الاولى البارزه من بين البنيه الاولى التي بناها جده عبد الرحمن بن معاويه الداخل الى الاندلس ورسم ان يكون من قبل قبلته في الفضاء مابينها وبين باب المدينه الراكب للقنطرة بحيث يكون اسفلها من الارجل الحجريه الضخمه وهي موجوده حتى الان في وسط بهاء المسجد والمتخلفه من جدار محراب جامع عبد الرحمن الداخل الى نهاية المسجد في منتهى المحراب الثاني كما جمع عناصر الالات ابنائه واستكثر من الفنانين والمهندسين المهرة لاتقانه كما اوكل لرئاسة هوءلاء القائمين بالاعمال اكبر فتيانه الخصيين الاثيرين نصر وصاحبه مسرور . كما اشرف له على ذلك محمد بن زياد قاضي قرطبه وصاحب الصلاة بها . وتبلغ زيادة الاوسط خمسين ذراعا وعرضها مائه وخمسين وعدد سواريها

ثمانين ساريه لانه مد جميع بلاطات الجامع نحو الجنوب مايقرب من سته وعشرين مترا اى انه مد الصفوف العشرة للعقود على ثمانيه عقود جوفيه ثم نقل المحراب القديم الى نهاية جدار القبله الجديد التى وصلت اليه زيادته . وقد سايرت زيادة الاوسط اسلوب عبد الرحمن الداخل فى البناء والزخرفه . (١) ويذكر جوميث مورينو أن التوسعه قد تجاوزت جدار المحراب فى اتساع ٢٦ م عمقا وقد حل محل الجدار القديم سلسله من الدعائم المطوله ومن ان تلتصق بها اعمدة تتلوها مجموعات مؤلفة من ثمانية عقود تتشابه مع العقود القديمه فى نظام من الكوابيل التى هى على بروز محدب . وقد بدأت زيادة هذا المسجد فى سنة ٨٢٢ وافتتحه الامير عبد الرحمن سنة ٨٤٨ .

وقد كانت العمد فى الزيادة تحتاج الى قواعد وكلها منقوله من ابنيه قديمه فيما عدا بعض التيجان . ومن التيجان الرومانيه تاج من الطراز الايونى شوهدت لفائفه مزدوه عنقه لقنوات مزلطه وآخران من النوع البيزنطى على الطراز الكورنثى . واخرى قوطيه واثنان يماثلان التيجان الاشتوريه التى ترجع الى القرن التاسع مزينه باوراق بسيطه على النمط الكورنثى وبين تلك التيجان اثنان متساويان جديران بالاهتمام حيث بهما ضلوع تقطعها من حين الى حين اربطة مزدوجة تخضع لاسلوب بيزنطى معروف . ويلاحظ ان الحدائر فى اغلبها ملساء تتخلل بعضها اشرطة بارزه بقصد الزينه وقليل منها مايحمل زخرفه قوطيه غربيه . (٢) وقد تجاوزت هذه الزيادة زيادات الحكم المستنصر ثم المنصور على جانبى المسجد لم

---

(١) السيد عبد العزيز سالم . تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص ٣٨٧ الى ٣٨٨
(٢) مانويل جوميث مورينو . الفن الاسلامى فى اسبانيا ص ٥٢/٥٤ .

يبق من الجدران فى زيادة عبد الرحمن الاوسط سوى الجانب الغربى ٠ اما نظام بنائه فكان على طريقه تعاقب الكتل طولا وعرضا (آديه وشناوى) وهو يختلف عن الجدران القديمه فى شده الضآلة وسمك الكتل العرضيه وهى لاتتجاوز ٣٦ر٠ فى وضعها الذى يتسم باضطراب شديد من حيث تسديد الكتل فى صفوف وان كانت تحتفظ دائما بماتستلزمه من ترابط فيما بينها ٠

كما يقول جوميث مورينو ٠ ومع أن جدار المحراب قد ازيل تماما فقد امكن معرفه اساسه مع المحراب الذى اقيم فى مربع من كتل حجريه مصد له يكاد يبلغ فى سعته محراب الحكم ٠ وهذه الاعمده الربعه ليست ضخمه ويتساوى كل زوج منهما مساواة تامه فقواعدها كلاسيكيه منتظمه النسب وابدانها تتألف من قطع من الرخام المجزع اثنان منها فى لون اخضر غامق والاخران فى احمرقان ٠ ترصعها قطع صغيره بيضاء من الحجر وتيجانها من النوع الكورنثى رشيقة النسب ، مستقره فى موضعها ، واضحة المعالم وزخارفها عميقة الحفر والزخرفة المكونه من اوراق شوكه اليهود قوية التعبير رائعة الجمال وهى تضم فروعا مزدوجه فى وضع طبيعى او منقلبه نحو محور التاج فى دوائر متقاطعه وتنتهى بقرم وزهره فى الوسط ٠

وكادت هذه التيجان ان تكون لغزا لولا ان عثر على تاج مشابه لهم امكن بفضله معرفه حقيقتها لانه يحمل نقشا فى مدح الامير عبد الرحمن ٠ والحقيقة ان هذه التيجان تكشف عن مدرسه فى فن الحفر تمتاز بذوق رائع لانظير له منذ انتهاء عهد الكلاسيكيه وتعود الى هذه المدرسة مجموعة من التيجان الكورنثيه المتشابهه فيما بينها وهى تعود الى القرن التاسع الميلادى ولايضمها مكان واحد ٠ أما ذلك التاج الذى يحمل نقشا وقد نقل من قرطبة الى متحف الاثار بمدريد ٠ فهو بسيط فى تركيبه تتوسطه سيقان مزهره وتغطى احد وجوهه كتابه مشوهه ولكن يمكن قراءتها على النحو التالى " بسم الله بركه للامير عبد الرحمن بن الحكم اعزه الله "

كما توجد طائفه تضم مجموعة من التيجان الكورنثيه الصغيره تتسم فروعها المزدوجه بفلطحها وتحمل قرمه مخططه على طولها وهو اسلوب مشترك فى هذه المجموعة كلها وهناك امثله تشبه اعرق التيجان الكلاسيكيه فى خطوطها العامه ولكنهما يفرقان غيرها كثيرا فى الزخرفه واوراق الصف العلوى مزينه بتشقيقات غائره كثيرا فى الزخرفة واوراق الصف العلوى مزينه بتشقيقات غائره وفى احدهما مسبحه تندمج مسبح على نحو فريد . (١)

بن سان خوان :

هذا البرج ظهر فى برج كنيسه خوان بقرطبه الذى اكتشف منذ عهد قريب كما يذكر جوميث مورينو فقد اكتشف تاج يدخل فى المجموعة المشار اليها امكن ارجاعه الى عهد عبدالرحمن الاوسط وهذا البرج يعتقد انه كان مئذنه لمسجد لكن الغريب فيه درجه الذى يدور حول كتلة اسطوانيه من البناء وكأنه حلزونى لكنه يدخل فى نطاق البرج المربع ويصدق هذا ايضا على برج كنيسه سانتياجو بقرطبه نفسها وبرج كنيسه سلفادور باشبيليه وكلها توحى بنظام معمارى اتبع فى مئذنه هشام الاول التى شيدها فى جامع قرطبه وهو يبرر التخطيط القريب لمئذنه مسجد ابن طولون فى مدينه القطائع وهى مئذنه لم يتم بناؤها . (٢)

سقائف المسجد :

وآخر شيىء حققه الامير عبدالرحمن الاوسط فى المسجد هو تنظيم سقائف

---

(١) المرجع السابق
(٢) المرجع السابق ص ٥٧ .

هندسيه مؤلفه من قطع الحجر والآجر وتماثل الزخارف التى ترجع الى عهد الحكم المستنصر وربما له .(١)

وقد تحدث المقرى عن وصف الجامع الكبير فى قرطبه بقوله :

" وذكر جامعها البديع الاتقان والرصف قد شاع وذاع على ألسنه السجم الغفيره من الناس فى هذه البلاد الشرقيه وغيرها ان فى جامع قرطبه ثلاثمائه ونحو ستين طاقا على عدد أيام السنه وأن الشمس تدخل كل يوم من طاقه الى أن يتم الدور ثم تعود " " وأن لجامع قرطبه تنورا من نحاس اصفر يحمل ألف مصباح وفيه اشياء غريبه من الصنائع العجيبه . وفيه ثلاثة اعمده من رخام احمر مكتوب على الواحد اسم محمد وعلى الاخر صوره عصا موسى وأهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب نوح عليه السلام " .(٢)

كما ذكر اينما ليس فى بلاد الاسلام اعظم منه ولا اعجب بناء واتقن صنعه وكلما اجتمعت منه اربع سوارى كأن رأسها واحدا ثم صف رخام منقوش بالذهب واللازورد فى اعلاه واسفله " (٣)

هذا بالاضافة الى وصفه للمناره : " وارتفاع المناره الى مكان الاذان أربعه وخمسون ذراعا وطول كل حائط من حيطانها على الارتفاع ثمانيه عشر ذراعا " (٤)

ونختتم القول عن جامع قرطبة الكبير انه من الوجهه الفنيه اروع امثلة

---

(١) المرجع السابق ص ٦٣ .
(٢) المقرى . نفح الطيب جـ ١ ص ٥١٩/ ٥٢٠
(٣) المقرى . نفس المرجع ص ٥٤٥ .
(٤) المقرى . نفس المرجع ص ٥٤٨ .

الحضاره الاسلاميه والمسيحيه على حد سواء فى العصر الوسيط ومن الوجهه العلميه فهو يعتبر اكبر جامعة اسلاميه تدرس فيها العلوم الدينيه واللغويه ويأتى اليه طلاب المسلمين والعجم (النصارى) للدرس والتحصيل وعلى ذلك اخذت مدينة قرطبه تأخذ طريقها الى الشهرة لوجود هذا المسجد بها ٠ فقد اهتم به الامراء الامويون من بداية الامير عبدالرحمن الداخل ومن تعاقب بعده من الامراء والخلفاء حيث زاد وافديه زيادة بعد زيادة حتى بلغ الغاية فى الاتقان حتى اصبح لا مثيل له فى مساجد المسلمين قاطبه وبذلك اصبح يضرب به المثل فى العظمه والاتساع وفى كثره الزخارف والجمال وقد بالغ كثير من مؤرخى العرب فى وصفهم له ٠ ويرجع هذا التعظيم والاجلال لجامع قرطبه الى أن حنش بن عبدالله الصنعانى واباعبدالرحمن الحلبى التابعين قد توليا تأسيسه بايديهما وقوما محرابه ٠ وقد احتفظ الامير عبدالرحمن الاوسط بهذا المحراب الثمين عند زيادته لبيت الصلاة حيث نقله من موضعه القديم وركزه فى مكانه من القبله الجديدة ٠ كما احتفظ الجامع فى بقية زياداته باتجاه القبله الذى حدده حنش الصنعانى رغم انحراف هذا الاتجاه عن الاتجاه الصحيح ٠[1]

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم ٠ تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس ص٣٧٧/٣٧٨

عمارة المساجد في احياء قرطبه ومرسيه :

لقد ذكر المقرى عدد المساجد في ايام الامير عبدالرحمن الداخل فقال : " قال بعض من أرخ الاندلس انتهت مساجد قرطبة أيام عبدالرحمن الداخل الى اربعمائة وتسعين مسجدا ثم زادت بعد ذلك كثيرا " .

أما في عهد الامير عبدالرحمن الاوسط فقد ذكر المقرى أيضا ان لقرطبه من الارباض " ثمانية وعشرين وقيل واحد وعشرون ومبلغ المساجد بها ثلاثة آلاف وثمانمائه وسبعة وثلاثون مسجدا وعدد الحمامات المبرزه للناس سبعمائه حمام ، وقيل ثلاثمائه حمام " كما يذكر انه في بعض التواريخ القديمه كان بقرطبه في الزمن السالف الذكر [1] ثلاثة آلاف مسجد وثمان مائه وسبعه وسبعون مسجدا منها بشقنده ثمانيه عشر مسجدا وتسعمائه حمام واحد عشر حماما ومائة الف دار عشرة الاف دار للرعية خصوصا ، وربما نصف العدد أو اكثر لارباب الدوله وخاصتها .

هذا ماذكر المقرى . أما ماذكره الدكتور السيد عبدالعزيز سالم فانه يطابق تماما من ناحية العدد ماذكره المقرى في أنه يوجد بقرطبه غير الجامع الكبير في زمن الامير عبدالرحمن الاوسط ثلاثة الاف وثمانمائه وسبعة وسبعون مسجدا لكنه اضاف وقيل الف وستمائه مسجد .

وبذلك نجد توافقا في العدد (٣٨٧٧) مسجدا بين كل من المؤرخ المقرى والسيد عبدالعزيز سالم في هذا العدد لذلك اجد نفسي ارجحه بين ماذكر

---

(١) يقصد بها زمن الاميرعبدالرحمن الاوسط . ثم على الرغم من انه لم يضع تاريخا محددا لها .

من الاعداد الاخرى التى ذكرت عن مساجد قرطبه المتعدده هذه لكن لم اجد فى هذه المراجع ولا فى غيرها وصفا واضحا او مفصلا عن تلك المساجد وانا لا اعتقد ان هذا الوصف او التفصيل قد اعدم ولكننى لم اقف عليه ولم اعثر على الوثائق العلميه حتى الآن التى توضح لى ذلك ٠

هذا بالاضافة الى ان السيد عبدالعزيز سالم يذكر انه لم يبق من هذه المساجد جميعها الان سوى ثلاث مآذن هى اليوم ابراج كنائس سان خوان وسانتا كلارا وسانت ياجو ٠ كما يقول ايضا انه يغلب على الظن انها ترجع جميعها الى عصر الامير عبدالرحمن الاوسط الذى ذكر المؤرخون انه اقام هو وجواريه عددا كبيرا من المساجد فى قرطبه والاندلس وقد قورنت تيجان الاعمده بمئذنه سان خوان بتيجان اعمده زيادة الامير عبدالرحمن الاوسط فى جامع قرطبه فاتضح انها ترجع الى صنع واحد ٠ كما قورنت المئذنه من الداخل بمئذنه جامع عمر بن عديس باشبيليه الذى بنى فى عهده فوجد انها متشابهه الى حد كبير، ان بداخل المئذنتين درج حلزونى يدور حول دعيمه وسطى مربعه الشكل ٠ [1] كما بنى الامير عبدالرحمن الاوسط مساجد اخرى فى غير قرطبه وهى كثيره ايضا كان اشهرها جامع ابن عديس فى اشبيليه السالف الذكر كما يذكر الدكتور حسين مؤنس الذى يقول : ان هذا المسجد تحول الآن الى كنيسه ٠ فالدكتور الفاضل قد شاهده بنفسه ووقف عليه ويقول : " اذا وقفت فى الرواق فى هذا القسم من الجامع وظهرك الى الباب الذى دخلت منه رأيت اجمل منظر يمكن ان تقع عليه عين داخل مسجد واذا امعنت النظر فى احد الاعمده رأيت عجبا ستجده كأعمدة القسم الاول من رخام احمر واخضر أو وردى

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم ٠ تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس ص ٣٠٩ / ٣١٠

لان هذه الاعمده ايضا جمعت من كل مكان فى اسبانيا ، بل اتى بعضها من ايطاليا والمغرب . ولكنك لن تميز بين بعضها بعض فرقا لا فى السمك ولا فى الهيئة لان الفنان العظيم عرف كيف يصوغها فى قالب واحد .

أما تيجان هذه الاعمده فمن كل طراز . وقد وضع المعمارى على كل منها قاعده ضيقه فى اسفل واسعه من اعلى وبذلك حصل على سطح اوسع ليضع عليه عمودا ثانيا من الحجر ومن جانبى هذه القاعده اخرج المهندس الاقواس الاولى ، يستدير كل منها ويستقر على رأس العمود المجاور . ولكى يزيد هذه الاقواس المزدوجه بهاء جعل واحدا منها مستديرا والثانى فى هيئة حدوة الحصان . كما اضاف ومن بعيد يخيل اليك أنك فى غاية من النخل العجيب اغصانه تمتد فى كل اتجاه ، خفيفه رقيقه تهتز مع النسيم " وقد ذكر اسماء من اشرفوا على هذه الزياده الاولى وهم القاضى محمد بن زياد ثم نصر ومسرور موليا الامير عبدالرحمن الاوسط .(١) وقد ذكرت سابقا ان نساء الامير عبدالرحمن الاوسط كن القدوة فى بناء المساجد ومن بين هؤلاء النساء جواريه ومحظياته وصرف المبالغ الطائلة عليها تقربا الى الله سبحانه وتعالى . كما كتب على كل مسجد من المساجد المبنيه اسم بانيته فى احياء قرطبه وغيرها . مثل مسجد طروب ، ومسجد الشفاء ومسجد فخر وغيرهم . هذا بالاضافة الى مدن الثغور التى بنى فيها الامير عبدالرحمن الاوسط وغيره من امراء هذه الفترة المساجد والمدن العماريه الراقيه مثل مرسيه وأبدة فى كورن جيان .(٢)

---

(١) د . حسين مؤنس . رحله الاندلس حديث الفردوس الموعود ص ٧٨ / ٧٩

(٢) انظر نفح الطيب جـ١ ص ٣٢٥ .
بدر . المرجع السابق ص ١٥٨ / ١٥٩ .

عمارة القصور المناظـــر :

ان عمارة القصور والمناظر لم تكن جديده فى عهد الامير عبد الرحمـــن الاوسط ولم تكن الاولى فقد سبقه الى ذلك جده عبد الرحمن بن معاويه (الداخـــل) بعد ان مهد لملكه بدأ فى تعظيم قرطبه حيث شيد مبانيها وحصنها بالسور وبنى قصر الاماره ثم المسجد الجامع ووسع فنائه كما اصلح مساجد الكور ثم بنى مدينة الرصافـــة حيث جعلها مكانا للتنزه خاصة به وأخذ لنفسه قصرا جميلا وحدائق واسعه نقـــل اليها غرائب الغراس وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الاقطار حيث كانـــت اخته ام الاصبغ ترسل اليه من الشام بالاشياء الغريبه مثل الرمان العجيب الـــذى أرسلته اليه من دمشق الشام . (1) وبذلك نستطيع القول بأن الامير عبد الرحمـــن الداخل قد وضع الاسس فى امارة الاندلس الامويه من الناحيه السياسيه التى تبعتهـــا النواحى الاخرى ومنها المعماريه ولم يستطع اكمالها حتى جاء بعد الامير عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام ابن عبد الرحمن الداخل ووجد تلك الاماره التى تعتمد علـــى تأسيس سياسى عظيم واستقرار نسبى الى حد ما ورخاء مادى مما جعله يقوم بـــدور المؤسس العظيم للحضاره الاسلاميه الكبرى فى الاندلس ليتسم عهده بصفة الازدهار والرقى المادى والحضارى .

وقد كان اهتمام الامير عبد الرحمن الاوسط بالعاصمه قرطبه عظيما وهامـــا حيث اقام على الضفة اليمنى لنهر الوادى الكبير طريقا عاما يعرف بالرصيف . كمـــا ادخل تعديلات على قصر الاماره حيث اقام فيه ابراجا عاليه مغطاه بالزجـــاج الكريستال حتى يكشف المناظر المحيطه بالعاصمه . هذا بالاضافة الى انه بـــنى

---

(1) المقرى . المصدر السابق . ج ١ ص ٥٤٦ .

قصرا جديدا لنفسه بجوار القصر القديم فجلب اليه الماء من قمم الجبال المحيطة بقرطبه . هذا والملاحظ انها اصبحت عادة جاريه لدى امراء المسلمين وملوكهم فكانوا بمجرد توليتهم للحكم يتركون قصور آبائهم للحريم وبقية الاولاد . ثم يبنون لانفسهم قصورا خاصه . فاستمرت هذه العادة متبعه الى وقت قريب جدا بين ملوك المسلمين . ويعتبر عبدالرحمن الاوسط حينما بنى هذا القصر انما سار على العاده التى اتبعها اسلافه واخلافه من قبل ومن بعد هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد اقام الامير عبدالرحمن الكثير من المتنزهات والحدائق الغناء [1] الواسعة التى تجلب الى النفس الارتياح والطمأنينه والجمال . كما أقام العديد من الجسور وغير من المرافق العامه التى تفيد كل فرد من شعبه وامته المسلمه وغير المسلمه المقيمه فى الاندلس . وقد ذكر الدكتور محمد عبدالله عنان قائلا : كما أنشأ لقصره اجنحه ومشارف جديده لهذا القصر وجلب اليه الماء العذب من قنن الجبال وانشأ على النهر الاعظم مايلى سور القصر والمدينه رصيفا عظيما . [2]

أما ماذكره المقرى عن وصف قرطبه ومبانيها جاء فيه : " وقال بعضهم : كانت قرطبه قاعدة الاندلس وام المدائن وقرارة الملك وكان عدد شرفاتها اربعة آلاف وثلاثمائه وكانت عدة الدور فى القصر الكبير اربعمائه دار ونيفا وثلاثين . وكانت عدة دور الرعايا والسواد بها الواجب على أهلها المبيت فى السور مائة ألف دار وثلاث عشرة الف دار حاشا دور الوزراء وغيرهم . [3]

---

(١) الشعراوى . المرجع السابق ص ٢٨٨/ ٢٨٩ .
(٢) عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ص ٢٧٩ .
(٣) المقرى . المصدر السابق ج ١ ص ٥٤٠ .

أما القصر الخلافي :

فيقع في داخل المدينه لذلك كان سبب تسمية المدينة الداخليه بالقصبة والواقع ان هذا القصر بناؤه روماني قديم توارثه الملوك من العصر الروماني حتى الفتح العربي ثم اتخذه الولاه منذ ولايه ايوب بن حبيب اللخمي مقرهم الدائم حتى قامت الدولة الامويه حيث وسع في هذا القصر الامراء الامويين فبنوا به قاعات جديدة ومجالس وقصور اهتموا بتزيينها وفخامتها حتى بلغت في العظمة والبهاء • فجلبوا لها المياه من جبال قرطبه حيث صبوها في ساحات هذا القصر في برك واحواض من الرخام فكانت تخرج من تماثيل معدنيه تندفع الماء من افواهها • وعندما افتتح مغيث الرومي قرطبه/هذا القصر الي أن اجلاه عنه موسى بن نصير فعوضه عنه قصرا غربي قرطبه خارج الاسوار سمي ببلاط مغيث حيث اعتبر القصر الخلافي هذا وهو القديم لايصلح الا لمن يتولى الاماره في قرطبه • وكان اتساع هذا القصر كبير لدرجة انه كان متصلا بسورها القبلي والغربي في وقت واحد • فظل هذا القصر مركزا للولاة حتى أيام الامير عبد الرحمن الداخل الذي استقر فيه بعد انتصاره على يوسف الفهري والصميل في واقعة المصاره • وبعد أن استقر ملكه بدأ في تجميل قرطبه فجدد مغانيها وشيد مبانيها وحصنها بالسور وبني قصر الاماره • ويرجح الدكتور السيد عبد العزيز سالم ان الامير عبد الرحمن الداخل اعاد بعض ماتهدم من هذا القصر واضاف فيه اضافات جديده حتى يكون جديرا بقصر الامارة الاموية • كما يؤكد ان اعمال الامير عبد الرحمن الداخل كانت داخل نطاق سور القصر المرتفع بابراجه العاليه والشاهقه والتي اتخذ احدها ليكون مئذنه للجامع استمرت تؤدي هذه الوظيفة حتى بعد ان اتم الامير عبد الرحمن الداخل بناءه للمسجد الجامع الجديد في سنة ١٧٠هـ • (1) وظل هذا البرج يؤدي هذه الوظيفة

---

(١) السيد عبد العزيز سالم • قرطبة حاضرة الخلافه في الاندلس ج١ ص١٨٧ / ١٨٨ •

الى أن بنى الامير هشام بن عبد الرحمن الداخل المئذنه الجديده ٠ (١)

كما يقول الدكتور السيد عبد العزيز سالم : ويبدو أن القصر كانت له منظرات تطل على النهر والريض الجنوبى فان الامير هشام كان يجلس عادة فى علية تطل على النهر والريض الجنوبى ٠ وقد اضيف الى القصر فى عهد الامير عبد الرحمن الاوسط الذى اتخذ القصور والمتنزهات وجلب اليها المياه من الجبال حيث جعل لقصره مصنعا اتخذه الناس شريعه ، ولعله بنى القصر المسمى بالكامل كما شيد مضيفا الى ابيه وجده هشام المجالس بقصر قرطبه وأسموا الزاهر والبهو الكامل والمنيف ٠ (٢) وكان قصر قرطبه يضم قصورا داخليه نذكر منها الى ماسبق وهم : المجد والحائر وقصر الوزراء والمعشوق والمبارك والرشيق والسرور والتاج والبديع ٠ كذلك هناك اسم دار يقال لها دار الخيل ٠

والجدير بالملاحظة ان بعض هذه الاسماء للقصور المذكوره تماثل أسماء قصور أمويه وعباسيه فى المشرق حيث قصر الحائر يشابه قصرى الحير الشرقى والغربى وقصر التاج يشابه نظيره العباسى الذى اقامه الخليفه العباسى المعتضد فى بغداد ، ثم قصر المعشوق وقصر المختار وقصر البديع مماثله لقصور العباسيين بسامراء ٠ ولقصر الخلافة بقرطبه أبواب عديده منها :

الابواب القبليه :

باب السطح المشرف (باب السدة) : هذا الباب فتحه الامير عبد الرحمن الاوسط فى سور يمتد من سور المدينه لاغلاق الرصيف وكانت دفته من الحديد

---

(١) ابن عذارى ٠ البيان ٠ جـ ٢ ص ٢٤٢ ٠

(٢) السيد عبد العزيز سالم ٠ المرجع السابق ص ١٨٩ ٠

ومها حلق لاطون (من الصفر) على شكل رأس رجل يفتح فمه ، وكان فى الاصـل يزين باب مدينة اربونه وعندما فتحها الامير هشام سنة ١٧٧ هـ ٠ جلب حلقهـا الى هذا الباب واشترط على المعاهدين أهل جليقيه نقل عدد من احمال التـراب من سور اربونه المفتوحه يحملونها الى باب قصره بقرطبه حيث بنى المسجد الواقـع أمام باب الجنان وكان باب السدة أو السطح المشرف ينفتح على رصيف قرطبـه ويعتبر احد الابواب الرئيسيه للقصر ٠ (١)

وعلى ذلك نجد اقوال المؤرخين ومن بينهم المقرى يذكرون مدى ضخامـة النواحى العمرانيه فى عصر الامارة بصفه عامه وفى عهد الامير عبدالرحمن الاوسـط عصر الازدهار بصفه خاصه ففى عهده كثر البنيان من المبانى الخاصه والعامه حيـث كان اهتمامه بها اهتماما عظيما لانه اهتم فى بادئ الامر ببناء قصره الخاص وجعلـه ملائما لابهة الاماره وازدهارها بالاضافه الى اهتمامه بمبانى الوزراء والتابعين لـه ولقصر الحكم هذا بالاضافة الى المنشآت العامه والمرافق ورصف الطرق والحقيقـه ان الاعداد التى ذكرها المقرى هى اعداد كبيره فى ذلك الوقت المبكر للاسـلام اذا نحن قسناه بوقتنا الحاضر فعاصمة اسلاميه مثل قرطبه اصبحت تحتل مكانـا دوليا مرموقا فى ذلك الوقت وذلك المكان البعيد وتكون على مستوى من الحضاره والعمـران وتكون بتلك الاعداد الهائله من الدور والمساكن لهى جديرة بالاعجاب والدهشـة فى نفس الوقت حيث اصبحت قرطبه مدينة اشبه بالمدينه العصريه الكبرى فى وقتنـا الحاضر بمافيها من شوارع نظيفه مرصوفه محاطه بالحدائق الجميله والمناظر الطبيعيـة الخلابه والمساكن الجميله المنسقه حيث اصبحت القاعده من بعد هذا الاميـر

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم ٠ المرجع السابق ص ١٩١ / ١٩٢ ٠

الذى هو (الاوسط) فى ان يسير على خطاه خلافه من بعده من بنى أميه ويكملون المشوار الذى بدأه وكان عظيما قويا راسخا مع الزمن ٠

وبصوره عامه نستطيع القول بان الامير عبد الرحمن الاوسط قد رتب رسوم المملكة كما ذكر الشعراوى واحتجب عن العامه وغير نقش خاتم الملك فجعله " عابد الرحمن بقضاء الله راضى " وكان أول من احدث هذا النقش حيث بقى وراثه من بعده كما ذكر ايضا الشعراوى قوله : " وهو الذى استكمل فخامة الملك بالاندلس وكسا الاماره أبهة الخلافة وظهر فى ايامه الوزراء والقواد ٠ وشيد القصور وجلب المياه من الجبل وبنى الرصيف على الوادى " (١)

كما ذكر الدكتور احمد بدر : " واخيرا بنى الكثير من اجل الرفاة والترف فقط ٠ ففى القصر لم يرضى عبد الرحمن بالسكن فى جناح من سبقه بل بنى لنفسه اجنحه خاصه به واوجد بذلك سنه سار عليها من تلاه فى بناء كل واحد جناحا جديدا لسكنه كما بنى شرفات للقصر محاطه بالزجاج يطل منها على منظر قرطبه كلها " (٢)

ومن المناظر : فحص السرادق :

هو مكان هام من معالم قرطبه ، يقع جوفى نهر قرطبه بالطرف الشرقى من المدينة ، وكان من المنتزهات المشهوره التى يقصدها اهل قرطبه للفرجه والنزهه ، والسبب فى تسميته بفحص السرادق ان خلفاء بنى أميه اعتادوا ان يبرزوا السرادق فى هذا الفحص قبل التوجه للغزو ٠ وكان امراء بنى أميه قبل الناصر

---

(١) الشعراوى ٠ المرجع السابق ٠ص ٢٩٠٠

(٢) بدر ٠ المرجع السابق ص ١٥٩٠

يبرزون قبل الخروج الى الغزو . وهناك مواضع اخرى من قرطبه الاسلاميه هى :
الرمله : منطقة تقع على شاطئ النهر فيما يلى ربض شبلار شرقا حيث يمكن للخارج من الباب الجديد ان يصل اليه على طريق الزاهره المعروف بطريق الرمله ، وعند خروجه من باب حديد من أبواب المدينه الشرقيه وانحرف جنوبا فى الزقاق الكبير وخرج الى الرمله وجد نفسه امام مخاضه يمكن ان يخرج منها الى ربض شقنده فكانت الرمله منتزها من منتزهات قرطبه المقصوده للفرجه والمتعه فكانت كثيرة البساتين والجنان .

كذلك وادى قرطبه الذى كان من اجمل الاماكن التى يقصدها اهل قرطبه للنزهه ، فقد كان فى العصر الاسلامى محفوفا بالبساتين والدور والقصور والمينات . كما كان لتقارب ضفتيه امن من غدره ومروجه زيادة انس وكثرة امان من الغزو . (١)

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٠ ، ٢٢٢ ، ٢٣٥ .

انتشار عمارة القصور الريفيه فى عهد الاوسط :

لقد سبق ان ذكرنا ان الامراء الامويين قد اهتموا بالنواحى العمرانيه فى اسبانيا بشكل عام وعلى وجه الخصوص نذكر منهم الامير عبدالرحمن الاوسط الذى ينسب اليه توصيل المياه من عين فى الجبل الى القصر حيث اصبحت من بعده عادة متبعه اتخذها الامراء والخلفاء والناس جميعا حيث يؤخذ الماء منها الى المدينة وما حولها هذا وفى نفس الوقت انشئت عدة منى جمع منيه وهى عباره عن قصر ريفى فى ضواحى المدينه ضمن حدائق غناء ، ويعتبر هذا النوع من البناء السائدة فى العصور الوسطى التى انبعثت عنها ابنية القصور الريفيه وللاقامه فيها فى العصور الحديثه ٠

وقد ذكر الاستاذ احمد بدر قائلا : " ولاصحة لما يقول صاحب المؤلف المشهور "ثقافة النهضة فى ايطاليا " بأن الايطاليين كانوا أول الناس فى العصر الحديث الذين يرون فى مناظر الطبيعة موضوعا يسر الناظر اليه ففى شمال اوروبا لم يكن يعيش فى الريف من الحضر الا اولئك النبلاء الذين يعيشون داخل الحصون لضرورات الحفاظ على ارزاقهم وبعض الرهبان فى الاديرة لضرورات دينية بينما يبقى ابناء الطبقة الوسطى لايبرحون مدينتهم ٠ وايطاليا هى الاستثناء الوحيد لان كثيرا من الناس كانوا مغرمين بالعيش بين احضان الطبيعه ، وهكذا كانت القصور الريفيه او الفيلات الجميله ذات المبانى التى تزيد فى فخامتها عن فخامة الابنية فى المدن والتى بنيت فى فلورنسا فى النصف الاول من القرن الرابع عشر تدشينا لميلاد الفيلا المعروفه بكثرة فى القصور الحديثه "كما يذكر الاستاذ الفاضل نفسه ان السبب فى الخطأ لهذه الاقوال يعود الى جهل المؤلف بتاريخ العرب والاسلام فى الاندلس فقد سبق الاندلسيون الايطاليين باكثر من خمسة قرون اذ أنشأ

الامير عبد الرحمن الداخل منية الرصافة الواقعه على بعد ثلاث كيلو مترات شمال قرطبه وبذلك ازدهرت عملية انشاء المنى فى فترة ازدهار عصر الاماره حيث بنى العديد منها مثل منية الناعوره فى الاماره ومنيه عجب حظيه الحكم الربضى فى جنوب المدينة ومنية نصر الخصى الذى يتمتع بالحظوة والمكانة لدى الامير عبد الرحمن الثانى . وغير بناء المنى فهناك ولع الاندلسيون بالعيش فى احضان الطبيعة حيث كان خروج الناس والامراء للترويح والنزهة شيئا مألوفا . ولم يكتفوا بالطبيعة القريبه ، بل كانوا يقصدون البحر فى فصل معين لهذه الغايه ، حتى من قرطبه التى تبعد عنه اكثر من مائة كيلو متر . وقد ذكر الخشنى ان الامير عبد الرحمن الثانى خرج فى زمان الخريف على ما كانت الخلفاء تلتزمه من التروح الى اشبيليه وساحل البحر .(١)

هذا وقد ذكر ابن حيان ان الامير : " عبد الرحمن بن الحكم احتجب عن الناس قبل موته مدة من ثلاثة اعوام او نحوها من اجل علة اصابته طالت به واشتدت عليه ، فحمته الحركه وهدت قوته واحدثت عليه رقه فى نفسه ووحشه فى خاطره وشدة اسف على ما نفس عليه من نضارة ملكه .

فذكر انه قال يوما لاكابر خدمته الخاصه ، وقد حفوه فى مرضه وفيهم سعدون زعيمهم الذى اختصه بعد ملك حظيه نصرة يابنى ! وبذلك كان يخاطبهم مستلطفا لهم ومرفقا بهم ــ لقد اشتقت ان اعاين ضوء الدنيا وفسحة الارض اذ قد حميت عن (٢) الخروج اليها ، فلعلنى اعلو قرطبه يسافر بصرى فيها فاتسلى بالنظر

انظر

(١) بدر . المرجع السابق ص ١٥٩ / ١٦٠ / الخشنى قضاة قرطبه وعلماء افريقيا ص ٧٦

(٢) ابن حيان . المقتبس . ص ١٥٨ / ١٥٩ .

الى بسيطها ، وجسمى منزع ، فهل سبيل الى ذلك ؟ فقالوا له : نعم يامولانا .

وأبتدأ أكابرهم انفاذ أمره ، فاخذوا سرير خيرزان لطيفا وثيق الصنعه من اسرة الخلافه ، ووضعوا فوقه فراشا خفيفا وثيرا حشوه بالريش اجلسوه فوقه واحتملوه على اعناقهم ، فصعدوا به الى الصلية على هيئته التى كانت من بنيان الامير على باب الجنان من أبواب القصر القبلية ، ثم هبطوا كذلك فعانوا ذلك مرات يسوقون به الامير فى تعاريج درجه الدائره حتى استوى لهم ذلك كما ارادوه ، وأمنوا على الامير المشقه فيه فوضعوا الامير عبد الرحمن عند ذلك فوق ذلك الفراش ، وشدوه من جهاته واستوثقوا من اضطرابه ، وصعدوا به هونا ، حتى صيروه بأعلى تلك الصلية ، فأجلسوه صدرها ، وأدنوه الى الباب الاوسط منها ، فاشرف على صحراء الربض قدام باب القصر وسرح بصره فيها ، ورآها الى كدى القنبانيه ، ونظر الى النهر أمامه والسفن تجرى فيه صاعده ونازله .(1)

فأستروحت نفسه وانشرح صدره وشكر لخدمه ما حشموه من ادنائه من مسرته وقال لهم : ياأولادى اجلسوا الان حولى وانسونى بكلامكم ، كيما اشتغل بذلك عما اقاسيه من علتى ففعلوا وادمن هو بذلك وانبسط وقطع اكثر نهاره فى الصليه " وفى المساء اثناء نزوله وقع نظره على الصحراء فرأى قطيع شاة وهى ترعى فى منحدرها . وسأل عن راعيها فاخبروه بأنه جالس الى جانبها مستريح فى فىء جنان طروب يتمتع بالنظر اليها .

فتنفس الامير الصعداء وأرسل عبرته يبكى حتى وصلت الى لحيته وقال :

---

(1) ابن حيان . المصدر السابق ص ١٥٩ .

" وددت والله أن اكون مكان ذلك الراعى ولا انشبت فيما نشبت من الدنيا ولا أتقلد من امور الناس ماتقلدت " . (١)

كما ذكر احمد بن الامير محمد بن عبد الرحمن قائلا :

" اعتل جدى الامير عبد الرحمن علته التى توفى فيها فطاولته ونهكته وماطلته مدة الى ان قال : "فلما كان قبل وفاته بأربعة أيام انحط مرضه وتحركت له قوة فأمر بأن يصلح له الحمام فاحتم فيه وحدثته نفسه بالركوب مع عويا له طلب النزهه وهو يأمل الانظار والموت ادنى اليه من وريده " (٢)

كما اخذ بالمشوره من حاجبه عيسى بن شهيد فى الركوب الى النزهة على مقتضى العاده . ثم امره بالخروج فورا لترتيب ماتحتاجه النزهة من رسوم وقال له : " واعجل بذلك فانا متحركون صبيحه غد بحول الله" . ولا أريد أن اطيل فى موضوع نزهة الامير عبد الرحمن الاوسط تلك . وانما اردت من ذكر التفاصيل السابقه بأن نزهة الامير عبد الرحمن كانت من الاشياء التى تعود هو وأهل بيته عليها وتعود الاندلسيون بصفة عامة عليها . فقد كانت عادة ضرورية للنفس والترويح عنها يخرجون من قصورهم او من منازلهم الى الضواحى أو القرى المجاورة فى احضان الطبيعة الجميله والتى توجد بها المساكن الجميلة التى ابتنوها وهى عبارة عن فلل أو قصور ريفية كما يسميها اهل ذلك العصر للراحه والاستجمام والترويح عن النفس والتمتع بمناظر الطبيعة الخلابة لما فى ذلك من اهمية خاصه لدى الاندلسيين المسلمين وهذا مادفعهم لبناء ماسموه فى ذلك الوقت بالمنى (أى القصور الجميلة

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٠ .
(٢) نفس المصدر ص ١٦١ .

المحاطة بالحدائق الجميله وهى اشبه بالجنان الرائعه) ـ هذا ليس بجديد في عهد الاوسط اذ كانت عادة متبعه لدى امراء بني أميه اسلافه وقد بدأها جده الامير عبد الرحمن الداخل الذى بنى لنفسه قصر قرطبه القديم حيث زينه وجمله وجعله مقرا له ولكن قصر الرصافة الذى بناه واحاطه بالبساتين الواسعة والرياض الفينانه والتي نقل اليها كثيرا من اشجار الشرق ونباته ، ثم تولى بقرطبة بناء القصور الفخمه ذات المناظر الخلابه والجنان الفاتنه فمنها : الكامل والمجدد والروضه والزهد والمعشوق والمبارك والرشيق وقصر السرور والتاج والبديع ، كما يقال : أنه كان بقرطبه خمسوه الف قصر للعظماء ورجال الدولة ، وعلى رأسها قصر دمشق الذى عمت ساحاته وفناؤه وحاكى به الأمويون قصورهم بدمشق وفيه يقول ابن عمار :

كل قصر بعد دمشق يـــذم　　　فيه طاب الجنى ولذ المشم
منظر رائق وماء نميـــر　　　وثرى عاطر وقصر اشم (١)

---

(١) الشلبى ٠ المرجع السابق ص ٩٤ ٠

عمارة قناطر المياه فى عهد الاوسط

ومن ضمن الحضارة العمرانيه فى الاماره الامويه وفى عهد الامير عبد الرحمن الاوسط بالذات والتى تنوعت نواحيها بعد أن عنى بها المسلمون بالاندلس اذ كثر منها مثلا فى التجارة حيث عنوا بالطرق والجسور والاسواق • اما فى الزراعة فقد كانت عنياتهم كبيره حيث ادخلوا نظام الرى الذى لم يصل الاسبانيون الى مثله من قبل ثم شقوا الانهار وحفروا الترع لحجز المياه حتى يرتفع الماء امام القنطره فيسقى الاماكن المرتفعه فكانت دورة الزراعة بذلك ثلاثيه فى امكنة كثيرة من اسبانيا • (١)

وقد اكسب المسلمون مدينة قرطبة رونقا جديدا وقد بدأ ذلك منذ عهد السمح بن مالك الذى بنى القنطرة الفخمه على نهر الوادى الكبير وقد جددها هشام بن عبد الرحمن الداخل • وبذلك نستطيع القول بأن امراء بنى أمية قد اهتموا بتأسيس القناطر وجسور المياه على أن اهم القناطر الباقيه هى قنطرة قرطبة والتى تصل بين مدينة قرطبه وربضها شقنده وهى من بناء الامبراطور اغسطس فوجدها الفاتحون العرب عند الفتح الاسلامى لقرطبه مهدمه قد سقطت حناياها ولم يبق منها سوى دعائمها الراكبة فى النهر فجددها السمح بن مالك الخولانى كما ذكرت سابقا وبناها باحجار السور المتهدم سنه ١٠١ هـ • ثم تعرضت القنطرة سنة ١٦١هـ لسيل جارف سد حناياها وهدم بعضها ولكن الامير عبد الرحمن الداخل لم يتهيأ له ان يرممها وذلك لانشغاله بقمع الثورات المشتعله فى جميع انحاء الاندلس فرممها ابنه هشام من بعده حيث تولى بناءها بنفسه ولكن القنطرة تعرضت مرة اخرى لسيل جارف اخذ يجرف ربض القنطره سنة ١٨٢ هـ وتبعه سيل اخر سنه ٢٨٨هـ

---

(١) الشلبى • موسوعة التاريخ الاسلامى جـ ٤ ص ٩٢ •

هدم دعامة من دعائمة ولكنها استمرت بالرغم من ذلك تؤدى وظيفتها فى ايصال بشقنده . وفى عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر تهدمت بسبب المد الهائل الذى اجتاح الوادى الكبير فرممها الخليفة ولكنها تعرضت سنة ٣٣٤ هـ لسيل عظيم ملأ الماء البرج المعروف ببرج الاسد فهدم الجزء الأخير من القنطرة وهدم الرصيف فأصلح الناصر ماتهدم من القنطره . وهكذا بقيت القنطرة موضع رعاية امراء بنى امية . كما عمل المنصور بن أبى عامر على تخفيف الضغط على قنطرة قرطبة فامر ببنيان قنطرة اخرى على نهر قرطبة سنة ٣٨٧ هـ تم بناؤها سنة ٣٧٩ هـ فاستعاد منها الناس . الى ان انتهى عهد المسلمين فى الاندلس فاهتم مسيحيو قرطبة بها حيث كسوها بالاسمنت الذى غطى معالمها الاثريه . وعدد الاقواس فى هذه القنطرة اليوم ستة عشر قوسا تحملها سبع عشرة دعامه ولكنها كانت فى العصر الاسلامى تحتوى على عدد أكبر من ذلك .

أما قنطرة طليطلة فقد كانت تربط بين المدينة وبين ربضها الواقع فى الضفة المقابلة للمدينة من نهر تاجه وكانت تتألف من قوس واحد فيه فرجتان من كل جانب وطولها ثلثمائة باع وعرضها ثمانون باعا وهى تجعل الماء يصعد الى اعلى القنطرة ويجرى الماء على ظهرها فيدخل المدينه . وقد تهدم الجسر الذى كان يصل المدينة بالمياه من النهر فى الوقت الحاضر . هذه القنطرة كانت فى أيام عبدالرحمن الأوسط . اما فى عهد ابيه محمد فقد هدمت حين أمر الامير محمد بهدمها سنة ٢٤٤ لينتقم من أهلها الثائرين عليه .

وعمل امراء بنى أمية وخلفاؤها على تقليد الرومان فى تشييد الجسور التى تحمل المياه من الجبال فى انابيب دقيقة الى المدن .(١)

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم . تاريخ المسلمين ص ٤١٤ الى ٤١٦ .

على أن الاستاذ احمد بدر يذكر: أنه ينسب الى الامير عبد الرحمن الاوسط ايصال المياه من عين فى الجبل الى القصر حيث جعلت فيه شريعه يؤخذ منها الماء الى المدينه وما حولها . (1)

وقد ذكر المقرى عن اصل وبداية القناطر فى الاندلس مفصلا استطيع أن انقل عنه شيئا من الاختصار ذكر:

" ومنها ماكان جلبهم الماء من البحر الملح الى الارحى التى بطر كونه على وزن لطيف وتدبير محكم حتى طحنت به وذلك من اعجب ماصنع ومن ذلك ماصنعه الاول ايضا من جلب الماء فى البحر المحيط الى جزيرة قادس من الصين التى فى اقليم الاصنام ، جلبوه فى جوف البحر فى الصخر المجوف ذكرا فى انثى وشقوا به الجبال ، فاذا اوصلوا به الى المواضع المنخفضه بنوه له قناطر على حنايا ، فاذا جاوزها واتصل بالارض المعتدله رجعوا الى البنيان المذكور فاذا صادف سبخه بنى له رصيف وأجرى عليه هكذا الى أن انتهى به الى البحر ثم دخل به فى البحره واخرج فى جزيرة قادس والبنيان الذى عليه الماء فى البحر ظاهر بين " .

" ومنها الرصيف المشهور بالاندلس ، قال فى بعض اخبار روميه :
انه لما ولى يوليش المعروف بجاشر ، وابتدأوه بذلك من مدينة روميه الى المشرق منها والى المغرب والى الشمال والى الجنوب ، ثم بدأ بفرش المبلطه ، واقبل بها على وسط دائرة الارض الى أن بلغ ارض الاندلس وركزها مشرقى قرطبه ببابها المتطامن المعروف بباب عبد الجبار ثم ابتدأ من باب القنطرة قبلى قرطبه الى شقنده الى استجه الى قرمونه الى البحر واقام على كل ميل ساريه قد نقش عليها اسمه

---

(1) بدر . المرجع السابق ص ١٥٦ انظر نفح الطيب ج١ ص ٣٢٥ ، أما ابن الأثير فى الكامل ج٧ ص ٧٠ فيقول ان الامير محمد أول من جلب المياه .

من مدينه روميه ، وذكر انه اراد تسقيفها فى بعض الاماكن لحاجة للخاطرين من وهج الصيف وحول الشتاء ، ثم توقع ان يكون ذلك فسادا فى الارض ، وتغييرا للطرق عند انتشار اللصوص واهل الشر فيها من المواضع المنقطعه النائيه عن العمران فتركها على ماهى عليه ." (١)

كما اضاف عن قرطبه ونهرها وقنطرتها قائلا : " واما نهر قرطبه فانه يصغر عن عظمه عند اشبيليه ، بحيث صنع عليه قنطره من حجارة لايتأتى مثلها فى نهر اشبيليه ، ومنبعه من جهة شقورة يمر النصف منه الى مرسيه مشرقا ، والنصف الى قرطبه واشبيليه مغربا " وايضا " ونهرها الساكن جريه و الملين فى انصبابه ، الذى تؤمن مغبة ضرره فى حمله " وقال هذا لانه يعظم عند اشبيليه فاذا حان فى ايام الامطار اشفت اشبيليه على الغروق، وتوقع اهلها الهلاك ، والقنطرة التى على هذا النهر عند قرطبة من اعظم آثار الاندلس واعجبها اقواسا ففيها سبعة عشر قوسا وبانيها على ماذكره ابن حيان وغيره – السمح ابن مالك الخولانى صاحب الاندلس بامر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وشيدها بنو أميه بعد ذلك وحسنوها قال ابن حيان : وقيل : انه قد كانت فى هذا المكان قنطرة من بنيان الاعاجم قبل دخول العرب بنحو مائتى سنه وعليها بنى السمح فى سنة احدى ومائه " .

وقال : ان قنطرة قرطبة احدى اعاجيب الدنيا ،بنيت زمن عمر بن عبد العزيز على يد عبد الرحمن بن عبيد الله الغافقى ، وطولها ثمانمائه ذراع . وعرضها عشرون باعا + وارتفاعها ستون ذراعا وعدد حناياها ثمانى عشرة حنيه وعدد ابراجها تسعة عشر برجا " (٢)

---

(١) المقرى . المصدر السابق ص ٢٠٢/ ٢٠٣

(٢) المقرى . المصدر السابق ص ٤٨٠ .

هذا ما وصفه المقرى لقرطبه ونهرها وقنطرتها ٠ اما بالنسبة للدكتور احمد شلبى فقد قال عنها : " وقرطبة على نهر كبير ، فومته بجبل شقوره ويمر على قرطبه وتصب فيه تحت قرطبة اوديه ثم يمر الى اشبيليه وعلية قنطرة عظيمة حصينه من اجمل البنيان قدرا وأعظمه خطرا وهى من الجامع فى قبليه وبالقرب منه وانتظم بهما الشكل الى الشكل وجاءت كالفرع لذلك الاصل " ٠ (١)

على ان ابن عذارى يذكر " ظلت هذه القنطرة كذلك الى ان كانت ولاية السمح بن مالك الخولانى فكتب الى الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز يستشيره ويعلمه " بأن مدينه قرطبه تهدمت من ناحية غربها ، وكان لها جسر يعبر عليه نهرها ، ووصفه بحمله وامتناعه من الخوض الشتاء عامه ، فان امرنى امير المؤمنين ببنيان سور المدينة فعلت فان قبلى قوةً على ذلك من خراجها بعد عطايا الجنود ونفقات الجهاد وان أحب صرفت صخر ذلك السور فبنيت جسرهم ، فامر عمر بن عبد العزيز ببنيان القنطره بأحجار السور المتخرب فرمم القنطرة فى سنة ١٠١ هـ ترميما حسنا حتى أصبحت بحق أحدى مفاخر قرطبه وقد وصفها الادريسى بقوله :

" ولقرطبه القنطره التى علت القناطر فخرا فى بنائها واتقانها وعدد قسيها ١٧ قوسا (٢) ، بين القوس والقوس خمسون شبرا (١٠ أمتار تقريبا) وسعة ظهرها المعبور عليه ثلاثون شبرا (نحو ستة امتار) ولها ستائر (اى جدران) من

---

(١) احمد شلبى ٠ المرجع السابق ٠ ص ٩٦ ٠

(٢) تقوم القنطرة اليوم على ١٦ قوسا وكانت هذه الاقواس ترتكز على ارجل ضخمة (ركائز) نصف اصطوانيه تتوجها من اعلى كسوه زخرفيه نصف مخروطية ٠ وقد اختلف المؤرخون فى عددها منهم من ذكر انها ١٧ قوسا ومنهم من قال ١٨ ، ومنهم من ذكر انها ١٩ ، اما عدد ابراجها فهى ١٩ برج ٠

كل جهة تستر القامه ، وارتفاع القنطرة من موضع المشى الى وجه الماء فى أيام جفوف الماء وقلته ثلاثون ذراعا (نحو ١٥ مترا) وان كان السيل يبلغ الماء منها الى نحو حلوقها " (١) ويذكر ان طولها ٨٠٠ ذراع وعرضها ٢٠ باعا ، وارتفاعها ٦٠ ذراعا ٠ ويعتبر الدكتور السيد عبدالعزيز سالم ان هذا العدد المذكور خيالى لانه طول القنطرة اليوم لايتجاوز ٢٢٣ مترا ٠

وتعرضت القنطره لاصلاحات عديده بسبب مدود النهر وعنف السيول ففى سنة ١٦١ هـ " حمل نهر قرطبه حملا عظيما حتى سد حنايا القنطره وهدم بعضها وزلزلها " ولم يستطع الامير عبدالرحمن الداخل ترميمها كما ذكر سابقا حيث رممها الامير هشام ٠ (٢) اما الرصيف والسد والمنبر (الارجاء) :

فجاء ذكره على لسان الدكتور السيد عبدالعزيز سالم : ان المسلمين كانوا يطلقون اسم الرصيف على كل الطرق المرصوفه كالطرق الرومانيه ومن بينها السكة العظمى وسكة اغسطس) فحرص امراء بنى أميه وخلفائهم على ترميم الارصفة الرومانية القديمه وخاصة فى مدينة قرطبه العاصمة وبناء ارصفة اخرى جديده مثل الرصيف الذى كان يربط بين قرطبه ومدينة الزهراء وكان طريقا ارضيته مرصوفة بالحجارة ٠ واكثر ارصفة قرطبة شهرة الطريق المحدث الذى كان يحف بالضفه اليمنى من نهر الوادى الكبير ، وكان يطل الباب القبلى المؤدى مباشرة الى القنطرة وكان هذا الرصيف يمتد من الناحية الشرقيه للمدينه حتى الناحية الغربية للقصر ثم يأخذ فى الاتجاه بعد ذلك بالسوق العظمى نحو السهل الذى به المصاره ومصلاه ويسمى الرصيف هناك برصيف القصابين ، وكان هذا الرصيف قد اعيد بناؤه كله فى سنة ٢١٢هـ بأمر

---

(١) د ٠ السيد عبدالعزيز سالم ،قرطبه حاضرة الخلافة فى الاندلس ج١ص١٩٧ / ١٩٨
(٢) المرجع السابق ص ١٩٨ ٠

الامير عبد الرحمن الاوسط تحت اشراف احمد العتبى ، كما عمل الامير عبد الرحمن الاوسط السقايه على الرصيف .

ويصف الادريسى هذا الرصيف بقوله : " وتحت القنطرة يعترض الوادى رصيف سد مصنوع من الاحجار القبطليه والعمد الجاشيه من الرخام وعلى هذا السد ٣ بيوت ارحاء فى كل بيت منها أربعة مطاحن " . وكان السد من منتزهات قرطبة التى يقصدها الوشاح والشعراء وقد وصف الشاعر ابو شهاب المالقى يوم نزهة له بهذا السد فقال :

ويوم لنا بالسد لورد عيشه	بعيشة أيام الزمان رددناه
بكرنا له والشمس فى خدر شرقها	الى أن أجابت اذ رع الغرب دعواه
قطعناه شدوا واغتباطا ونشوة	ورجع حديث لو رقى الميت احياه
على مثله من منزه تبتغى المنى	فلله ماأحلى وما أبدع مرآه
شدتنا به الازهار وألقت نثارها	علينا ، فاصفينا له وقبلناه
لئن بان أنا بالانين لفقده	وبالدمع فى أثر الفراق حكيناه

والمنبر هو الارحاء القائمة على السد فكانت تعتبر احد منتزهات قرطبة المطله على النهر وفى الارحاء يقول الزجال قاسم بن عبود الرياحى :

بالله يا حبيبى	أترك ذا النفار
وأعمد أن نطيب	فى هذا النهار
واخرج معى للوادى	لشرب العقار
فتمم نهارنا	فى لذة وطيب
فى الارجاء والا	فى المرج الخصيب

دور

أو عند النواعير	والروض الشريق
او قصر الرصافة	او وادى العقيق

رحيق والله دونــــك   هو عندى الحريــــق

والناعورة هذه المذكوره كانت ترفع المياه الى بساتين المنيه التى سميــــت بالناعوره فكانت عجلتها الكبرى تستند على جدار مبنى من الحجر والآجر تتخللــه عقود متجاوزه منكسره ، محاطة بطرز او تربيعات مربعه ، وهذا الجدار قائم فــى مكان متقدم من وسط الوادى وحيث يزداد عمق المجرى ويشتد التيار الميــــاه وهذان شرطان لابد منهما لتحريك العجلة الضخمة فى اعلى الجدار ، امـــا فى اعلى الجدار كانت المياه المرفوعه تجرى فى قناة تمتد الى اعلى باب الرصيــف الى ان تصل الى مساحة الحصا باعلى الرصيف ناحية الجدار القبلى للقصــــر الخلافى . ويرجح الدكتور السيد عبدالعزيز سالم ان هذه الناعورة والقناة والرصيـف كانت من انشاء عبدالرحمن الاوسط الذى " شيد القصور وجلب اليها الميــــاه ، وبنى الرصيف وعمل عليه السقائف ، وبنى المساجد والجوامع بالاندلس ، وعمــــل السقاية على الرصيف" ، وقد دامت هذه الناعورة فى مكانها قائمة حتى زمن الاسترداد كما اقيمت الساقيه المعروفه بالبولافيا التى امرت الملكة الكاثوليكيه بازالتها لماتسببه لها من إزعاج . اما باب الرصيف الذى كان يسمى بباب الحديد فقد تهدم فــى سنة ١٨٢٢ كما إختفى الرصيف اليوم . (١)

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم . المرجع السابق ص ١٢٠ الى ٢٠٢

استكمال عمارة الاسوار بقرطبة فى عهد الاوسط :

الآثار من الاسوار والحصون والابنيه ذات المنافع العامه :

الاسوار :

ومن النواحى العمرانية العامه التى اهتم بها المسلمون فى الاندلس بصفة عامه والامويون منهم بصفة خاصه بتحصين مدن الاندلس اهتماما كبيرا حيث اقاموا الاسوار والحصون فى جميع مدنهم واول هذه المدن قرطبه الرومانيه التى فتحت اسوارها عند الفتح الاسلامى فى بعض اجزائها خصوصا فى سورها القبلى والغربى وبذلك اصبحت مدينه مفتوحه للداخلين اليها والخارجين منها وعندما تولى السمح بن مالك امر الاندلس رمم قنداره قرطبة المهدمة بحجارة السور الرومانى المهدم من الناحية الغربيه ثم عزم السمح على ترميم السور وبناء الثغرة المفتوحة فيه من الجهه الغربية باللبن ولكنه لم يستطع بناء السور إذ أستشهد فى طرسونه قبل أن يشرع فى بناء السور فبقى السور الغربى دون ترميم حتى قام بترميمه الاميرعبدالرحمن الداخل سنة ١٥٠هـ .

ومازالت بقايا سور عبدالرحمن الداخل قائمه من بداية المستشفى العسكرى بقرطبه وترتكز هذه الاسوار على أسس من قطع الحجارة المهذبة القطع . وبهذا اصبح سور قرطبه الرومانى موضع رعاية الامراء والخلفاء وكانت المدينة قد اتسعت بسكانها فعمرت نواحى قرطبة بالمبانى وتكونت ارباض خارج المدينه واصبحت قرطبة تتكون من خمسة جوانب أو خمس مدن هى المدينة المركزيه او الوسطى أو القصبه ، ثم الشرقيه والغربيه ، ثم الجانب الشمالى والجانب الجنوبى ، وهو الربض الواقع جنوبى قرطبه على الضفه الاخرى من الوادى الكبير ، وكانت هذه الارباض الاربعة

المحيطة بالمدينه قبل الفتنة بدون اسوار ، ولما أشتعلت نيران الفتنة أقيم لكل جانب منها خندق يدور حوله سور مانع يفصلها عن غيرها وكان سور المدينة الوسطى او القصبه على شكل متوازى اضلاع لايتجاوز محيطة اربعه كيلومترات ويوجد بهذه الاسوار سبعة ابواب ٠

وكما تفتحت الاسوار الرومانية بقرطبة عند الفتح الاسلامى فتحت كذلك اسوار اشبيليه بسبب نمو العمران والتوسع فيه ،ولكن عند غارة النورمنديون على اشبيليه تمكنوا من الدخول الى المدينة دون اعتراضهم من الاسوار المنيعة حيث دخلوها وهى خالية من الاسوار فاستباحوها سبعة ايام كما سبق ذكرها فى الفصول السابقة من هذا البحث لذلك أضطر الأمير عبدالرحمن الأوسط الى تحصين اشبيليه ،فأسس سورها بالحجاره ثم هدم هذا السور مرة ثانيه بامر الخليفه عبدالرحمن الناصر سنة ٣٠١هـ على يدى ابن السليم ٠ (١)

وقد ذكر الأستاذ السيد عبدالعزيز سالم : أنه بعد غارة النورمنديين على اشبيليه وبعد طردهم وانتصار المسلمين عليهم فى زمن الامير عبدالرحمن الأوسط فكر الامير هذا بانشاء أسطول أندلسى اسلامى لحماية شواطئه من الغادرين به من الاعداء كما ذكر هذا الاستاذ ايضا انه " ذكر معاويه بن هشام القرشى الشبنسى فى رسالته أن عبدالملك بن حبيب كتب الى الامير عبدالرحمن بن الحكم بعد نكبه أهل اشبيليه باغارة النورمنديين عندما أثير موضوع تحصين مدينة إشبيليه فى الوقت الذى كان فيه الامير مشغولا بعمل زيادته بالجامع بقرطبه وذكر عبدالملك فى كتابه المذكور " ان بنيان سور مدينة اشبيليه أوكد عليه من بنيان الزيادة فى

(١) السيد عبدالعزيز سالم ٠ تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس ص ٤١٢ / ٤١٣ ٠

المسجد الجامع " . فعمل برأيه فى بنيان هذا السور وبناه بالحجاره فى سنة ٢٢٦هـ (٨٤٠م) وكان المهندس الذى اشرف على بناء السور عبدالله بن سنان أحد الموالى الشاميين وكان قريب الخاصة بعبد الرحمن وهو غلام فاستقدمه الأمير بعد ان تولى الإماره . ونقش عبدالله إسمه على أبواب أشبيليه . وكذلك أمر عبدالرحمن بإعادة بناء جامع اشبيليه فتم ذلك فى عهده . (١)

(١) السيد عبدالعزيز سالم . المرجع السابق ص ٢١٨ .

قصبه ماردة :

هذه القصبة يسميها عامة الناس بالدير . وهى التى أنشأها الأمير عبد الرحمن الاوسط كما يشهد بذلك نقش عليها بتاريخ ٨٣٥م . وهى اقدم قصبة عربية بقيت فى أسبانيا .

وقد ثارت مدينة مارده على الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة ٨٢٨م فأخضعها الامير وبعد ذلك دمر أسوارها عقابا لها . مما أدى الى إشتعال الثورة مرة أخرى . فأخضعها مرة ثانيه ودانت له سنه ٨٣٣م . ولكى يجعلها تكف عن العودة الى التمرد والفتنه شيد تلك القصبه أو الحصن المنيع فأصبح مقر الحاكم حيث تشرف على المدخل المؤدى الى المدينة من القنطرة وبذلك امكن إخضاعها بحامية صغيرة .

أما تخطيط هذه القصبه فقوامه مربع طول كل ضلع منه ١٣٠م . تقريبا . وبنيت من كتل من حجر الجرانيت انتزعت من الأبنية الرومانية حيث صفت فى الاجزاء السفلى على نحو يفترض فيه إحتذاء النظام القرطبى الأصيل ، ثم إن سمك جدرانها يبلغ ٢٫٧٠م وعند الاركان أبراج مربعة قوية من غير ضخامة . أما الباب الذى وجد فى أعلاه النقش المذكور . وهو باب الدخول فهو عباره عن عقد بسيط على هيئة حدوة الفرس يمتد قليلا تحت نصف الدائره ، يدعمه من الداخل عقد آخر نصف دائرى يتكىء على حدارتين من الرخام المنقول من أماكن أخرى وعلى احداها نقش قوطى ، ويحمى المدخل شبه فناء تحيط به أسوار ينفذ فيها بابان آخران احدهما يؤدى الى القنطرة والآخر إلى المدينه . أما باب المدينة الذى يمكن مشاهدته وهو مفتوح من الفناء . فهو يمثل عقدا على هيئة حدوة الفرس غير قائم على حدائر فهو أقل استدارة من عقد مدخل القصبه فيه هبوط كأنه عقد ثلاثى المركز وتوزيع أجزائه على نحو مائل غير منتظم ، وهو يقوم فى نفس الوقت على خطوط غير مترابطه .

وفى القصبة جبها المشهور وفيه كانت تخزن المياة الواردة من نهر وادى آنه التى تجرى متسللة خلال الأسوار ، وهو بناء مشيد من كتل جرانيتيه ومن رخام يعود إلى العصر القوطى الغربى منقول من أحد القصور وفيه عضادات مليئة بالزخرفة دون أدنى عناية اتخذت لتكون جوانب للعقود وعتبات .

وبالقرب من سطح الأرض ممر مستطيل الشكل فى غير كبر تعلوه قبوة نصف اسطوانية فى انحناء بعضو مشيد ه بالحجارة وله بابان فى ضلعيه القصيرين ، وآخران فى الجانب الملاصق يمكن النزول منهما الى درج كبير مزدوج يفصلها جدار وسقفاهما مسطحان قائمان على أفاريز مزدوجه مائله الجانب وفى أسفل ذلك البركة التى تخزن فيها المياه وتغطيها قبوه نصف اسطوانيه تعلوها بركة أخرى لايغطيها شئ . وفى النهايه السفلى من الجدار الفاصل تقوم احدى تلك الدعائم الضخمة التى سبق ذكرها يعلوها تاج كورنثى رومانى مركب والأخرى موزعه على الأبواب الأربعه ، وفى النقش الذى ذكرناه اشارة الى من أشرف على تشييد القصبة واسمه جعفر ابن مقصر مولى عبدالرحمن . (١)

كما كان يحيط بارباض قرطبة فى زمن الفتنة سور منيع من التراب أو الطابيه تدعمه أبراج فى جوانب مدينة قرطبه الاربعة ٢٠٧ برجا مربعه او مستطيله الشكل . أما الجانب الشرقى من قرطبه وهو المدينة الشرقية فكان يتميز ببرج ضخم اشبه مايكون بالقلعة قصد به حماية قرطبة من هذه الجهة واغلاق الطريق على الأعداء فى أضعف أجزاء السور . (٢)

---

(١) مانويل جوميث مورينو . الفن الاسلامى فى اسبانيا . ص ٥٠ الى ٥٢ .
(٢) السيد عبدالعزيز سالم . قرطبه حاضرة الخلافه فى الاندلس ج١ ص ٢١٧

الاميون فى الأندلس وبيان عهد الأوسط من انسابهم : (١)

١ـ أبو المطرف عبد الرحمن (الأول) بن معاوية المعروف بالداخل .
متوفى فى جمادى الآخرة ١٧٢ هـ . ذو الحجة سنة ١٣٨ هـ .

٢ـ أبو الوليد الراضى (العادل) هشام (الأول) بن عبد الرحمن متوفى فـــى
٣ صفر ١٨٠ هـ . جمادى الثانيه ١٧٢ هـ .

٣ـ ابو العاصى الحكم (الأول) المنتصر بن هشام . المتوفى فى ٢٧ ذى الحجة
٢٠٦ هـ صفر ١٨٠ هـ .

٤ـ أبو المطرف عبد الرحمن (الثانى) بن الحكم فى ٣ ربيع الثانى ٢٣٨ هـ
ذو الحجة ٢٠٦ هـ .

٥ـ أبو عبد الله محمد (الأول) بن عبد الرحمن . المتوفى فى ٢٨ صفر ٢٧٣ هـ ,
ربيع الثانى ٢٣٨ هـ .

٦ـ أبو الحكم المنذر محمد المتوفى فى ١٥ صفر ٢٧٥ هـ صفر ٢٧٣ هـ .

٧ـ أبو محمد عبد الله محمد المتوفى فى عشرة ربيع الاول ٣٠٠ هـ ربيع ٢٧٥ هـ

٨ـ أبو المطرف عبد الرحمن (الثالث) الناصر بن عبد الله المتوفى فى ٢ رمضان
٣٥٠ هـ . صفر ٣٠٠ هـ .

٩ـ أبو المطرف الحكم (الثانى) المستنصر بن عبد الرحمن المتوفى فى صفر ٢١٦
رمضان ٣٥٠ هـ .

١٠ـ أبو الوليد هشام (الثانى) المؤيد بن الحكم صفر ٣٦٦ هـ

١١ـ محمد (الثانى) المهدى بن هشام بن عبد الجبار جمادى الآخر ٣٩٩ هـ

١٢ـ سليمان المستعين بن الحكم بن سليمان ربيع الأول ٤٠٠ هـ

محمد الثانى	للمرة الثانية	شوال ٤٠٠
هشام الثانى	للمرة الثانية	ذو الحجه ٤٠٠
سليمان للمرة الثانية		شوال ٤٠٣ الى المحرم ٤٠٧
على الناصر بن حمود		المحرم ٤٠٧

---

(١) زامباور ـ معجم الانساب والاسرات الحاكمه فى التاريخ الاسلامى ص ٢

خاتمـــــه

ان موضوع بحثى هذا كما ذكرت فى المقدمة هو دراسة عصر الاميـــــر عبدالرحمن الاوسط فى الاندلس من (٢٠٦ هـ الى ٢٣٨ هـ) ـ (٨٢٢ ـ ٨٥٢م) وهذه الدراسة شملت معظم معالم هذه الفترة لمدى اثنتين وثلاثيــــن عاما تقريبا . وفى هذه الدراسة المتواضعه عن تلك الحقبه الزاهره من تاريـــخ المسلمين فى الاندلس وعلى وجه الخصوص عهد الامير عبدالرحمن الاوسط ، حاولت قدر المستطاع ان يكون عرضى للاحداث حاملا لملامح الجده بحيث اكـــــون قد اضفت جديدا فى هذا الموضوع الذى لم يتناوله الكتاب او المؤرخـــــون بشكل واسع مستفيض لانهم حينما كتبوا عنه تناولوه فى بعض شذرات متناثــــــره هنا وهناك فلم يسبق ان كتب عن عبدالرحمن الاوسط بالشكل التفصيلــــــى الذى نهجته هنا لان كتابات المؤرخين اقتصرت على جده الامير عبدالرحمــــن الداخل واكثروا من الكتابه . كذلك عن حفيده عبدالرحمن الثالث أو الناصـــر وغيرهم . ولم يذكروا عن عبدالرحمن الاوسط الا النذر اليسير ، وربما يعتبـــر ذلك تقصيرا فى حق شخصية عربية اسلاميه عظيمه ساهمت بقسط فعال وكبيـــر فى ارساء الحضاره الاسلاميه فى اسبانيا العربيه . كما ساهم جده فى ارســـاء قواعد الاماره فى الحكم والرياسه والامن والسلام فى الاندلس فجاء عبدالرحمـــن الاوسط ليدعم تلك الاماره ويخلدها بالحضاره والازدهار حتى اتت ثمارهـــــا فى عهده وعبر القرون التى تلت عصره .

وكما ذكرت فان المراجع تناولت شخصية الاوسط بصفة عامه ولكـــــننى حاولت ان اتعمق فى دراسة هذا الموضوع حتى وصلت الى جزئياته حيـــــث تناولت عهد هذا الامير منذ أن تسلم اماره الاندلس فى سنة ٢٠٦هـ الى ٢٣٨هـ

فى ظل اجواء هادئه لاتعكرها المنافسات العائليه ولا الحركات الثوريه الخطيره التى احاطت العهد السابق وكادت تطيح به لولا شجاعة الامير الاموى الحكم • اما الامير الجديد عبدالرحمن الاوسط فهو أقل تمسكا بنظرية الحكم المطلق بالاضافة الى خلفيته الدينيه التى كانت واضحه فى اجواء البلاط ووزرائه من اهل الفقه ورجال الدين فهو اقرب الى جده هشام منه الى ابيه الحكم رجل السياسه المحترف • ومن المؤرخين من يرى فيه شخصية مكونة من مزيج بين الاثنين الاب والجد • ويذكر البعض أنه يخطىء من ينظر الى شخصية عبدالرحمن الثانى من جانب التأثر بالاسلاف وتجريده من ملامحه المكتسبه التى لها جانب هام فى تكوين شخصيته السياسيه والاداريه والتى انعكست فى حياة الاندلس اكثر من ثلاثين عاما. ومن ابرز هذه الملامح ثقافته الادبيه والفقهيه الواسعه الى جانب تمتعه باحساس فنى رائع وذوق اجتماعى رفيع وهذه كلها كانت طابع العصر الذى عاش فيه الاوسط فنضجت فيه بذور التحول الحضارى الساطع فى الاندلس بخصائص جديده وكان هذا فى حد ذاته بداية للانتقال الحقيقى الى الدولة بمفهومها المحدد كمؤسسات ادارية وثقافية وفنيه وعسكريه متطوره فعصره بدون شك يمثل نقله حضاريه خطيره ومرحله هامه من مراحل التذويب والانصهار الاجتماعى لمختلف العناصر العربية والمستعربه التى تضافرت على هذا العطاء القيم.اذا فقد حاولت جاهدة أن ألم بالكثير من جوانب حياة الاوسط ومعالم الحضارة فى عهده والتى شملت رعايته التامه لدولته من جميع النواحى وقد شمل بحثى نواحى متعدده لعهد هذه الشخصية كان فى بدايته مقدمه عن دراسة لاهم مصادر البحث التى رجعت اليها حيث بينت مدى استفادتى منها • اما ماقدمته فى الفصل الاول فكان عن عبدالرحمن الاوسط وانتقال الاندلس الى الدور الحضارى

حيث بحثت فى هذا الفصل جوانب متعدده لهذا الانتقال اهمها شخصية عبدالرحمن الاوسط وفترة السلام النسبى فى عهده ثم التأثيرات العباسيه فى حضارة الاندلس فى عهده ايضا ، بالاضافة الى شخصيات البلاط الاندلسى واثرها فى تنظيم امارة قرطبه • اما بالنسبة للفصل الثانى فكان يشمل حروب عبدالرحمن الاوسط فى الاندلس • أما الفصل الثالث فقد اختص بعلاقات الاوسط الخارجيه سواء من النواحى الحربيه او الدبلوماسيه وانشاء البحريه الاندلسيه • هذا ويليه الفصل الرابع الذى يهتم بالاحوال الاقتصادية للاندلس فى عهد الاوسط مثل نشاط الاسطول البحرى فى غرب المتوسط التجارى مع المغرب بالاضافة الى قيام دار لضرب الاندلسيه واصدار الدراهم والفلوس حيث كان عبدالرحمن الاوسط أول من انشأ هذه الدار وضرب النقود باسمه • على ان الفصل الخامس كان يختص بالحياه العلميه فى الاندلس من حيث اقبال المجتمع الاندلسى على العلوم والاداب العربية ثم طرق انتقال الثقافة من المشرق الى نهضة العلوم الدينية وعلوم اللغة والادب والعلوم الانسانيه ثم العلوم البحته •

واخيرا يأتى الفصل السادس الذى يشتمل على اعمال عبدالرحمن الاوسط العمرانيه مثل توسيع المسجد الكبير بقرطبة ، ثم عمارة المساجد فى احياء قرطبة • كذلك عمارة القصور والمناظر بالاضافة الى انتشار القصور الريفيه وعمارة قناطر المياه مع استكمال عمارة الاسوار بقرطبة •

هذا وقد ظهرت عناية الامير عبدالرحمن الاوسط بالعلماء والفقهاء ورجال الدين والفنانين بالاضافة الى خوضه بعض الحروب الداخليه والخارجية مما يدل على انه رجل سياسة وحرب محنك يستطيع ان يكون رجل الموقف سلما اوحربا ويبدو ذلك واضحا فى اخماده لبعض الثورات والدفاع عن اراضيه ثم

تحصين بلاده واظهارها بمظهر القوه والمنعه حتى أثبت أنه رجل له وزنه الدولى فى العالم حين كانت له علاقات دبلوماسيه على مستوى دولى مرموق . ومن جهة اخرى فان اهتمامه بالنواحى الاقتصادية لايقل عن غيره فقد اهتم بالنواحى التجاريه وعلاقاته بالدول المجاورة حيث كانت الاندلس على عهده قد بلغت ذروة الثراء والترف مما دعاه لانشاء دار لسك النقود باسمه فاصبح اول من قام بهذا العمل من المسلمين فى الاندلس .

كذلك من معالم هذه الشخصية العربية المسلمه والفريده فى التاريخ الاسلامى تجتمع فيها مزايا القائد المسلم المحنك المحارب المسالم وهو العالم الفنان فقد اهتم الى جانب ذلك برعايته للعلوم والحياة العلمية حيث ازدهرت فى عهده فقد اشتهر باحضانه العلماء وتشجيعهم على نشر العلم وتطويرة من جميع نواحيه حيث رحب بالعلماء الوافدين من المشرق . بالاضافة الى الفنانين فوجدوا عنده المكان الخصب لنشر علومهم وفنونهم العظيمة وخرجوا من ذلك بحضارة جديدة ممزوجه بالتأثيرات الشرقيه والاندلسيه لها طابعها الخاص المميز . وأخيرا كان تأثير الاوسط فى النواحى العمرانيه واضحا جليا حيث ساهم بقدر كبير فى الفن المعمارى الرفيع الذى ظهرت فيه العاصمه قرطبه على مستوى عال من عواصم الدول الكبرى فى ذلك العصر .

وانها لصفحه مشرفه فى التاريخ سجلها ذلك الامير الاموى الاندلسى فى تاريخ المسلمين فى الاندلس وعمها تراثا حضاريا متألقا فى تلك الارض التى مازالت تنعكس على اجيالها ملامح القرون الخاليه .

وفيما يتعلق بالمصادر والمراجع والنصوص التاريخيه التى استخدمتها فى هذا البحث فقد واجهتنى بعض العوائق للحصول عليها خصوصا اننى لم

أستطيع العثور على مخطوطات تاريخيه والتى لاتخلو من آفاق واسعة للدراسة •
واننى لم أدخر وقتا للاطلاع على معظم ماهو منشور من المصادر الرئيسية والمراجع الحديثة المكتوبه باللغة العربيه والانجليزيه •

هذا وأسأل الله أن أكون قد وفقت الى تغطية بعض جوانب هذا الموضوع بالشكل المرضى والمفيد • انه سميع مجيب •

•• •• ••

مراجع البحث

أولا : مصادر عربيـــة :

١- ابن حيان القرطبي — المقتبس في أخبار أهل المغرب والأندلس القاهره/ ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

٢- ابن حوقل : أبو العباس ابن حوقل النصيبي كتاب صورة الارض . بيروت

٣- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر الجزء الرابع ١٩٥٨م.

٤- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد — مقدمة ابن خلدون - دار الشعب

٥- ابن دحيـــه — المطرب في أشعار أهل المغرب تحقيـــق الأستاذ مصطفى عوض الكريم . الخرطوم ١٩٥٤م.

٦- ابن عذاري : أبو عبد الله محمد المراكشـــي — البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب . نشرة ليفي بروفنسال وكولان بيروت سنة ١٩٥٠م .

٧- ابن القوطيه : أبو بكر محمد القرطبي — تاريخ افتتاح الأندلس . نشرة دون خوليان ربيرا مدريد ١٩٢٦م.

٨- ابن الفرضي — تاريخ علماء الاندلس جـ ١

٩- البكري : ابى عبد الله بـــن — جغرافية الاندلس وأوروبا من كتـــاب المسالك والممالك تحقيق د . عبد الرحمن الحجي ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

١٠- الحميري : أبو عبد الله محمد ابن عبد المنعم — صفة جزيرة الأندلس منتخبه من كتـــاب الروض المعطار في خبر الأقطار نشـــرة ليفي بروفنسال/ القاهره/ ١٩٣٧م.

١١- الخشني : أبو عبد الله محمد — تاريخ قضاة قرطبة ١٩٦٦م.

١٢- الزبيـــــدى — طبقات النحويين .

١٣- المقرى : أحمد بن محمد — نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب تحقيق د . احسان عباس جـ١ - ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م .

١٤- النباهى : أبوالحسن بن عبد الله ابن الحسن — تاريخ قطة الأندلس وسماه كتاب المرقبـــة العليا فيمن يستحق القظء والفتيـــــا ط . بيروت .

ثانيا : المعاجـــم والموسوعـــات:

١٥- أحمد شلبى — موسوعة التاريخ الاسلامى جـ٤، ١٩٧٥م

١٦- البستانـــــى — دائرة المعارف ـ قاموس عام مجلد ١١ .

١٧- زامبـــاور — معجم الانساب والأسراب الحاكمة ١٩٥١م

١٨- فهمى : عبد الرحمن — موسوعة النقود العربية وعلم النميـــات ، ١٩٦٥م .

١٩- غربال : شفيـــق — الموسوعة العربية الميســـره دار الشعب للنشر ١٩٦٥م .

ثالثا : المراجع العربية الحديثه والاوروبيه المعربة والمترجمه

٢٠ــ إبراهيم بيضون الدولة العربية فى أسبانيا من الفتح حتى الخلافة ١٩٧٨م .

٢١ــ أحمد بدر دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها ١٩٦٩م .

٢٢ــ أحمد ابراهيم الشعراوى الأميون أمراء الأندلس الأول ١٩٦٩م

٢٣ــ بروفنسال : ليفى الإسلام فى المغرب والأندلس ترجمة السيد عبدالعزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمى ــ راجعة لطفى عبدالبديع ١٩٥٨م .

٢٤ــ حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام السياسى . الجزء الثانى الطبعة السابعه ١٩٦٤م .

٢٥ــ حموده : على محمد تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى ــ القاهره / ١٩٥٧م .

٢٦ــ سالم : السيد عبدالعزيز تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ١٩٦٢م .

٢٧ــ سالم : السيد عبدالعزيز المغرب الكبير جـ ٢ .

٢٨ــ سالم : السيد عبد العزيز قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس جزئين ــ بيروت ١٩٧٢م .

٢٩ــ سعاد ماهر مجلة الدارة العدد الثالث السنه الثالثة شوال ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

٣٠ ـ شافعى : فريد — العماره فى مصر الاسلاميه جـ١ ١٩٧٠

٣١ ـ العبادى : احمد مختار — دراساتفى تاريخ المغرب والأندلس ١٩٦٨م.

٣٢ ـ العبادى / عبدالحميد — المجمل فى تاريخ الأندلس ١٩٦٤م.

٣٣ ـ عبدالجواد : أحمد توفيق — تاريخ العماره جـ ٣ ـ ١٩٧٠م.

٣٤ ـ عنان : محمد عبدالله — دولة الإسلام فى الأندلس ١٩٦٩م.

٣٥ ـ عنان : محمد عبدالله — تراجم إسلاميه شرقيه وأندلسيه ١٩٧٠م

٣٦ ـ فهمى : عبدالرحمن — دراسات فى الحضاره الإسلاميه

٣٧ ـ فهمى : عبدالرحمن — النقود العربية ماضيها وحاضرها ١٩٦٤م.

٣٨ ـ كرد على — الإسلام والحضارة العربية ١٩٦٨م.

٣٩ ـ كريزويل

A Short Account of Early Muslim Architecture.
K.A.C. CRESWELL A Pelicam Book 1958.

٤٠ ـ مرزوق : محمد عبدالعزيز — الفنون الزخرفيه الإسلاميه فى المغرب والأندلس.

٤١ ـ موئس : حسين — شيوخ العصر ١٩٦٥م.

٤٢ ـ موئس : حسين — رحلة الاندلس ١٩٦٣م.

٤٣ ـ مورينو : مانويل جوميث — الفن الإسلامى فى أسبانيا ترجمة لطفى عبدالبديع ـ السيد عبدالعزيز سالم ١٩٦٨م.

قائمة باللوحات والصور والخرائـــــــط

قائمة باللوحات والصور والخرائط

١- صور : النقود العربيه فى عهد الامير عبد الرحمن الاوسط .
عن كتاب (موسوعة النقود العربيه) د . عبد الرحمن فهمى

٢- صوره : داخل محراب جامع قرطبه ايات فنيه بعضها فوق بعض
عن كتاب (الاندلس حديث الفردوس) د . حسين مونس

٣- صور : لبقية جدار جامع عبد الرحمن الداخل وبداية الزيادة التى اظفها عبد الرحمن الاوسط . عن كتاب (الاندلس حديث الفردوس) د . حسين مونس .

٤- صوره : مدخل محراب جامع قرطبه . قطعه فنيه فريده من نوعها . الاقواس المزدوجه عن كتاب (الاندلس حديث الفردوس) د . حسين مونس .

٥- صوره : واجهه المسجد الجامع . عن كتاب (الاندلس حديث الفردوس) د . حسين مونس .

٦- صوره : رواق الجامع الاول الذى بناه عبد الرحمن الداخل ويبدو جمال الاقواس المزدوجه . عن كتاب (رحلة الاندلس) حسين مونس .

٧- صوره : مسجد قرطبه فى تفاصيل العقود والزخارف بالمحراب والصحن وصحن المسجد والمسقط الافقى .
عن كتاب (تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس)
د . السيد عبد العزيز سالم .

٨- ، ٩- } الصورتين مجموعة فى صورة واحدة وتمثل الاولى : واجهة من واجهات المسجد . والثانيه واجهه رواق القبله . عن كتاب كرزويل .

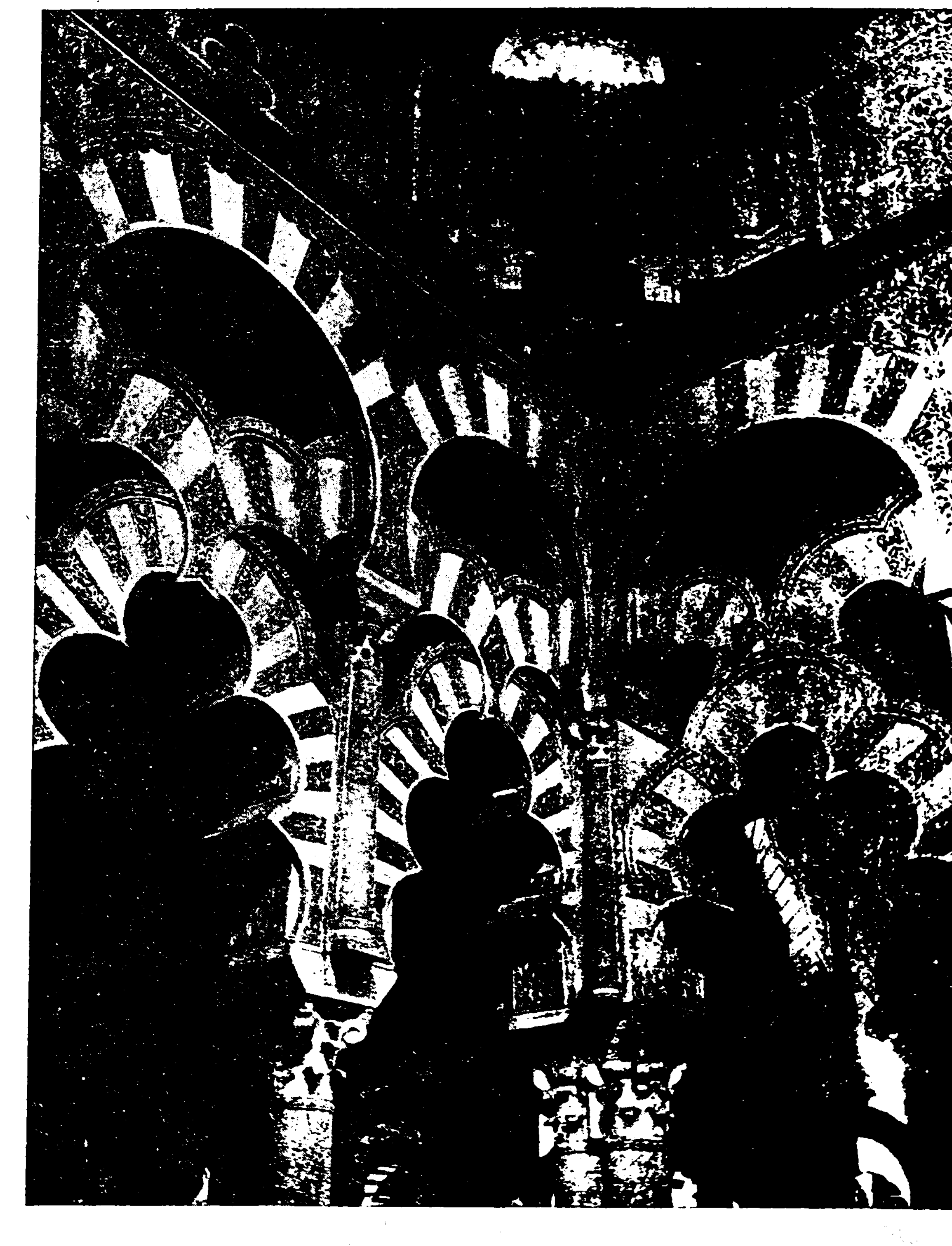
١٠- صوره : واجهة المسجد ، عن كتاب كرزويل .

١١- ، ١٢- } الصورتيت مجموعةفى صوره واحده وهى الخطه الاساسية للجامع الكبير مع صورة : بناء الجدار العاشر لواجهة المسجد عن كتاب كرزويل .

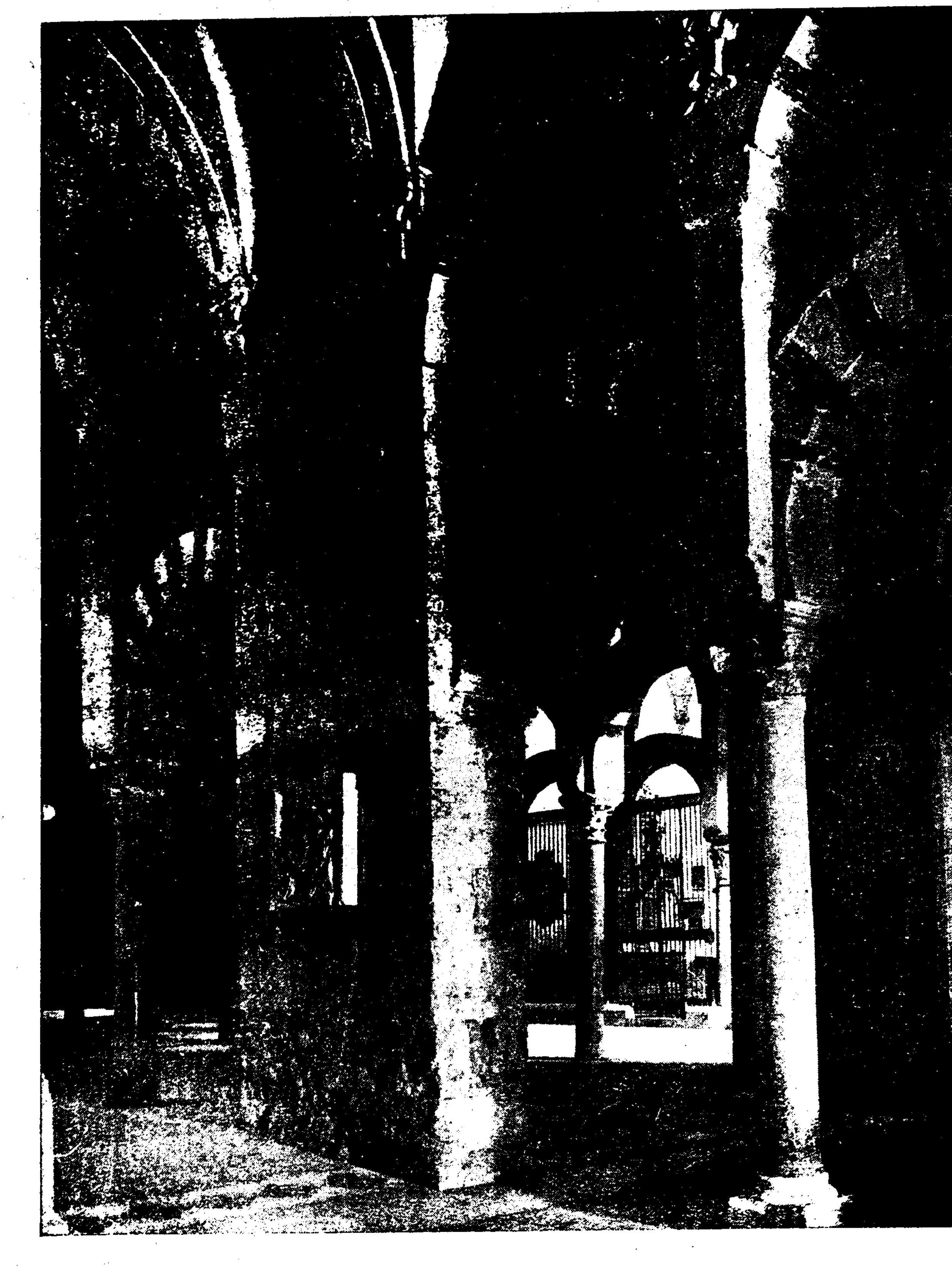
١٣- خريطة : مصور الاندلس والاسماء الحاليه لمواقعها عن كتاب :
(تاريخ المسلمين فى الاندلس) د . احمد بدر

لوحة ٩٧

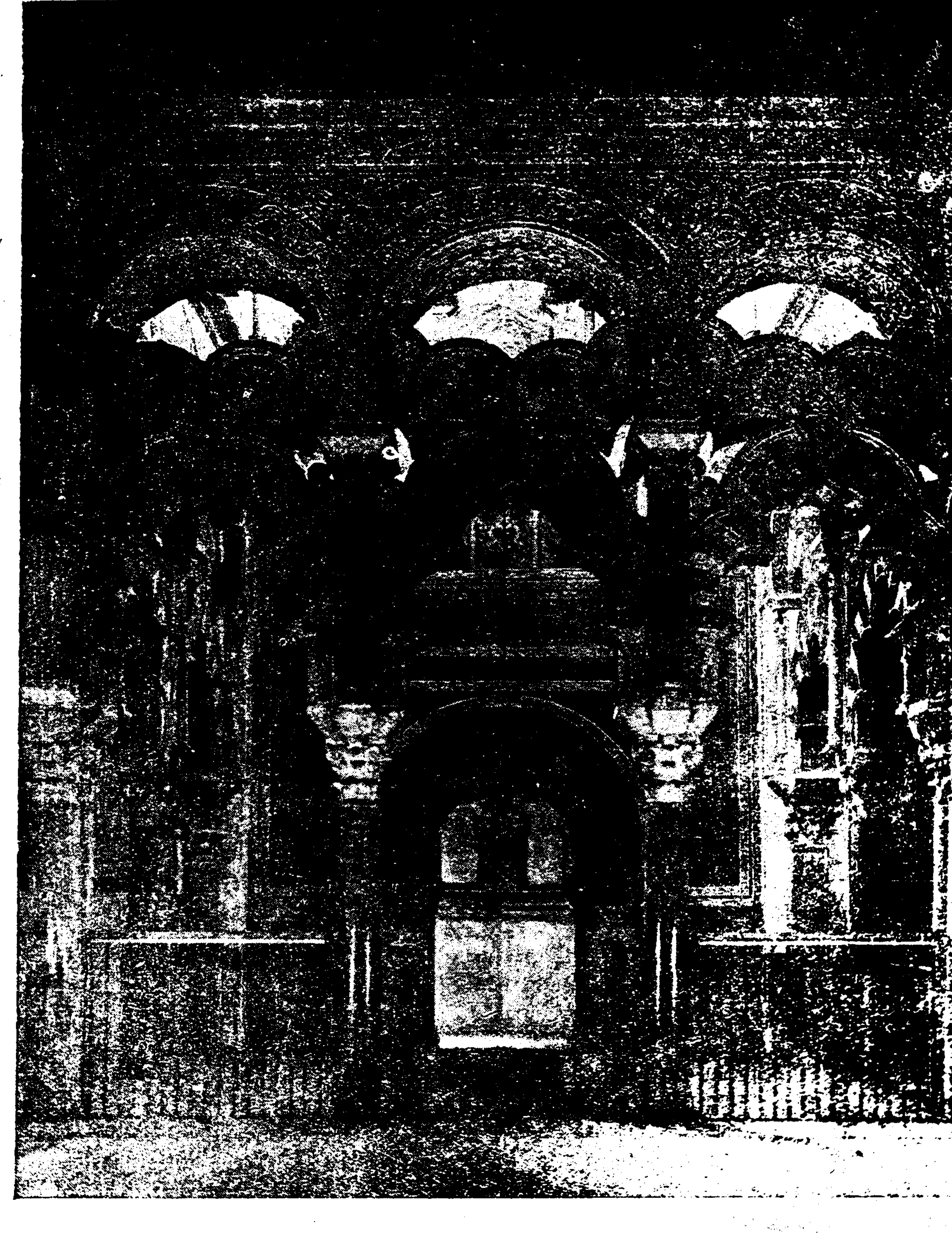




داخل محراب جامع قرطبة : آيات فنية بعضها فوق بعض ، يفيض عليها النور .. نور الله

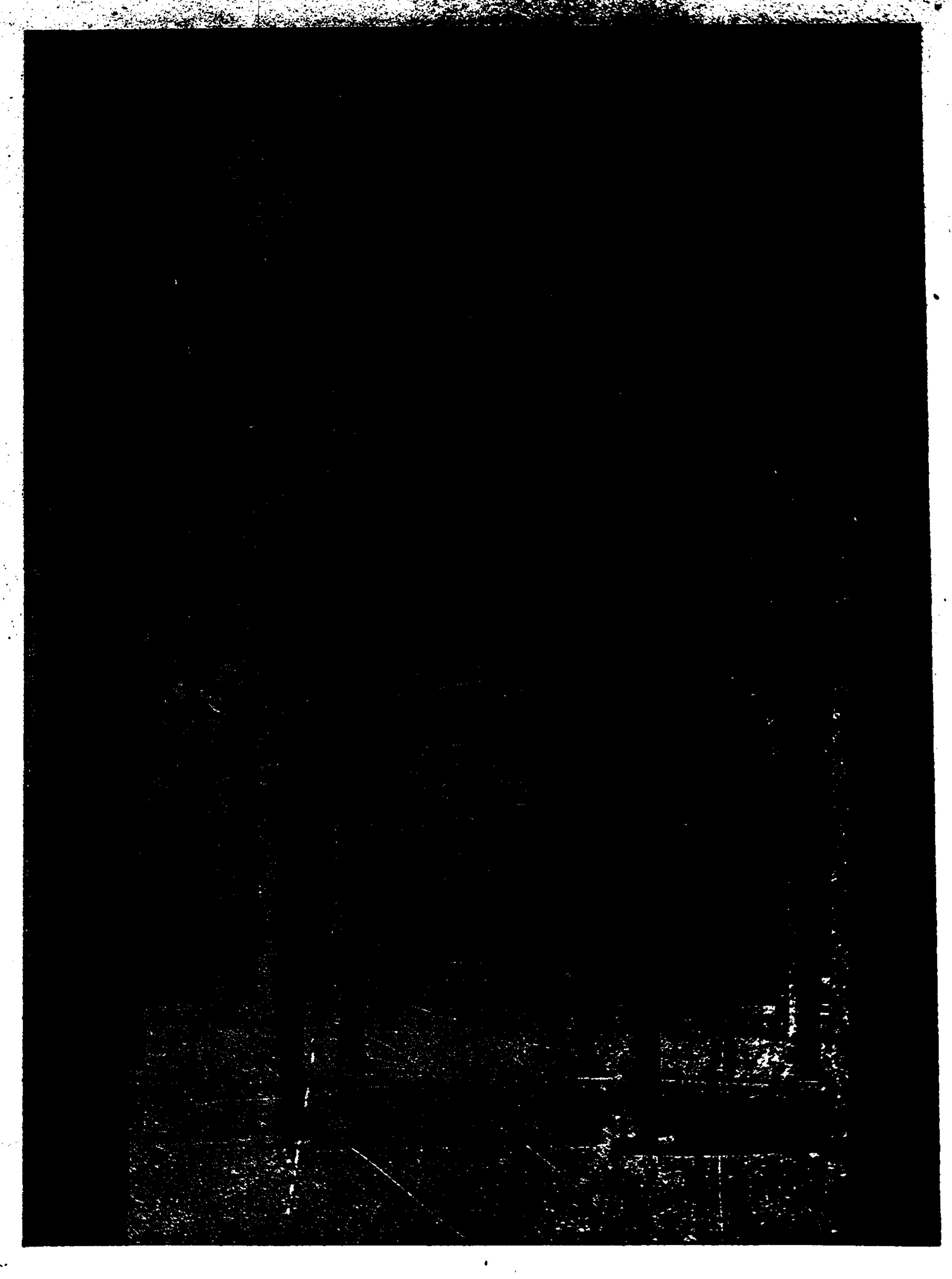


بقية جدار جامع عبد الرحمن الداخل وبداية الزيادة التي أضافها عبد الرحمن الأوسط .

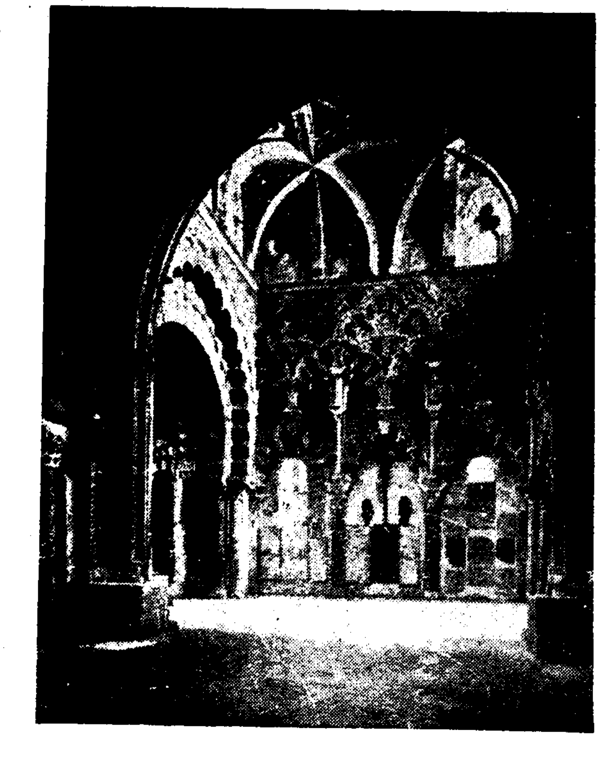


مدخل محراب جامع قرطبة ، قطعة فنية فريدة فى نوعها .

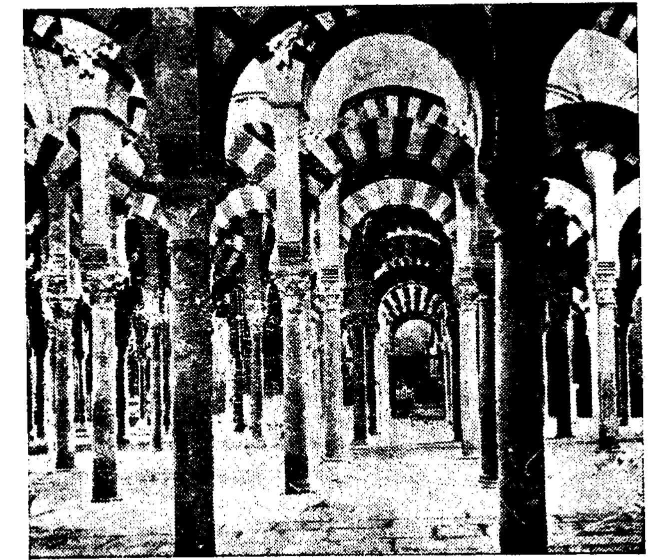




رواق الجامع الأول الذى بناه عبد الرحمن الداخل . هنا يبدو جمال الأقواس المزدوجة التى ابتكرها المعمارى العبقرى .



١٧٥



١٧٧

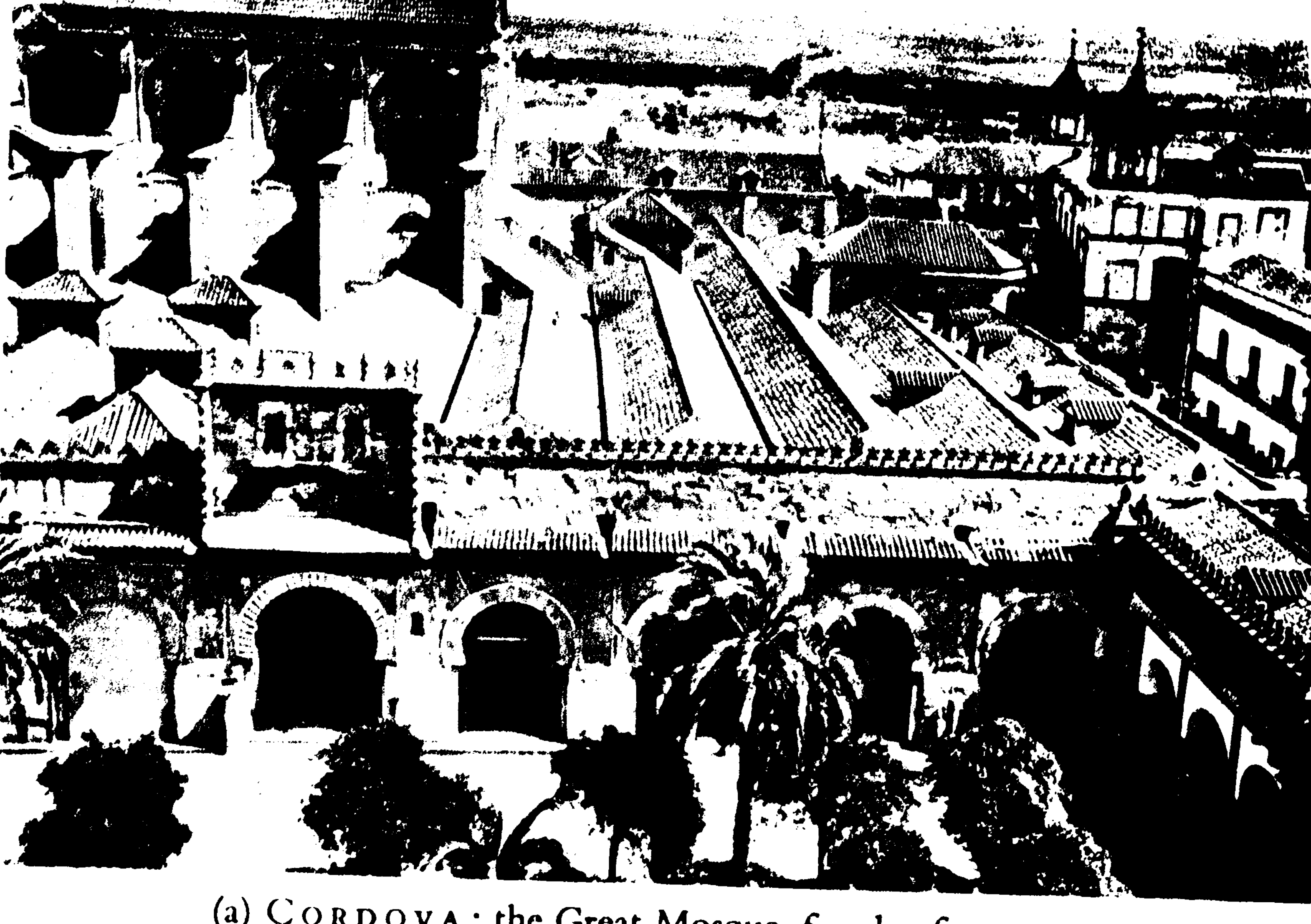
مسجد قرطبة — ٧٨٦ م

١٧٥ : تفاصيل العقود والزخارف بالمحراب
١٧٦ : تفاصيل العقود والزخارف بالصحن
١٧٧ : صحن المسجد ويرى جمال العقود
١٧٨ : المسقط الأفقى لمسجد قرطبة

١٧٦

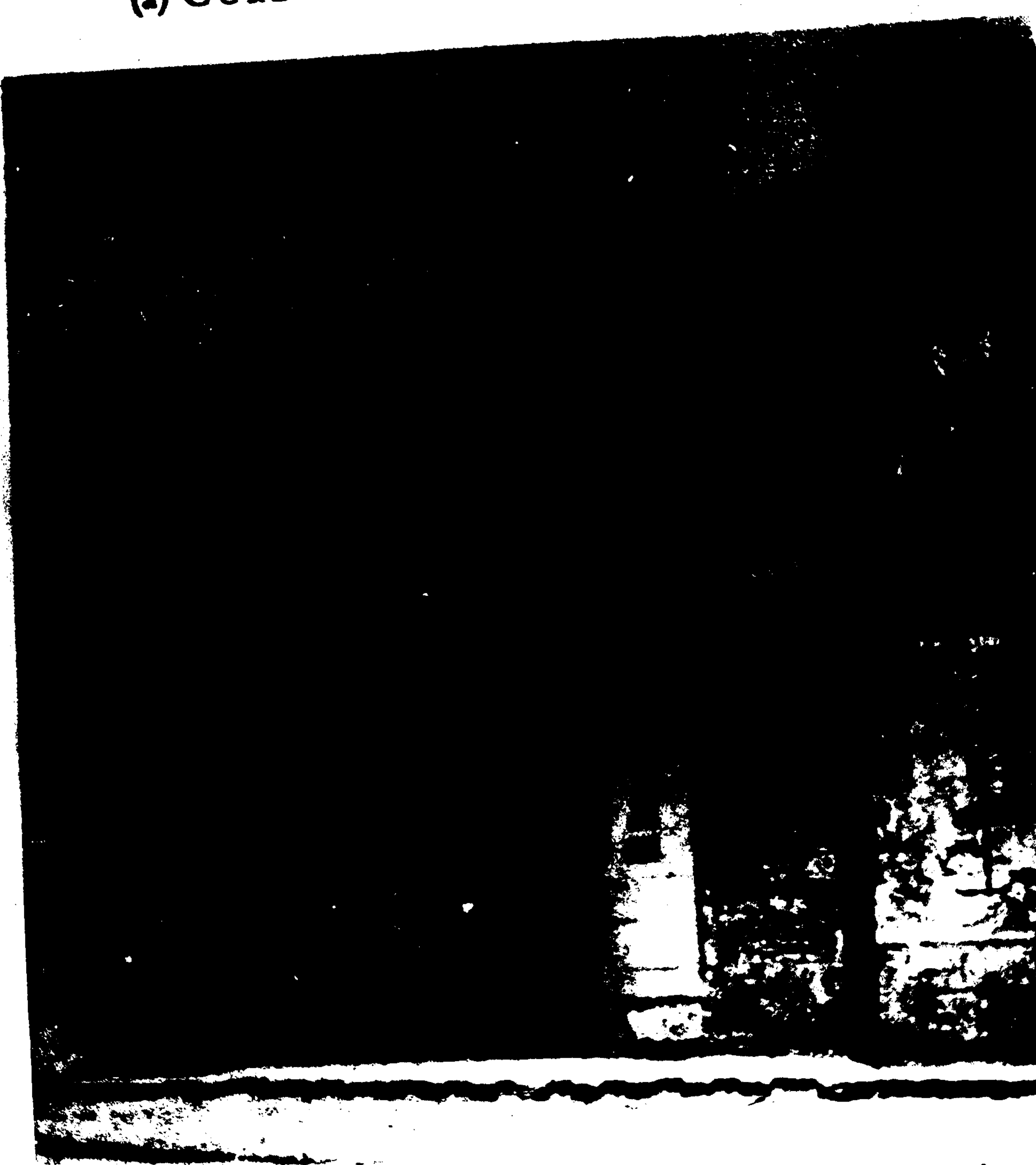
◀ ويوضح المسقط الأفقى للمسجد المرونة التامة فى التصميم التى جعلت من اليسير زيادة مسطحاته دون الخروج عن التصميم الأصلى . وتوحى عقود الأعمدة الجميلة المتتابعة بالطبيعة الحية، يتسلل الضوء من شبكات نوافذه ، فيصل ضعيفاً باهتاً يؤثر فى النفس، فيستشعر المرء نفسه بعيداً عن نطاق الحقيقة ، ويظل مستغرقاً مهيأ للتطلع إلى ما وراء الحس فى صلاة خاشعة .

١٧٨

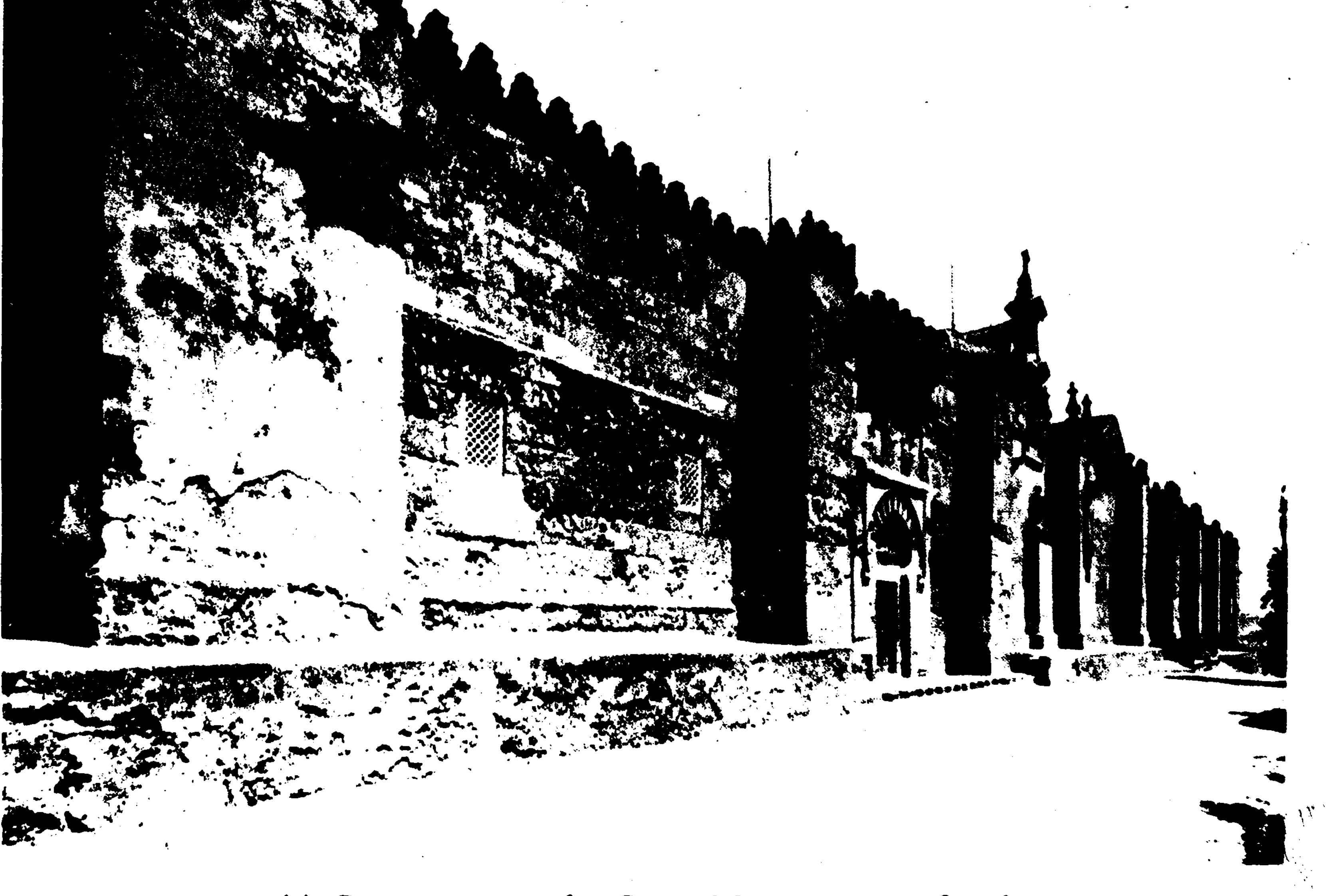


(a) CORDOVA: the Great Mosque, façade of sanctuary

(a) CORDOVA: the Great Mosque, west façade



(b) CORDOVA: the Great Mosque, Puerta di San Estéban



(a) CORDOVA: the Great Mosque, west façade

The Original Form of the Mosque of 'Abd ar-Rahmān in 170 H.

It follows from our analysis that the mosque originally consisted of a sanctuary 73·50 m. (241 ft) wide and 36·80 (221 ft) deep, divided into eleven aisles by ten arcades of twelve arches each, resting on

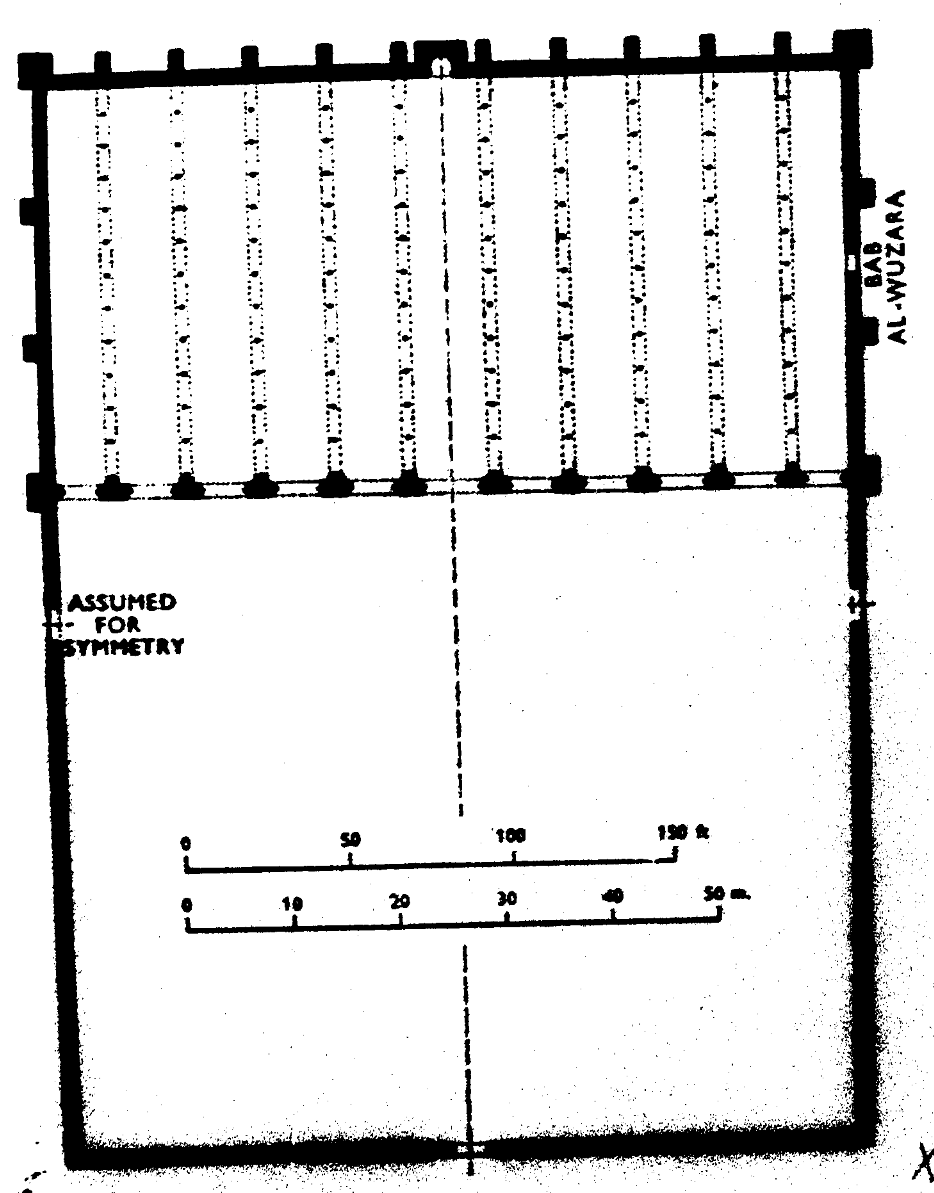


Figure 44. Cordova: The Great Mosque, original plan

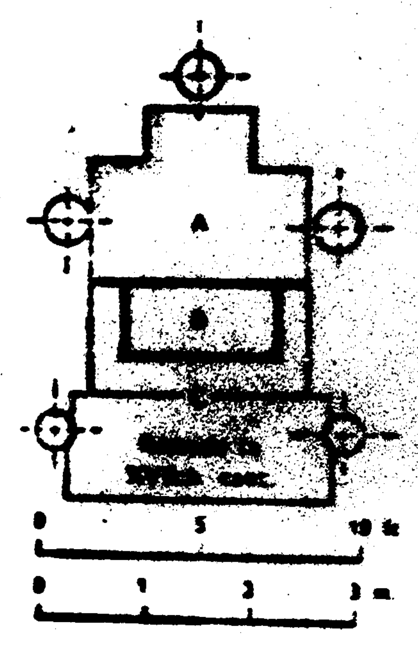
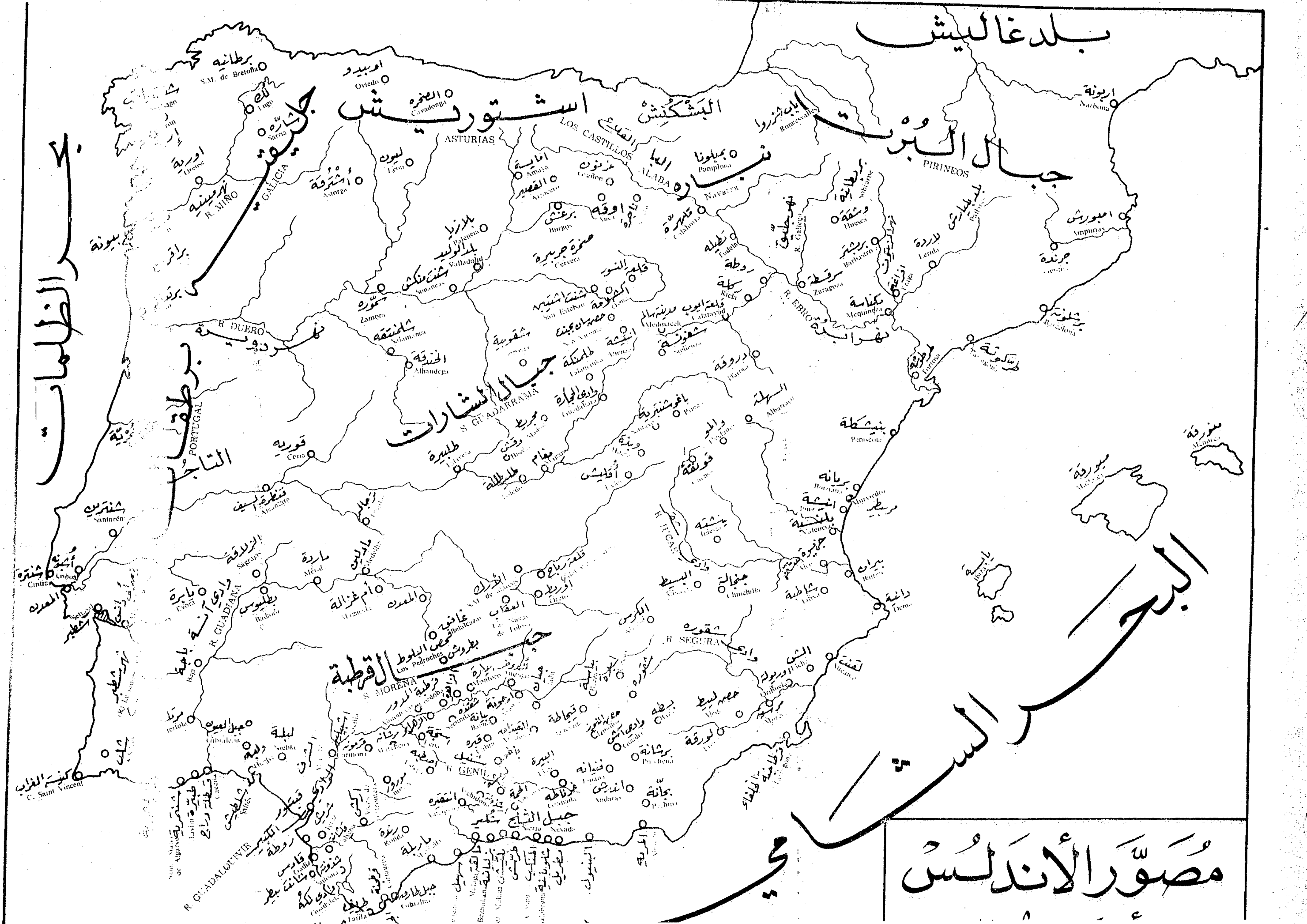


Figure 43. Cordova: The Great Mosque, construction of tenth pier of façade of sanctuary

346 H. (958). The lateral riwāqs must therefore have been an innova-tion, introduced between the time of ʿAbd ar-Raḥmān I and 346 H.

The Form of the Riwāqs

It will be seen from the plan that the arcades which form the façad of these *riwāqs* are supported by piers and columns, two column alternating with every pier. On the west side there are four suc groups and on the east likewise; on the north side there are seve complete and two incomplete groups because of the projection of th minaret. It is obvious that this scheme has been marked out on th north side without any account having been taken of the minaret campanile, for the distance between the axis of the pier to the west o the latter and the axis of the pier to the east of it is *exactly* double tha of one bay. This can only mean that the present scheme, in spite o its Gothic dressings, goes back to a time prior to the construction o the minaret of 340 H. (951–2). When this was built the arcade was cu into and two bays were mutilated. We can therefore say that the *sa* was already surrounded by *riwāqs* in 340 H.


مصوّر الأندلس
بلد غاليش
بحر الظلمات
البحر الشامي
جبال البرت
PIRINEOS
اشتوريش
ASTURIAS
جليقية
GALICIA
البشكنس
LOS CASTILLOS
ALABA
نبارة
Navarra
برطقال
PORTUGAL
التاجه
جبال الشارات
S. GUADARRAMA
جبل القرطبة
S. MORENA
R. DUERO
R. MIÑO
R. EBRO
R. GUADIANA
R. GUADALQUIVIR
R. SEGURA
R. GENIL
R. JUCAR
R. Gallego
نهر دويرة
نهر ابرة
وادي آنة
جبل الثلج
Sierra Nevada
اربونة
Narbona
برشلونة
Barcelona
طركونة
Tarragona
طرطوشة
Tortosa
بلنسية
Valencia
دانية
Denia
لقنت
Alicante
قرطاجنة الحلفاء
سرقسطة
Zaragoza
بنبلونا
Pampiona
طليطلة
Toledo
مجريط
Madrid
قرطبة
اشبيلية
Sevilla
غرناطة
Granada
المرية
ماردة
Mérida
بطليوس
Badajoz
باجة
Beja
يابرة
Evora
اشبونة
Lisboa
شنترين
Santarem
كنيسة الغراب
C. Saint Vincent
ميورقة
Mallorca
منورقة
Menorca
يابسة
Ibiza
جبل طارق
Gibraltar
طريف
Tarifa
قادس
Cadiz
مالقة
Malaga
اوبيدو
Oviedo
ليون
León
استرقة
Astorga
سمورة
Zamora
شلمنقة
Salamanca
برغش
Burgos
بلد الوليد
Valladolid